

صالح الورداني

أهل السنة

شعب الله المختار



أهل السنة
شعب الله المختار

ناشر : مكتبة مديولى الصغير

٤٥ شارع البطل أحمد عبدالعزيز

تليفون : ٣٤٧٧٤١٠ - ٣٤٤٢٢٥٠

ميدان مفتكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥

أهل السنة شعب الله المختار

رقم الإيداع : ٩٦ / ٥٦٨٨

الترقيم الدولى : 4 - 007 - 285 - 977

الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

أهل السنة

شعب الله المختار

دراسة
في فساد عقائد
أهل السنة

صالح الورداني

الناشر : مديولى الصغير 

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِتْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

سورة التوبة آية رقم ٣١

صدق الله العظيم

لأصحاب العقول فقط :

من كان بيته من زجاج فلا يقذف الناس بالطوب ..

_____ أهل السنة _____

أبسط ما يقال في عقيدة أهل السنة أنها عقيدة حكومية، عاشت في أحضان الحكام منذ نشأتها وحتى اليوم وأخذت من هؤلاء الحكام الدعم والشرعية التي أتاحت لها الاستمرار والانتشار والبقاء..

وهذا هو العامل الوحيد الذي جعل هذه العقيدة في مركز الصدارة وجعل منها عقيدة الأغلبية إذ هي في حقيقتها لا تملك أية مقومات تكفل لها البقاء والانتشار..

إن عقيدة أهل السنة في حقيقتها عقيدة هشة خلقت لمجاراة الواقع وإضفاء المشروعية عليه وكان يمكن لها أن تنتهي بانتهاء هذا الواقع لولا احتضان الحكام لها . . .

ولقد قدر لعقائد كثيرة أن تصبح في ذمة التاريخ على الرغم من كونها تحمل الكثير من المقومات التي تكفل لها الاستمرار والبقاء وسبب ذلك يعود إلى معاداة الحكام لها وسعيهم الدائم لاستئصالها...

ونتيجة لحالة الأمن والدعم التي واكبت عقيدة أهل السنة منذ نشأتها في العصر العباسي وحتى الآن...

ونتيجة لالتفاف الجماهير حولها وتحولها إلى عقيدة الأغلبية...

ونتيجة للدعاية الواسعة التي واكبتها

ونتيجة لحالة الكبت والبطش والتنكيل التي لاحقت وطوقت العقائد والاتجاهات الأخرى المنافسة لها والتي أدت في النهاية إلى القضاء عليها وانحسار بعضها في ركن مظلم ومحاصر بشتى الفتاوى الإرهابية..

نتيجة لهذا كله وضعت عقيدة أهل السنة في مقام عال بعيد عن الشبهات

واعتبرت امتداد لعقيدة الرسول (ص) والسلف الصالح مما نتج عنه بالتالى اعتقاد كونها عقيدة الفرقة الناجية من النار من التزم بها وسار على دربها نجا من عذاب النار ومن تخلف عنها وخالف منهجها كان من اصحاب دار البوار...

وعاش المسلمون فى هذا الزعم الذى باركه الحكام وفقهاء السلاطين تحت حراسة كم هائل من الروايات والفتاوى المختلفة

من هنا لم يجرؤ أحد على الخوض فى هذه العقيدة أو المساس بها حيث انها اعتبرت جزء من الدين والمساس بها يعتبر مساسا بالدين.. وظلت العقائد والاتجاهات الأخرى محل نقد وطعن وتشويه على مر الزمان بينما بقيت عقيدة اهل السنة فى برج عال تحيط بها هالة من القداسة والعصمة لا يتيح لأحد أن يقترب منها.

وما نسعى لتوكيده فى هذا الكتاب هو ان عقيدة اهل السنة كغيرها من العقائد والاتجاهات لاتخرج عن كونها نتاج اجتهادى وضعى يخضع للأخذ والرد وفيها حق وفيها باطل وفيها خطأ وفيها صواب وليس هناك ما يميزها عن الآخرين بل ان العقائد الأخرى تتميز عليها..

ولقد استفزتنى تلك الكتابات التى تصدر ما بين الحين والآخر عن طريق بعض التيارات الاسلامية وبعض الرموز العاملة فى ميدان الدعوة الاسلامية وكذلك بعض فقهاء السعودية والتى تحكم بفساد عقائد الآخرين وتنشر الارهاب الفكرى بين المسلمين على أساس عقيدة اهل السنة مصورة هذه العقيدة وكأنها الاسلام مانحه نفسها الحق فى محاكمة الآخرين وزندقتهم..

وكان من الضروري التصدى لهذه الكتابات بحكم الواجب العلمى ومن أجل تصحيح التراث الاسلامى والتفريق بين النص والرجال او بين النص والاجتهاد وتنقية النصوص مما علق بها على مر الزمان من اثار السياسة...

إن اهل السنة يعتقدون أنهم يمثلون الحق وينطقون بلسانه وقد ولد هذا الاعتقاد فى نفوس المسلمين نزعة التعصب والعداء للمخالفين تلك النزعة التى لها أكبر الأثر فى حالة التطرف والانحراف للسائدة فى الواقع الاسلامى اليوم..

والحق انه يجب الاشارة الى ان الفتن العقائدية التى تسببت فى تصدع صف الامة وظهور التعصب وخلق الصدامات الدموية يعود سببها الى الخط الحنبلى.

وقد يكون ابن حنبل بريئاً من هذه الفتن الا انه المؤكد ان الحنابلة من بعده حملوا راية الصدام واثاروا الفتن ناسبين إليه الكثير من الفتاوى والاقوال ثم هم فى النهاية قد استولوا على عقيدة اهل السنة وأصبحوا المتحدثين بلسانها بدعم من القوى الحاكمة فى العصر العباسى وعصور أخرى ثم فى العصر الحديث بدعم الحكم السعودى الذى يتبنى الخط الوهابى وليد الخط الحنبلى...

ان المواجهة بيننا وبين عقيدة اهل السنة إنما هى مواجهة مع الخط الحنبلى خط ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب على وجه الخصوص ذلك الخط الذى تلحف بالسلف وتستتر به وما نتج عن هذا الخط من نتائج سيئة ومؤلة لاتزال تكتوى الأمة بنارها حتى اليوم.

وأخطر نتائج هذا الخط هو ظهور تلك التيارات والجماعات المعوجة
التي تسود الواقع الإسلامى اليوم وترفع راية الصدام والتكفير
والاستحلال..

المواجهة بيننا وبين عقيدة أهل السنة ليست مواجهة مع السلف فعقيدة
أهل السنة شيء والسلف شيء آخر وهو ما تلقى عليه الضوء فى هذا
الكتاب

صالح الوردانى

القاهرة

ص.ب ١٦٣ / ١١٧٩٤

رمسيس - القاهرة

من هم
أهل السنة؟

متى ظهر لفظ أهل السنة والجماعة. ومتى ظهرت عقيدتهم...؟

إن الإجابة على هذين السؤالين لا وجود لها عند أهل السنة، أو بمعنى أصح هم يجيبون عنهما إجابة مبهمة وغير مقنعة محاولين إلصاق أنفسهم بالرسول (ص) وبالصحابة لأجل اضمفاء الشرعية على عقيدتهم وإعطائها الامتداد التاريخي العميق الذي يبدد صورة الشك من حولهم..

وليس من السهل الحكم بأن الصحابة في زمن الرسول (ص) ويعده كانوا يسيرون على نهج واحد ويلتزمون بعقيدة واحدة فهذا أمر لا تؤيده النصوص القرآنية والنصوص الواردة على لسان الرسول (ص) تلك النصوص التي تؤكد وجود قطاع من المنافقين وقطاع من القبليين وقطاع من المتشيعين لعلي بن أبي طالب..^(١)

وأهل السنة يؤكدون على الدوام أن الأمة في زمن الرسول (ص) ويعده كانت صفاً واحداً تلتزم بعقيدة واحدة وأن الذين انشقوا عن هذا الصف هم شرانم قليلة من أهل الزيغ والاهواء والبدع أو من يطلقون عليهم الروافض والقدرية والجهمية وغيرهم..

إن أهل السنة لم يستطيعوا البرهنة على كونهم امتداد لخط الرسول (ص) وإنهم الفرقة الناجية وأصحاب الحق. وإلغما معنى تسمية أنفسهم بأهل السنة والجماعة، هل يعنى هذا أن الآخرين بلا سنة وبلا جماعة..؟

وأنهم الذين تلقفوا الدين والسنة من الرسول (ص) دون غيرهم..؟

إذا اعتبرنا أن القرآن والسنة هما ركني الدين فهذا يعنى أن من حق المسلمين التناول من هذين الركنين والاجتهاد على ضوءهما وأن التناول هو حق شرعى لهم كما أن الاجتهاد حق شرعى لهم أيضاً وليس حكراً على أحد أو فئة دون فئة إلا أن أهل السنة يصورون لنا من خلال مواقفهم وتصوراتهم أنهم الجهة الوحيدة المؤهلة

لإحتكار القرآن والسنة والتحدث بلسانها..

وكما ان لأهل السنة روايات ينسبونها للرسول (ص) فللإتجاهات الأخرى روايات يتبنونها وينسبونها للرسول (ص)...

وكما ان لأهل السنة تفسيرهم للقرآن فللإتجاهات الأخرى تفسيراتها وكما ان لأهل السنة جماعة فللآخرين جماعاتهم..

والفارق الوحيد بين الطرفين هو ان جماعة أها السنة تحالفت مع الحكام فأخذت دعمها وامتدادها منهم بينما حرمت الجماعات الأخرى من الشرعية..

أما الكتاب والسنة فهو ملك للجميع..

فالشيعية تلتزم بالكتاب والسنة..

والمعتزلة تلتزم بالكتاب والسنة..

وكذلك الإتجاهات الأخرى ومكن الخلاف بينهم ينحصر في كيفية تناول وطريقة النقل وإعتماد الروايات الواردة عن الرسول..

والقضية بإختصار هي أن أهل السنة يريدون إلزام الآخرين بنهجهم وتفسيراتهم وطريقة نقلهم للرواية والروايات التي تبنيوها وإلا أصبحوا من الفرقة الهالكة ولن يشموا رائحة الجنة..

وحتى نتضح لنا الصورة سوف ننقل هنا أقوال فقهاء السنة حول تعريف أهل السنة وتاريخهم..

يعرف ابن تيمية أهل السنة بقوله: أن أهل السنة والجماعة هم السلف الصالح أهل الكتاب والسنة العاملون بهدى الرسول (ص) المتبعون لأثار الصحابة والتابعين وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين لم يبتدعوا ولم يبدلوا ولم يحدثوا في دين الله ما ليس منه..^(٢)

ويعرف ابن تيمية عقيدة أهل السنة بقوله: هذا إعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة..^(٣)

وقد اعتبر فقهاء السلف أن أهل الحديث (الرواية) هم أهل السنة والجماعة

والطائفة المنصورة والفرقة الناجية..

فقال أحمد بن حنبل: ان لم يكونوا - أى أهل السنة للناجين المنصورين - أهل الحديث فلا أدري من هم..^(٤)

وقال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث..^(٥)

ويقول عمرو بن قيس الملائي: إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجة. وإذا رأيت مع أهل البدع فيئس منه فإن الشاب على أول نشوئه..^(٦)

وقال أيوب السجستاني: ان من سعادة الحدث والاعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة..^(٧)

وقال الفضيل بن عياض: ان لله عباداً يحيى بهم البلاد وهم اصحاب السنة..^(٨) ويتقل أهل السنة على لسان ابن عباس قوله فى تفسير آية: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.. آل عمران/ ١٠٦ قال: فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة..^(٩)

ويقول ابو أيوب السجستاني لعمارة بن زاذان: يا عمارة اذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة فلا تسأل عن أى حال كان فيه..^(١٠)

ويقول سفيان الثوري: إذا بلغك عن رجل بالشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فأبعث إليهما بالسلام وادع لهما ما أقل أهل السنة والجماعة..^(١١)

ويقول ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الاسناد قلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. فينظر أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم..^(١٢)

ويقول ابو أيوب السجستاني: ان الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون..^(١٣)

ويعتمد أهل السنة على قول الرسول(ص) عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى..^(١٤)

وقوله: خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه..^(١٥)

وقد اعتبروا هاتين الروایتين الاساس الشرعى الذى يستمدوا منه الاستمرار والرصيد التاريخى باعتبار أنهم الفئة الوحيدة التى تلتزم بنهج الخلفاء الراشدين وتلتزم بسنتهم وتابعيهم باحسان من الجيل الثانى والثالث..

واساس تسمية أهل السنة كما تشير كثير من أقوال فقهاء السلف أنهم الفئة التى تصدت لجميع روايات السنة والحفاظ عليها والتمسك بها..

ويقول ابن تيمية عن أهل السنة والجماعة: وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً للقوم المجتمعين..^(١٦)

ويعتبر أهل السنة أنهم امتداد لجماعة الحق التى هي جماعة الصحابة ويستدلون على ذلك بحديث على لسان الرسول (ص) يقول: لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبداً.. يد الله مع الجماعة. فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار..^(١٧)

ومن هذا النص يستدلون على أن الحق بجانب الكثرة التى يعبرون عنها بالسواد الأعظم وهم سائر الصحابة والتابعون وأئمة الدين والهدى المقتدى بهم ومن اتبع سبيلهم ولا عبرة بأكثرية الفرق لأنها هالكة وإنما العبرة بمن كان على الحق وهم الفرقة الناجية..^(١٨)

وكما يطلقون لفظ الجماعة على الصحابة والتابعين يطلقونه أيضاً على أهل العلم والفقه وأهل الحديث العاملين بالسنة ومن سلك منهجهم وأتبع سبيلهم فهؤلاء هم المقتدون بالنبي وأصحابه الذين هم جماعة المسلمين الأولى وكل جماعة على الحق هي امتداد لهم وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم وأتباعهم أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية. التى نوه عنها النبي بقوله فى الحديث: وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثمتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهي الجماعة..^(١٩)

يقول البغدادى شارحاً عقيدة أهل السنة ومعرفاً بها فى عدة بنود:

أولاً: من أحاطوا العلم بآبواب التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد والثواب والعقاب وشروط الاجتهاد والامامة والزعامة وسلوكوا فى هذا النوع من العلم طرق

الصفاتية من المتكلمين الذين تبرأوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرفض والخارج وسائر أهل الأهواء الضالة.

ثانياً: أئمة الفقه من أهل الرأي والحديث الذين تبرأوا من القدر والاعتزال وأثبتوا رؤية الله بالابصار من غير تشبيه ولا تعطيل وسائر العقائد في الخلفاء وطاعة الأمراء والمسح على الخفين وتحريم المتعة ووقوع الطلاق الثلاث..

ثالثاً: الذي أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنة الماثورة عن النبي (ص) وميزوا بين الصحيح والسقيم منها وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة..

رابعاً: الذين أحاطوا علماً بالكثير أبواب الأدب والنحو والصرف ولم يخلطوا علمهم بشيء من بدع القدرية أو الرفضية أو الخارج..

خامساً: الذي أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن ووجوه تفسير آياته وتأويلها وفق مذهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة..

سادساً: الزهاد والصوفية وبينهم التوحيد ونفي التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والإعراض عن الاعتراض عليه..

سابعاً: المرابطون في ثغور المسلمين يحمون الوطن الإسلامي ويظهرون في ثغورهم مذهب أهل السنة والجماعة..^(٢٠)

وسئل عبدالله بن المبارك عن الجماعة فقال: أبو بكر وعمر، ف قيل له مات أبو بكر وعمر فقال ففلان وفلان.. قيل مات فلان وفلان. قال: أبو حمزة السكري وجماعته..^(٢١)

ويعرف البخاري الجماعة بأنها أهل العلم وانهم الجماعة التي أمر المسلمون بلزومها.

وعلق ابن حجر على قوله هذا في شرحه للبخاري قائلاً: فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين..^(٢٢)

وتفسر أهل السنة الجماعة أيضاً بالسواد أو جمهور المسلمين المتمسكين بالسنة

إذا اجتمعوا على أمر من أمورهم ومصالح المسلمين في الدين والدنيا كالإمامة والجهاد ويستدلون على ذلك بالروايات التي ينقلونها عن الرسول (ص) والتي توجب طاعة الأمير أو الحاكم وإن جار وظلم وأخذ مالك وجلد ظهرك على حد تعبير الحديث.. (٢٤)

وأهل السنة يبيحون دم المفارق للجماعة حسب مفاهيمهم وحجتهم في هذا الحكم مجموعة من الروايات التي ينقلونها عن الرسول والتي تنص على قتل المفارق للجماعة والخارج عليها كائناً من كان وقد ربطوا بين الخروج على الدين والخروج على الجماعة حسب نص الحديث الذي يقول: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة.. (٢٥)

وبالإضافة إلى ما سبق يطلق أهل السنة لفظ الجماعة على أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء والقضاة والأعيان أو بعضهم إذا اجتمعوا أو غالبهم على أمر من مصالح المسلمين كتولية إمام وبيعته أو عزله.. (٢٦)

وينقل الشاطبي قول أحد الفقهاء: إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق.. (٢٧)

ويقول الشاطبي: ويدخل في الجماعة مجتهدوا الأمة وعلماءها وأهل الشريعة العاملون بها ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذي شذوا وهم نهبة الشيطان. ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة لم يدخلوا في سوادها بحال.. (٢٨)

وعلى ضوء ما سبق يعتبر أهل السنة أن المبتدعة وأصحاب الأهواء والحدثات في الدين وإتباع الفرق والاتجاهات الأخرى مثل القدرية والجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والفلاسفة والمتكلمين والصوفية كذلك الخارجون على أئمة المسلمين أي الحكام جميع هؤلاء مفارقون للجماعة أي خارجون على نهج أهل السنة مجانبين لعقيدتهم ومصيرهم الميتة الجاهلية.. (٢٩)

وسئل سهل بن عبدالله التستري: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟

فقال: إذا عرف عن نفسه عشرة خصال: لا يترك الجماعة ولا يسب الصحابة ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف ولا يكذب بالقدر ولا يشك في الإيمان ولا يمارى في الدين ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بجنب ولا يترك المسح على الخفين ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جارٍ أو عدل.. (٣٠)

ثم قام الأشعري بعد ذلك بتدوين العقيدة وقد اعتمد في تدوينها على اتاحة مساحة للعقل والموازنة بينه وبين النقل إلا أن الحنابلة هاجموا وشككوا في عقيدته وطرحه باعتبار أنه يسير على النهج الكلامي المنبوذ عند أهل السنة.. (٣١)

وتعد رسالة الثغر أو أصول أهل السنة والجماعة من أشهر وأبقى ما دون الأشعري حول عقيدة أهل السنة.. (٣٢)

وجاء من بعد ذلك الطحاوي الحنفي فدون عقيدته للطحاوية في منتصف القرن الثالث وقام بشرحها القاضي صدر الدين في منتصف القرن الثامن لتصبح من أشهر كتب العقائد المنتشرة بين المسلمين.. (٣٤)

ومن بعد هؤلاء برز ابن تيمية فدون عقيدته الواسطية التي حوكم بسببها وأخذت انتشارها بين المسلمين على يد الحركة الوهابية ودعم الدولة السعودية التي أسهمت في إبراز العقيدة الوهابية التي تعد أحدث صورة من عقيدة أهل السنة التي ظهرت على ساحة الواقع..

إن المتتبع لنشأة فكرة أهل السنة والجماعة يتبين له أن أول من وضع حجر الأساس لها هو أحمد بن حنبل ثم حمل رايتها الحنابلة من بعده وبدعم من الدولة العباسية في مرحلة ما بعد المأمون الذي كان ينتهج نهج المعتزلة والشيعة.. (٣٥)

أما الرموز الفقهية الكبرى كأبي حنيفة ومالك والشافعي فلم ترد على خاطرهم هذه الفكرة ولا وجود لها في أطروحاتهم.. (٣٦)

ولقد أخذت عقيدة الأشعري عدة دفعات قوية من القوى الحاكمة - الدولة السلجوقية والأيوبية والمملوكية - كفلت لها الانتشار والتمكن في بقاع كثير إلا أن الدفعات التي أخذتها عقيدة الحنابلة كانت أكبر كذلك نالت عقيدة الماتريدي بعض الدعم من الحكام إلا أنه جعل عقيدة الحنابلة التي سميت بعقيدة أهل السنة -

العقيدة السائدة بين الشعوب الإسلامية بتأثير الحقبة النفطية اليوم توارث العقائد السننية الأخرى.. (٣٧)

ويبدو من الواضح تاريخيا ان عقيدة أهل السنة مرت بخمسة مراحل:

الأولى: على يد أحمد بن حنبل..

الثانية: على يدى الأشاعرة والماتريدية..

الثالثة: على يد الحنابلة..

الرابعة: على يد ابن تيمية..

الخامسة: على يد الوهابيين فى العصر الحديث..

وبإختفاء عقيدة الأشاعرة والماتريدية لم يبق فى الساحة سوى خط الحنابلة ليمثل أهل السنة فجميع الكتب المتداولة بين المسلمين اليوم خاصة التيارات الإسلامية العاملة فى ميدان الحركة الإسلامية والمتعلقة بعقيدة أهل السنة تتركز حول طرح الحنابلة وابن تيمية.. (٣٨)

والملاحظ عند قراءة كتب العقائد الخاصة بأهل السنة أن هذه الكتب دونت كرد فعل للإلتجاهات الأخرى ولم تدون بدافع إبراز عقيدة أهل السنة أو الحفاظ عليها وهذا الموقف ان دل على شىء فإنما يدل على أن المسألة وضعية وليست شرعية أى اجتهادية وليست نصية.. (٣٩)

ان أبرز الأدلة على وضعية عقيدة أهل السنة كوننا نبحث فى تاريخها ونشأتها ونعرض للخلافات التى دارت حولها فلو كانت هذه العقيدة نصية بمعنى انها المعبر الوحيد عن الإسلام كما يؤكد ذلك فقهاؤها لما كان هناك أدنى خلاف حولها ولما كانت هناك حاجة للبحث عن نشأتها وبروزها فى واقع المسلمين إذ هى فى هذه الحالة بصفتها الطائفة الناجية المنتصورة التى ربط مصير المسلمين بها فى الدنيا والآخرة ولا يجوز ان تكون خافية أو مبهمه إذ يجب أن تكون واضحة وضوح الشمس..

وسوف تتضح فكرة الوضعية أكثر فى عقيدة أهل السنة حين نعرض فى الفصول القادمة نصوص هذه العقيدة كما وردت فى كتب العقائد المعتمدة عندهم تلك الكتب

التي لا تشير من قريب أو بعيد إلى نشأة عقيدة أهل السنة وتاريخها إنما تقوم بطرح مجمل هذه العقيدة وكأنها معصومة ومسلم بها..

ومما عرضنا سابقاً يمكن أن نخرج بالفتايج التالية:

١- إن عقيدة أهل السنة خليط من أفكار سياسية وأفكار فقهية وأفكار دفاعية..

أما الأفكار السياسية فنتلخص في التركيز على طاعة الحاكم والجهاد معه برأ كان أوفاجراً وظالماً. وضرورة الإيمان بالترتيب الرباعي للخلفاء من بعد الرسول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.. وموالة معاوية.

وأما الأفكار الفقهية فهي المسح على الخفين وتحريم زواج المتعة والطلاق ورفض التأويل والإلتزام بطرق الرواية والأحاديث التي صححوها واعتمدها مع تبني القواعد التي ابتدعوها فيما يتعلق بالإجتihad والصحابة وتفسير القرآن..

وفيما يتعلق بالأفكار الدفاعية فهي تشكل أغلب أفكار الطرح السني في مجال العقيدة فإعتقادهم في الأسماء والصفات رد فعل لإتجاه التيارات الأخرى.. وكذلك إعتقادهم في رؤية الله..

وقضية خلق القرآن..

وسائر القضايا الكلامية التي أثبتت في العصر العباسي وتصدى لها الحنابلة ودونوا الردود عليها. تلك القضايا التي كانت السبب المباشر في ظهور عقيدة أهل السنة وتدوينها ودخولها في صدام مع التيارات الأخرى ثم تحالفها مع القوى الحاكمة وتحقيقها للإنتشار والإستمرار بدعمهم..

٢- إن عقيدة أهل السنة هي نتاج الخط الحنبلي وحده فمن ثم هي لا تمثل المذهب والتيارات الأخرى مثل المذاهب الأربعة والأشاعرة وغيرهم..

ذكر التاج السبكي في طبقاته (طبقات الشافعية): أن أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعرى إلا من لحق بأهل التجسيم وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم..

٣- أن عقيدة أهل السنة تعتمد على ثلاثة قواعد:

(أ) تقديم النقل على العقل..

(ب) رفض التأويل..

(ج) عدم التفريق بين القرآن والروايات..

٤. أن أهل السنة والجماعة اجتمعوا على الروايات والخلفاء الثلاثة واختلفوا في
على ثم اجتمعوا على الحكم بداية من معاوية ويزيد وحتى آل سعود اليوم..
ويعتقد أهل السنة أن معنى أهل السنة والجماعة هو ما يقابل الشيعة وما يقابل
المبتدعة وأهل الأهواء وهو المعنى الأكثر استعمالاً وعليه كتب الجرح والتعديل
عندهم، فإذا قالوا عن الرجل إنه صاحب سنة أو كان سنياً أو من أهل السنة
ونحوها فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية كالخوارج والمعتزلة والشيعة
وليس صاحب كلام وهمي وقد قال أحمد بن حنبل وابن المديني على أن من خاض
في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة وإن أصاب بكلامه السنة حتى يدع
الجدل ويسلم للنصوص..

هوامش

- (١) أنظر لنا كتاب: السيف والسياسة.
- (٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ / ١٥٧ ..
- (٣) أنظر العقيدة الوسطية
- (٤) أنظر فتح الباري شرح البخارى ج ١٣ / ٣٩٣ . والترمذى حديث رقم ١٠٥٠٤ ج ٤ ..
- (٥) شرح البخارى. كتاب التوحيد ج ٢ / ٢٣٨ / للشيخ الغنيمان..
- (٦) أنظر الشرح والإبانة ص ١٣٣ ..
- (٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة. اللالكائى ج ١ / ٦٠ ..
- (٨) المرجع السابق ج ١ / ٦٥ ..
- (٩) الشرح والإبانة ص ١٣٧ ..
- (١٠) اللالكائى ج ١ / ٦٠ ..
- (١١) المرجع السابق ج ١ / ٦٤ ..
- (١٢) أنظر مقدمة مسلم..
- (١٣) اللالكائى ج ١ / ٦١ ..
- (١٤) أنظر مسند أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى..
- (١٥) رواه البخارى..
- (١٦) العقيدة الواسطية..
- (١٧) أنظر الترمذى وكتب السنن..
- (١٨) أنظر اللالكائى والشرح والإبانة وشرح عقائد أهل السنة ومفهوم أهل السنة لناصر العقل. ط القاهرة والسعودية..
- (١٩) أنظر أبو داود ومسند أحمد وابن ماجه..
- (٢٠) الفرق بين الفرق..
- (٢١) شرح السنة للبقوى..

- (٢٢) فتح البارى ح ١٣ / ٣١٦ ..
- (٢٣) المرجع السابق ح ١٣ / ٣٧ ..
- (٢٤) مفهوم أهل السنة والجماعة..
- (٢٥) أنظر البخارى كتاب الديات. ومسلم حديث رقم ١٦٧٦ ..
- (٢٦) فتح البارى ح ١٣ / ٣١٦ ..
- (٢٧) الاعتصام ح ٢ / ٢٦٠ ..
- (٢٨) المرجع السابق ح ٢ / ٢٦١ ..
- (٢٩) أنظر كتب العقائد. والفصول القادمة من الكتاب..
- (٣٠) مقدمة كتاب مفهوم أهل السنة والجماعة..
- (٣١) أنظر ملحق الكتاب..
- (٣٢) أنظر لسان الميزان لابن حجر ترجمة الأشعرى وأنظر فصل عقيدة أهل السنة فى الحكام..
- (٣٣) أنظر ملحق الكتاب..
- (٣٤) أنظر ملحق الكتاب..
- (٣٥) أنظر سيرة المتوكل العباسى مع أهل السنة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ..
- (٣٦) الصواب أن أهل السنة هم الذى تلحفوا بأئمة المذاهب الأربعة لأن عقيدة أهل السنة ظهرت بعد المذاهب الثلاثة مع طرح الحنابلة..
- (٣٧) نصرت الدولة السلجوقية الأشاعرة. كذلك الدولة الأيوبية فى مصر. ودعمت الدولة العباسية من قبل خط الحنابلة المسالم للدولة والمتطرف فى مواجهة الآخرين.. انظر تاريخ السلاجقة والوزير نظام الملك وتاريخ الأيوبيين..
- (٣٨) أنظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر.. وأنظر فصل أهل السنة بين الماضى والحاضر من هذا الكتاب..
- (٣٩) أنظر متون هذه العقائد فى ملحق هذا الكتاب..

وكائز أهل السنة

- الروايات
- التأويل والتبرير
- الرجال

تقوم عقيدة أهل السنة على ركائز ثلاثة هي:

- الروايات..

- التأويل والتبرير..

- الرجال..

أما الروايات فتعد الركيزة الأساسية للعقيدة حيث يعتمد عليها في مواجهة التيارات الأخرى المناهضة لأهل السنة. كما يعتمد عليها في تثبيت المفاهيم والاجتهادات التي تقوم على أساسها..

ويبدو أن اهتمامهم البالغ بالروايات هو السبب المباشر في تسميتهم بأهل السنة أي أهل الحديث. فهم قد تسلحوا بالروايات في مواجهة حركة الأحياء الفكري والعقلي التي برزت في الساحة الإسلامية على يد الشيعة والمعتزلة وغيرهم..

ومن الواضح أن أهل السنة يسرفون في استخدام الروايات إلى الحد الذي يوقعهم في حرج عقائدي في مواجهة خصومهم. فإن الرواية مهما قويت حجتها تظل تدور في دائرة الظن والأخذ والرد. فمن ثم لا يمكن أن يبنى عليها حكم يقيني..

ولعل هذا ما دفع بأهل السنة إلى إضفاء صفة القداسة المطلقة على كتابي الحديث الأول عندهم: البخاري ومسلم واعتبارهما أصح الكتب بعد كتاب الله. فهم بهذه الرؤية قد أضافوا لأنفسهم مصدراً جديداً يدعم أطروحتهم ولا يتطرق إليه الشك من جهة اتباعهم ويمكن أن يستخدم كسلاح في مواجهة الخصوم..

إلا أن المأزق الذي وقع فيه أهل السنة هو أن اسرافهم في استخدام الروايات وإهمالهم العقل جاء في النهاية على حساب القرآن وناسخ لأحكامه في بعض الحالات..

وسوف يتضح لنا هذا من خلال إستعراض عقيدتهم في الله وفي الرسول وفي

القرآن فى الفصول القادمة..

وحتى يتمكن أهل السنة من تحصين أنفسهم بالروايات والحيلولة دون هدمها أسسوا علم الرواية عندهم على جواز نقد السند دون نقد المتن..

وعلى ضوء هذه القاعدة وضعوا علم الجرح والتعديل وهى قاعدة خاصة بالرواية ومعرفة أحوالهم أى نقد سلسلة الرواية دون متنها. وحتى نقد السلسلة يظل مباحاً وجائزاً فى حدود التابعين وغيرهم من الرواة دون الصحابة فلا يجوز نقد الصحابى وتجريحه عندهم وإنما النقد والتجريح يطول من هو دونه. فحسب قاعدتهم: من ثبت صحبته.. ثبتت عدالته..

أما المتن فلايجوز رفضه ولو كان مخالفاً للقرآن وقضية المخالفة هى من توهم غيرهم ممن يستخدمون العقل. أما هم فلا يرون أن هناك روايات تخالف القرآن وفى حالة الشك فى ذلك يقومون بعملية توفيق بين الرواية والنص القرانى..

وقد ذهب الشافعى وغيره من المحدثين إلى أن الحديث إذا كان صحيحاً على شرط المحدثين لا يكون مخالفاً للكتاب أبداً..^(١)

ويقول الجوينى: لو حلف إنسان بطلاق امرأته: أن مافى الصحيحين - البخارى ومسلم - مما حكما بصحته من قول النبى (ص) لما ألزمته الطلاق لإجماع علماء المسلمين على صحته..^(٢)

وقال ابن تيمية: أن جمهور ما فى البخارى ومسلم مما يقطع بأن النبى (ص) قاله. لأن غالبه من هذا ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق والأمة لاتجتمع على خطأ..^(٣)

ويقول ابن القيم: فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماءه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ولاعبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين..^(٤)

وينقل عن أهل السنة إجماعهم على أن رجلاً لو حلف بالطلاق أن جميع ما فى كتاب البخارى مما روى عن رسول الله (ص) قد صبح عنه ورسول الله قاله.. لاشك فى أنه لايفنك والمرأة بحالها فى حبالته..^(٥)

ويطلق أهل السنة على الراوى العدل العالى القدرات فى الحفظ والنقل لفظه ثبت.

ويفسر ابن حنبل معنى كلمة (ثبت) بقوله ان الراوى لا يكاد يخطئ فى حديثه. أى ضبطه قريب جداً من الكمال..^(٦)

والتأمل فى علم الحديث عند أهل السنة يتبين له أنهم قد وضعوا قواعد كثيرة تتركز جميعها حول ضبط حال الراوى وتجريحه أو تعديله وما شابه ذلك وكلها تدور حول الراوى والسند ولاتدور حول المتن: فلا يعرف عندهم مسألة ضبط المتن أو عرضه على القرآن فما دام قد ثبت أن رجال الرواية رجال الصحيح صحت عندهم دون ضبط متنها مع القرآن وإنما الأمر كله يقوم على الجهد الذاتى لعدد من الرجال تصدوا لضبط حال الرواة أمثال يحيى بن معين وشعبه بن الحجاج ويحيى بن سعيد القطان وعلى بن المدينى وغيرهم وهؤلاء حكام على الرواة وقولهم الفصل. فإذا قالوا فلان ثقة كان ثقة وإذا قالوا كذاب أو ليس بشئ كان كذلك..

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا: من الذى وثق هؤلاء...؟

ويروى مسلم عن ابن سيرين قوله: لم يكونوا - أى أهل السنة - يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم..^(٧)

والمقصود بأهل البدع هنا هم الإتجاهات الأخرى المناهضة لأهل السنة مثل الشيعة والمعتزلة فهؤلاء لا يعتد بهم.. ومثل هذا الموقف يقوم على أساس مذهبى وليس على أساس شرعى أو موضوعى.. وهو يكشف لنا من جانب آخر أن روايات أهل السنة إنما هى تعبير عنهم وعن خطهم وأطروحاتهم لاعن الإسلام..

ومفهوم عدالة الراوى عند أهل السنة يثير الكثير من علامات الإستفهام فهم يشترطون فى الراوى شرطين:

الأول: العدالة..

الثانى: الضبط

والأول يقصد به الإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق وخوارم المروءة..

والثانى يقصد به سماعه للحديث على الوجه الذى حدده المحدثون فى كيفية السماع وحفظه والثبات عليه حتى يرويه..

ولاشك أن مثل هذين الشرطين من الممكن توافرها في أى شخص. إلا أنه في حركة التطبيق تجاوز أهل السنة هذين الشرطين بل زاد الطين بلة حين قبلوا روايات رجال الحكم والعسكر الذى تقطر ايديهم بدماء المسلمين..

فعمر بن سعد بن أبى وقاص قائد الجيش الذى ذبح الحسين وأبناء الرسول فى كربلاء وروى له البخارى..^(٨)

ويسر بن أرطاة رجل معاوية الذى ارتكب الكثير من المجازر الوحشية وشن حملات الأباداة والتصفية الجسدية لخصوم معاوية فى الحجاز واليمن روى له أبو داود والترمذى والنسائى وطارق بن عمر والمكى القاضى مولى عثمان بن عفان كان والياً على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان ويعرف عنه الجور روى له مسلم وأبو داود..

وعمر بن سعيد بنالعاص الأموى المعروف بالأشدق ولى المدينة من قبل معاوية ويزيد وكان جائراً روى له مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه..

وعمران بن حطان شاعر الخوارج الذى القى شعراً يمدح فيه عبدالرحمن بن ملجم قاتل الإمام على روى له البخارى وأبو داود والنسائى..^(٩)

إن أهل السنة لايعتبرون مثل هذه المواقف والجرائم والإنتهاكات لحقوق الإنسان من خوارم المرومة ونواقص العدالة.. فما دام قد ثبت صدق الراوى ولم يعهد عليه الكذب فهذا يكفى للثقة فى الراوى والنقل عنه..

- التأويل والتبرير:

رغم أن أهل السنة اعتمدوا كما هائلا من الروايات استندوا عليه فى دعم اطروحتهم إلا أنهم وقعوا فى مأزق حرج فى مواجهة عدد من الروايات التى تبنيها والتى تمثل فى مضمونها خطرا على اطروحتهم. كذلك وقعوا فى حرج أمام الكثير من الأحداث ومن الوقائع التاريخية التى تتطلب اتخاذ موقف إيجابى تجاهها.

وأمام هذه الروايات أضطر أهل السنة إلى تبني نهج التأويل..

وأمام الأحداث والوقائع التاريخية أضطروا إلى تبني نهج التبرير..

فأمام ما رواه مسلم عن الرسول (ص): لايزال أمر الناس ماضيا ماويلهم اثنى

عشر رجلا وفي رواية أخرى: لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة..^(١٠)
حدد أهل السنة الاثني عشر الذين أشارت إليهم الرويات في الأحكام الآتى
نكرمهم:

أبو بكر..

عمر..

عثمان..

على..

معاوية..

يزيد..

ثم عبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز..^(١١)
وجاء آخرون من فقهاء السنة مثل السيوطي فأطاح بيزيد من القائمة ووضع مكانه
عبد الله بن الزبير ثم جعل الحسن بن علي مكان عبد الملك بن مروان ورأى أن يضع
المهدي العباس ثم المهدي المنتظر. واحتار في الباقي كما احتار معه غيره..^(١٢)
ومثل هذا التأويل لهذه الرواية الحرجة إنما الهدف منه هو ضرب الشيعة الذين
يعتقدون في الأئمة الاثني عشر من بعد الرسول (ص) وحتى لا يستثمروا هذه
الرواية لصالحهم كذلك وقف أهل السنة نفس الموقف من الروايات الأخرى التي
تحدث عن البيعة والإمامة مثل رواية:

من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية..^(١٣)

ورواية: من فارق وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية..^(١٤)

ورواية: من فارق الجماعة شبرا فمات فحيتته جاهلية..^(١٥)

ورواية: إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به..^(١٦)

وغير تلك من الروايات فقد اضطر أهل السنة إلى ربطها بالأحكام وتطبيقها
عليهم..

ويبدو من الواضح أن هذه التأويلات تفوح منها رائحة السياسة وبرهان ضلالها

أن هؤلاء الحكام غير شرعيين وفرضوا على الأئمة بقوة السيف ولا يعقل - على فرض صحة هذه الروايات - أن يبشر الرسول (ص) بمثلهم. فمادام قد طلب من الأمة الطاعة لهم فيجب أن يكونوا مستحقين للطاعة والبيعة..

وفى مواجهة الرواية التي تقول: ألا وأنى تارك فيكم ثقلين أحدهما: كتاب الله عز وجل. وهو حبل الله الذي من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة وعترتى أهل بيتى..^(١٧)

فسر فقهاء أهل السنة أهل البيت بنساء النبي تارة. ويقريش تارة أخرى وبآل جعفر وآل العباس وبنى عبد المطلب..

والهدف من هذا التأويل هو نفس الهدف السابق وهو تطويق الشيعة. حتى أنهم قدموا الصحابة على آل البيت على ما سوف نبين..

وفيما يتعلق بالتبرير فقد وقف أهل السنة أمام الأحداث التاريخية الشائكة والتي من الممكن أن تكشف للمسلمين الكثير من الحقائق التي تعينهم على فهم دينهم: تلك الأحداث التي بدأت مع وفاة الرسول (ص) وانتهت بتسلم يزيد بن معاوية الحكم. وقف أهل السنة موقفاً تأمرياً سطح حركة التاريخ. وعموم أحداثه..

فقد برروا ما حدث في سقيفة بن ساعدة بين المهاجرين والأنصار منحازين إلى جانب المهاجرين متسلحين بكم من الروايات التي تدعم أبو بكر ضد خصومه..^(١٨)

وبرروا اقتزاع أبو بكر لميراث الرسول (ص) من فاطمة ابنته متزعين برواية تقول: إنا لا نورث وما تركناه صدقة..^(١٩)

وبرروا منكرات عثمان وانحرافات متزعين بروايات تضيف عليه المشروعية وتعطيه الحق في كل ما صنع. منزلين لعناتهم على قتلته ومن ثاروا عليه..^(٢٠)

وبرروا جرائم معاوية واخترعوا له الروايات التي ترفع من قدره وتضعفه في مساواة الإمام على وفي مصاف الفقهاء المجتهدين..^(٢١)

وبرروا جرائم يزيد ومنكراته وذبحه للحسين وأبناء الرسول (ص) واخترعوا له رواية تقول: أول جيش يغزو القسطنطينية مقرر له.. مدعين أن أول جيش كان تحت قيادة يزيد كما ذكروا روايات أخرى تنفى علمه بقتل الحسين أو أمره بقتله..^(٢٢)

إن هدف أهل السنة من هذه التبريرات هو تطوير الاتجاهات الأخرى التي تستند إلى هذه الأحداث في مواقفها تجاه الانحرافات التي وقعت بعد وفاة الرسول تلك الانحرافات التي انعكست على الإسلام ذاته..

ومن جهة أخرى يهدف أهل السنة من وراء تبريراتهم هذه إلى تثبيت اتباعهم وطمأننتهم حتى لا تتأورهم الشكوك في أطروحتهم الحكومية. فمن ثم هم اصدروا قراراتهم بنبذ أية كتب تعرض لهذه الأحداث والوقائع من خارج دائرتهم..^(٢٣)

وقام بعضهم بتأليف كتاب أسماء (العواصم من القواصم) في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول (ص) حشد فيه مئات التبريرات والروايات التي تخفي مساوئ القوم وتتستر على الإنحرافات وتتفى نفياً قاطعاً وقوع خطأ من جانبهم. مهتداً المسلمين وزاجراً لهم عن الخوض في مثل هذه الأحداث وإعمال العقل فيها..^(٢٤)

الرجال:

إن المتأمل في أطروحة أهل السنة يتبين له أن الرجال لهم الدور البارز في هذه الأطروحة بحيث نراهم وكأنهم طغوا على النصوص بل هم طغوا عليها وتجاوزوها بالفعل..

من هنا يمكن القول أن عقيدة أهل السنة تقوم على الرجال ولا تقوم على النصوص وسوف نبرهن على ذلك من خلال نصوصهم المعتمدة..

والرجال الذين تقوم عليهم عقيدة أهل السنة أصناف ثلاثة:

- الخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي..

- السلف : الصحابة والتابعين..

- الفقهاء : المذاهب الأربعة وغيرهم..

يقول ابن تيمية عن أهل السنة:.. وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله..^(٢٥)

ويقول الطحاوي: وثبتت الخلافة بعد رسول الله (ص) أولاً لأبي بكر تفضيلاً له

وتقدماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان، ثم لعلي بن أبي طالب.
وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون.. (٢٧)

ويقول ابن قدامة المقدسي: وأفضل أمته - أي الرسول - أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.. وهو - أي أبي بكر - أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي.. ثم من بعده عمر لفضله وعهد أبي بكر إليه. ثم عثمان لتقديم أهل الشورى له ثم علي وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون.. (٢٧)

ويقول النسفي: وخلافتهم - أي الأربعة - ثابتة على هذا الترتيب.. (٢٨)

وحول الالتزام بنهج السلف يقول الأشعري: لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو في تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم.. (٢٩)

ويقول ابن تيمية: والاجماع هو الأصل الثالث - بعد القرآن والسنة - الذي يعتمد عليه في الدين والعلم. وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والاجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.. (٣٠)

ويقول صاحب جوهرة التوحيد: وكن كما كان خيار الخلق حليف حلم تابعاً للحق فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف.. (٣١)

ويقول الطحاوي: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا ينكرون إلا بالجميل ومن نكروهم بعموء فهو على غير السبيل.. (٣٢)

ويتبنى أهل السنة في الصحابة عقيدة خاصة تميزوا بها عن سواهم وقد قادتهم في النهاية إلى تقديمهم على النصوص وإضفاء العصمة عليهم..

فهم أولاً يعرفون الصحابي بما يلي:

يقول علي بن المديني شيخ البخاري: من صحب النبي (ص) أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي.. (٣٣)

ويقول البخاري: من صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.. (٣٤)

ويقول ابن حجر: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو. ومن غزا معه أو لم يغز. ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى، فيدخل في قولنا مؤمناً به كل مكلف من الجن والانس..^(٣٥)

وعلى هذا إجماع أهل السنة. ولا شك أن مثل هذا التعريف يثير الكثير من الشكوك إذ يدخل في دائرة الصحبة كل من هب ودب من الناس. إلا أن مكن الشك يتركز حول إطلاق صفة العدالة على جميع الصحابة دون تمييز..

يقول السفاريني: والذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل واحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم والإعتقاد بنزاهتهم وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم.. هذا مذهب كافة الأمة ومن عليه المعول من الأئمة..^(٣٦)

ويقول ابن الصلاح: للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسئل عن عدالة أحد منهم بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم معدلين بنصوص الكتاب والسنة والاجماع..^(٣٧) ويقول ابن الأثير مستثنياً الصحابة من الجرح والتعديل: فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح لأن الله عز وجل زكاهم وعدلهم وذلك مشهور لا يحتاج لذكره..^(٣٨)

ويقول ابن عبد البر: فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله. ولا أعدل ممن أرتضاه الله بصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منها..^(٣٩)

ويقول القرطبي: فالصحابة كلهم عدول. أولياء الله تعالى وأصفياءه وخيرته ممن خلق بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهب شروزمة لامبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم..^(٤٠)

ويدافع ابن تيمية عن هذه الرؤية مبدداً الشبهات التي من الممكن أن تثار حولها بقوله على لسان أهل السنة: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم - أي الصحابة -

منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه.. والصحيح منه هم فيه معذورون..

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الآثام وصفائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة. ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر..

حتى أنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم. لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم..

وقد ثبت بقول الرسول (ص) أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم..

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه. أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعته محمد (ص) الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه..

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف في الأمور التي كانوا فيها مجتهدين أن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور..

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح..

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم. وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله..^(٤١)

والتأمل في كلام ابن تيمية هذا يتضح له أنه خلق من المبررات الوهمية فضلاً عن النتائج التي بلا مقدمات ما يؤدي في النهاية إلى الحكم بعصمة جميع الصحابة..

ولقد إضطر أهل السنة في مواجهة خصومهم إلى جعل تصوراتهم ورؤيتهم في الرجال خلفاء وصحابة وسلف من أصول الاعتقاد. فمن ثم اكتنظت كتب العقائد

لديهم بالنصوص التي تفرض على المسلم قبول هذه الرؤية وإرهايه من الحيدة عنها..

يقول ابن قدامة المقدسى: ومن السنة تولى أصحاب رسول الله (ص) ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم وإعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم.. ومعاوية خال المؤمنين وكاتب الوحي أحد خلفاء المسلمين..^(٤٢)

ويقول الأشعري: وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ما يذكرون به. وعلى أنهم أحق أن تنشر محاسنهم وتلتبس لأفعالهم أفضل المخرج. وأن يظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ممثلين في ذلك قول الرسول (ص): إذا ذكر أصحابي فأمسكوا.. وأجمعوا على أن ما كان بينهم من الأمور الدنيوية لا يسقط حقوقهم كما لا يسقط ما كان بين أولاد يعقوب (عليه السلام) من حقوقهم..^(٤٣)

ويقول الطحاوي: ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله (ص) وأزواجه الطاهرات من كل نفس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برىء من النفاق..^(٤٤) ويقول ابن حنبل: تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم..^(٤٥)

ويقول ابن تيمية: ويتبرعون - أي أهل السنة - من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم.. ويمسكون عما شجر بين الصحابة..^(٤٦)

ويقول ابن حنبل: وخير هذه الأمة بعد نبيها (ص) - أبو بكر وخيرهم بعد أبي بكر - عمر وخيرهم بعد عمر - عثمان وخيرهم بعد عثمان - علي رضوان الله عليهم - خلفاء راشدون مهديون. ثم أصحاب محمد (ص) بعد هؤلاء الأربعة. لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأنيبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه. بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة. وجلده في المجلس حتى يتوب ويرجع..^(٤٧)

هوامش

- (١) انظر الأم وكتب أصول الفقه..
- (٢) تدريب الراوى ١ / ١٣١ . ومسلم شرح النووي ح ١ / ١٩ ..
- (٣) مقدمة فى أصول التفسير..
- (٤) أنظر مختصر الصواعق لابن القيم ٢ / ٣٧٣ ..
- (٥) أنظر مقدمة ابن الصلاح..
- (٦) أنظر العلل ومعرفة الرجال ١ / ١٢٢ ..
- (٧) مسلم . المقدمة..
- (٨) أنظر حاشية كريلاء فى كتب التاريخ أحداث عام ٦١ هـ . وانظر طبقات ابن مسعود ..
- (٩) أنظر هدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر . وميزان الاعتدال فى علم الرجال للنهلبى..
- (١٠) رواء مسلم . كتاب الامارة..
- (١١) أنظر شرح العقيدة الطحاوية..
- (١٢) أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطى . المقدمة..
- (١٣) أنظر الحاكم والترمذى وكتب السنن..
- (١٤) أنظر المراجع السابقة..
- (١٥) أنظر البخارى ومسلم كتاب الإمارة..
- (١٦) أنظر كتب السنن..
- (١٧) مسلم . باب فضائل الامام على..
- (١٨) انظر لنا كتاب السيف والسياسة فى الإسلام وانظر كتاب العواصم من القواصم لابن العربى والمراجع التاريخية . فترة وفاة الرسول (ص) . ومن أهم النصوص التى تسلىح بها القوم فى مواجهة الانتصار رواية: الأئمة فى قريش..

(١٩) أنظر حادثة فذك والخلاف بين فاطمة وأبي بكر في البداية والنهاية لابن كثير
وكتب التاريخ..

(٢٠) أنظر العواصم من القواصم والبداية والنهاية..

(٢١) أنظر المرجعين السابقين. وأنظر نيل كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر
الهيتمي..

(٢٢) أنظر العواصم من القواصم والبداية والنهاية..

(٢٣) من الكتب المنبؤة عند أهل السنة التي يحذرون من قراءتها: كتاب صفين
لفنصر بن مزاحم ومروج الذهب للمسعودي. والأغانى للأصفهاني..

(٢٤) طبع هذا الكتاب عشرات الطباعات في مصر بتوجيه ودعم من السعودية وهو
منتشر بين التيارات الإسلامية في مصر وغيرها. ويذكر أن هذا الكتاب موجه
إلى الشيعة على وجه الخصوص..

(٢٥) العقيدة الواسطية..

(٢٦) العقيدة الطحاوية..

(٢٧) لمعة الاعتقاد..

(٢٨) العقيدة النسفية..

(٢٩) رسالة الثغر أو أصول أهل السنة والجماعة. ط القاهرة..

(٣٠) العقيدة الواسطية..

(٣١) أنظر متن جوهرة التوحيد..

(٣٢) العقيدة الطحاوية..

(٣٣) فتح الباري ج ٧ / ٤ ..

(٣٤) البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي..

(٣٥) الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ / ٧ ..

(٣٦) الدرة المضيئة وشرحها - عقيدة سفاريني ج ٢ / ٣٣٨ ..

(٣٧) علوم الحديث ص ٢٦٤ ..

-
- (٣٨) أسد الغابة ج ١ / ط القاهرة..
- (٣٩) الاستيعاب في معرفة الاصحاب. هامش الاصابة..
- (٤٠) الجامع لاحكام القرآن الكريم ج ١٦ / ٢٩٩ / ٣٢٢ ..
- (٤١) العقيدة الواسطية..
- (٤٢) لمعة الاعتقاد..
- (٤٣) رسالة الثغر..
- (٤٤) العقيدة الطحاوية..
- (٤٥) عقيدة أهل السنة..
- (٤٦) العقيدة الواسطية..
- (٤٧) أنظر عقيدة أهل السنة وأنظر كتابنا الخدعة. فصل تضخيم الرجال ط بيروت.
- وأنظر ابواب فضائل الصحابة في كتب السنن وأنظر ملاحق الكتاب..
- (٤٨) انظر تراجم الثلاثة في كتب السنن. وكتب التاريخ..

نصوص

العقيدة

عقيدتهم في الله..
عقيدتهم في الرسول..
عقيدتهم في القرآن..
عقيدتهم في الأحكام..

● عقيدتهم في الله :

جاء رد فعل أهل السنة تجاه الشيعة والمعتزلة ومن أسموهم بالجمهية والقدرية والمرجئة وتجاه رؤيتهم حول أسماء الله وصفاته وأفعاله - معاكساً للحقيقة وأوقعهم في متاهة التشبيه والتجسيم ونسبة الظلم إلى الله سبحانه..

يقول ابن حنبل في عقيدته: والله عز وجل قضى قضاءه على عباده لا يجاوزون قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له واقعون فيما قدر عليهم لامحالة وهو عدل منه عز وجل..

والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله عز وجل والذنوب والمعاصي كلها بقضاء وقدر الله عز وجل من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة بل الله عز وجل الحجة البالغة على خلقه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون..

وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئته منه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصاه إبليس إلى أن تقوم الساعة - المعصية وخلقهم لها وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها - فكل يعمل بما خلق له وصائر إلى ما قضى الله عليه منه - لم يعدوا أحد منهم قدر الله ومشيئته والله فعال لما يريد..

ومن زعم أن الله شاء لعباده الذين عصوا الخير والطاعة وأن العباد شاموا لأنفسهم الشر والمعصية ويعملون على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله فأى افتراء على الله أكبر من هذا؟..

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له: أرايت هذه المرأة حملت بزنا وجاءت بولد هل شاء الله أن يخلق هذا الولد؟.. وهل مضى ذلك في سابق علمه؟ فإن قال: لا - فقد زعم أن مع الله تعالى خالقاً وهذا هو الشرك صريحاً..

ومن زعم أن السرقه وشرب الخمر وأكل المال الحرام: ليس بقضاء - فقد زعم أن

هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره. وهذا يضارع قول المجوسية. بل كل رزقه الله. وقضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله..

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله. وأى كفر أوضح من هذا؟ بل كان ذلك بقضاء الله وقدره. وكل ذلك بمشيئته في خلقه. وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد.. ومن أقر بالعلم لزمه الاقرار بالقدر والمشيئة..

ثم يقول: والماء فوق السماء السابعة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق الماء والله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة.. والله تعالى يضحك ويفرح ويحب ويكره وينزل كل ليلة من السماء إلى السماء الدنيا.. وخلق الله آدم بيده ويخرج قوماً من النار بيده وينظر أهل الجنة إلى وجهه ويرونه فيكرمهم ويتجلى لهم فيعطاهم^(١).

ويقول الأشعري في رسالة أهل الثغر ناقلاً إجماع أهل السنة على أن صفات الله حقيقة لامجازاً: واستدلوا على ذلك بأنه - سبحانه - لو لم يكن له فعل لم يكن فاعلاً في الحقيقة. ومن لم يكن له إحسان لم يكن محسناً. ومن لم يكن له كلام لم يكن متكلماً في الحقيقة. ومن لم يكن له إرادة لم يكن في الحقيقة مريداً. وإن وصف بشيء من ذلك مع عدم الصفات التي توجب هذه الأوصاف له لا يكون مستحقاً لذلك في الحقيقة وإنما يكون وصفه مجازاً أو كذباً.. ونلك أن هذه أوصاف مشتقة من أخص أسماء هذه الصفات ودالة عليها. فمتى لم توجد هذه الصفات لمن وصف بها كان وصفه بذلك تلقيباً أو كذباً فإذا كان الله عز وجل موصوفاً بجميع هذه الأوصاف في صفة الحقيقة وجب اثبات الصفات التي أوجبت هذه الأوصاف له في الحقيقة وإلا كان وصفه بذلك مجازاً..

وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى وإن له تعالى يدان مبسوطتان وإن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوازاً وإن يديه تعالى غير نعمته. وقد دل على ذلك تشريفه لأدم(ع) حيث خلقه بيده..

وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له. وإن رضاه عنهم أرادته لنعيمهم وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم وإن غضبه أرادته لعذابهم وأنه لا يقوم لغضبه شيء. وأنه تعالى فوق سموات على عرشه دون أرضه.

وان له عز وجل كرسياً دون العرش وجاءت الأحاديث عن النبي (ص) ان الله تعالى يضع كرسية يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه..

وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين وجوههم. وقد بين ذلك النبي ورفع كل إشكال فيه..^(٢)

وأجمعوا على أن الله كان قادراً على أن يخلق جميع الخلق في الجنة متفضلاً عليهم بذلك لأنه تعالى غير محتاج إلى عبادتهم وأنه قادر أن يخلقهم كلهم في النار ويكون بذلك عادلاً عليهم لأن الخلق خلقه والأمر أمره..

وجاء في العقيدة الطحاوية: ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لم اعتبارها منهم بوجه أو تأويلها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معين يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق التشبيه زل ولم يصب التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه أحد من البرية وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لاتحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.. والعرش والكرسي حق. وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه.. وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد وكل شيء يجري بمشيئة وعلمه وقضائه وقدره غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً.. والخير والشر مقدران على العباد..^(٣)

ويقول صاحب لمعة الاعتقاد: وكل ما جاء في القرآن أوضح عن المصطفى (ص) من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك العرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله ونجعل عهده على ناقله إتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه..

ونقول كما قال - سبحانه - ونصفه بما وصف به نفسه لاتتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن..

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف كلهم متفقون على الإقرار والإقرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله..

وأنه - سبحانه - يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه. ويأذن لهم فيزورونه. والمؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه.. وفيما نقل من علامات النبی (ص) وأصحابه في الكتب المتقدمة: (أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء..^(٤)

ويقول ابن تيمية: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف في كتابه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.. وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك.. فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه بآن على خلقه.. وكل هذا الكلام الذي ذكره الله - من أنه فوق العرش وأنه معنا - حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف..

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به ويكتبه وبملائكته ويرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحوماً ليس بها سحب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.. والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم..^(٥)

ويقول النسفي: ورؤية الله تعالى جائزة في العقل واجبة بالنقل وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى في دار الآخرة فيرى لافي مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى.. والله تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وهي كلها بإرادته ومشيئته وحكمه وقضيته وتقديره وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها ويعاقبون عليها والحسن منها برضاء الله تعالى.. والقيح منها ليس برضائه تعالى..^(٦)

ويقول ابن القيم في نونيته:

جحدوا صفات الخالق الديان

والعرش أخلوه من الرحمن

اسمع مقاله ناصح معوان

ضرب المجاهد فوق كل بنان

هذا ولكن جد في الكفران

في قالب التنزيه للرحمن

هم خارج عن جملة الاكوان

والعرش من رب ولارحمان

جهنم بن صفوان وشيعته الالى

بل عطلوا منه السموات العلى

يا أيها الرجل المريد نجاته

وأضرب بسيف الوحي كل معطل

وأتى فريق ثم قارب وصفه

فاسر قول معطل ومكذب

إذ قال ليس بداخل فينا ولا

كلا ولا فوق السموات العلى

ولقد اتانا عشرة أنواع من المنقول في فوقية الرحمن

مع مثلها أيضاً يزيد بواحد هانحن نسردنا بلا كتمان

هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير بـ (استولى) لذي العرفان^(٧)

قد افردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر للعالم الحراني^(٨)

• نصوص القرآن:

هناك الكثير من الآيات القرآنية الخاصة بصفات الله سبحانه والتي دار حولها

الخلافاً بين أهل السنة والاتجاهات الأخرى..

وسوف نورد هنا بعض هذه الآيات ثم نورد بعدها الروايات التي تبناها أهل

السنة وانعكست على هذه الآيات بالسلب وكانت أساس الخلاف بينهم وبين

الآخرين من الشيعة والمعتزلة والمتكلمين وحتى الأشاعرة والخلف من أهل السنة.

يقول سبحانه: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا. بل يداه

مبسوطتان ينفق كيف يشاء..

ويقول: وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني..

ويقول: أننى معكما أسمع وأرى..

ويقول: الرحمن على العرش استوى..

ويقول: يا عيسى انى متوفيك ورافعك إلى..

ويقول: أمنتكم من فى السماء ان يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور. أم أمنتكم من فى السماء ان يرسل عليكم حامياً. فستعلمون كيف نذير..

ويقول: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا..

ويقول: لاتحزن ان الله معنا..

ويقول: وكلم الله موسى تكليماً..

ويقول: وجوه يومئذ ناضرة.. إلى ربها ناظرة..

ويقول: قل نزل به روح القدس من ربك بالحق..

ويقول: ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

ويقول: كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا..

ويقول: ليس كمثله شئ وهو السميع البصير..

ويقول: والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله أن الله واسع عليم..

ومثل هذه النصوص وغيرها وقف منها السلف موقف المفوضة..

ووقف منها الخلف موقف المؤولة..

ووقف منها أهل السنة موقف المشبهة..

ووقف منها الحنابلة موقف المشبهة والمجسمة..

وسوف نبين هذه المواقف بشئ من التفصيل..

يقول محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة: اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والاحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله (ص) فى صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه. فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبى (ص) وفارق الجماعة. فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن افتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا..^(٩)

وقال ابن حنبل عن أحاديث الصفات (ان الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا)

(وأن الله يرى) (وأن الله يضع قدمه) وما أشبه هذه الروايات: نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف ولا معنى ولا نرد منها شيئاً. ونعلم أن ما جاء به الرسول (ص) حق إذا كان بأسانيد صحاح. ولا نرد على الله قوله. ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه لأحد ولا غاية. ليس كمثله شيء... (١٠)

وروى عن الماجشون قوله: .. فما وصف الله من نفسه قسماً على لسان رسوله سميئاً كما سماه ولم تتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا. لا تجحد ما وصف ولا تتكلف معرفة ما لم يوصف... (١١)

نصوص الروايات:

يستند أهل السنة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله سبحانه ومجمل معتقداتهم على الروايات أكثر من اعتمادهم على نصوص القرآن..

وسوف نعرض هنا لبعض الروايات التي يتبنونها ويؤمنون بصحتها فيما يتعلق بعقيدتهم في الله. تلك الروايات التي بنوا على أساسها موقفهم من المخالفين لهم وحملوها على وجه الحقيقة كما حملوا نصوص القرآن وأعتمدوا عليها في دعم تفسيراتهم لتلك النصوص وأعتبروا الإيمان بها كالإيمان بنصوص القرآن..

وأول هذه الروايات القول المنسوب للرسول (ص): ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا.. (١٢)

والقول: يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة.. (١٣)

والقول للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء..؟ قال: أعتقها فهي مؤمنة.. (١٤)

والقول: إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتصامون في رؤيته.. (١٥)

والقول: لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته.. (١٦)

والقول: عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره. ينظر إليكم ازليين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب.. (١٧)

والقول: لاتزال جهنم يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجلاً

وفى رواية: عليها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض فتقول قط قط.. (١٨)

والقول: اذا قام احدكم إلى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه. فإن الله قبل وجهه ولكن عن يساره أو تحت قدمه.. (٢٠)

والقول: يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار.. (٢١)

والقول : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان.. (٢٢)

والقول: ان قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن.. (٢٣)

والقول: ان الله خلق آدم على صورته.. (٢٤)

والقول: يدى الله ملأى سماء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يقض ما فى يمينه.. (٢٥)

والقول : إن ربكم ليس بأعور.. (٢٦)

والقول: ان الله كتب كتاباً.. فهو عنده فوق العرش.. (٢٧)

والقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن.. (٢٨)

والقول : يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبعون ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الأمة بمناقبها. فيأتيهم الله تعالى فى غير الصورة التى يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله تعالى منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم فى الصورة التى يعرفونها. فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا.. (٢٩)

والقول: لا شخص أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ولاشخص أحب إليه المدح من الله.. (٣٠)

والقول يبنى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول: تعرف ننب كذا؟.. (٣١)

والقول ان الله لا ينام ولا ينبى له أن ينام. يخفض القسط ويرفعه. حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.. (٣٢)

والقول: يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع. والأرضين على

أصبع والجبال والشجر على أصبع ثم يهزم..(٣٣)

والقول: يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى.. ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون..(٣٤)

والقول: عن الله سبحانه: كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء..(٣٥)

والقول: أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض..(٣٦)

والقول: إن الله جميل يحب الجمال..(٣٧)

والقول: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما عزيته..(٣٨)

والقول: لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش.. أن رحمتي غلبت كل غضبي.. وفي لفظ سبقت..(٣٩)

والقول: من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب فإن الله يتقبلها بيمينه. فتقرب في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل..(٤٠)

والقول: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني.. وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة..(٤١)

والقول: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال: مه

قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب. قال: فذاك..(٤٢)

والحقو الكشح أي ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف. والكشحان جانباً البطن من ظاهر وباطن..(٤٣)

والقول: ضحك ربنا من قنوت عباده وقرب غيره.. قلت يا رسول الله أضحك الرب؟ قال (ص) نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً..(٤٤)

إن مكن مأزق الاعتقاد عند أهل السنة يكمن في كونهم طرحوا العقل جانباً وأحلوا محله الروايات وجعلوا من هذه الروايات حكماً على نصوص القرآن في أدق

وأخطر القضايا الاعتقادية وأكثرها حساسية وهي قضية الاعتقاد في الله..

ولقد كان السبب المباشر في تحصن أهل السنة بالروايات هو سد العجز السائد عندهم في مسألة الاستدلال حيث أنهم وقفوا عاجزين أمام نصوص القرآن عموماً ونصوص الصفات خصوصاً معطلين عقولهم رافضين الميل إلى آراء الآخرين..

وعلى أساس هذه الروايات حكموا بالضلال والزندقة على الإتجاهات الأخرى وأعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية المباركة من قبل الله تعالى..

أن حكم أهل السنة بتضليل الآخرين وزندقتهم إنما يبنى على أساس مخالفة أفكارهم ومعتقداتهم لا على أساس مخالفة نصوص القرآن أي أنهم جعلوا أفكارهم ورأيهم مقياس الحق والباطل وهم بهذا أنزلوه منزلة النص القرآني الذي هو النص الوحيد الذي لا يأتيه الباطل ولا يختلف حوله.. وتلك هي متاهة التكفير..

ومثل هذا الحكم إنما أستمد من موقفهم من الروايات وإعتقادهم فيها.

وحينما يقولون بصحة الروايات المتعلقة بصفات الله ويوجبون على المسلمين الإيمان بها وتخويفهم وإرهابهم من الحيدة عنها وطرحها، هم بهذا يساوونها بنصوص القرآن وهذا في ذاته قمة الضلال. إذ أن الروايات هي محل أخذ ورد وترك وقبول فكيف تبلغ بهم الجرأة أن ينسبوا لله صفة على أساس رواية ليست محل تسليم مطلق..

ومثل هذا التصور الفاسد إنما يوحى بأن طرق نقل الرواية التي اعتمدها أهل السنة هي طرق معصومة مع أن الحقيقة غير ذلك تماماً. فقد تدخلت السياسة والهوى في عملية النقل على ما هو واضح في كتبهم..^(٤٥)

وماذا يضير أهل السنة لو تمسكوا بنصوص القرآن ونزهوا الله سبحانه عن التشابهات؟ ولماذا يزندقون الذين يرفضون هذه الروايات الغريبة المنافية للقرآن وللعقل والتي تنسب إلى الله ما لا يليق به سبحانه..؟

ولماذا يرفضون المجاز ويصرّون على جعل صفات الله حقيقة..؟

وإنى لأعجب من جرأة هؤلاء القوم على الله برفضهم التأويل الذي هو عمل عقلي يهدف إلى تنزيه الله سبحانه عن التشبيه والتجسيم وتبنيهم حمل صفات الله على

الحقيقة دون خوف ولا خشية مستندين إلى مجموعة من الروايات محل شك ولا تخرج عن كونها إسرائيليّات تلك الروايات التي تصور أهل السنة وكأنهم شعب الله المختار المدللون من قبل الله سبحانه..

وإذا ما قدر لأهل السنة أن يتنازلوا عن هذه الروايات أو يفتحون باب القبول والرفض لها حينئذ سوف يتسارون بالآخرين ويفقدوا قداستهم التي تمنحهم إياها هذه الروايات وطالما تمسكوا بها فسوف يظلوا في طور التميز على الآخرين..

ويأتى الخلاف بين الخلف والسلف في مسألة الصفات ليقدم لنا دليلاً ساطعاً على أن الأمر لا يخرج عن كونه مجرد آراء لا يجوز أن يبنى على أساسها موقف اعتقادي يربط به مصير المسلم في الآخرة كما يحاول أن يصور ذلك أهل السنة، بل أن تمرد الخلف على السلف وإتجاههم لتأويل النصوص المتعلقة بالصفات إنما هو دليل آخر على أن إضفاء الحقيقة على صفات الله هو ضد القرآن والعقل وإلا ما دفع بالخلف إلى أعمال عقولهم في هذه النصوص؟

وأمام إصرار أهل السنة على موقفهم من صفات الله وأفعاله وقضايا أخرى في العقيدة سوف نعرض لها فيما بعد هاجمتهم التيارات الأخرى وأطلقت عليهم تسميات كثيرة تعكس طرحهم ومواقفهم وآرائهم..

فالبعض أطلق عليهم المشبهة..^(٤٦)

والبعض أطلق عليهم النواصب..^(٤٧)

والبعض أطلق عليهم المجبرة..^(٤٨)

والبعض أطلق عليهم الشكاكون..^(٤٩)

والبعض أطلق عليهم الحشوبة..^(٥٠)

ولاشك أن مثل هذه التسميات لم تأت إدعاء ولم تخلق من فراغ وإنما قامت على أساس أفكار وتصورات أهل السنة في العقيدة وأن المتعمق في عقائدهم سوف يتبين له أن هذه الإتهامات أو التسميات لها ما يبررها..

ولقد وقع أهل السنة في تناقض خطير أوقعهم في مأزق عقائدي حول صفات الله سبحانه وأفعاله ففي الوقت الذي يؤكدون فيه أن موقفهم من الصفات بلا تكييف ولا

تعطيل ولا تمثيل يؤكدون في نفس الوقت أن الله له مكان وله يد وله عين وينزل ويصعد وخلق آدم على صورته ووضع رجله في النار إلى غير ذلك من التشبيهات التي يأخذونها على حقيقتها ويرفضون تأويلها كما يرفضون المجاز. فكيف يستقيم نفى التشبيه مع الإقرار بحقيقة الصفات وضرورة الإيمان بالروايات التي جاءت فيها..؟

ان السؤال الذي يفرض نفيه على أهل السنة هنا هو:

هل تنزيه الله أولى أم الاعتقاد في رواية تتناقض مع هذا التنزيه؟

الايمن التضحية بهذه الروايات في سبيل تنزيه الله سبحانه..؟

لقد ألف ابن الجوزي كتاباً اسمه (دفع شبه التشبيه بألف التنزيه) رد فيه على الذين يأخذون بظاهر الآيات والروايات ويدعون أن هذا هو مذهب السلف مؤكداً أن الأخذ بالظاهر هو صورة من صور التجسيم والتشبيه على أساس أن ظاهر اللفظ هو ما وضع له فلا معنى لليد إلا الجارحة.. وهكذا. محمداً أن مذهب السلف ليس هو الأخذ بظاهر هذه النصوص ولكن السكوت عن البحث فيها..^(٥١)

وقام ابن خزيمة بتأليف كتاب، في الصفات أسماء كتاب (التوحيد) قال عنه فخر الرازي هو في الحقيقة كتاب الشرك، وقد بويه فقال: باب اثبات اليد. باب إمساك السموات على أصابعه. باب اثبات الرجل وإن رغمت المعتزلة..

إن المتأمل في الخلافات والأطروحات المتعددة والمتناقضة حول مسألة الصفات بين مختلف الفقهاء والمتكلمين في دائرة السلف والخلف يتبين له أن أهل السنة لا يمثلون في الحقيقة أي من الطرفين - السلف أو الخلف - وإنما هم يمثلون في الحقيقة إتجاهاً لقيطاً برز من خلال المدرسة الحنبلية في بغداد وأخذ دعمه لأسباب سياسية في عدة فترات زمنية حتى أستوى على ساحة الواقع اليوم في الحقبة النفطية بدعم الحكم السعودي وجهود فقهاء النفط..^(٥٢)

ونخرج مما سبق عرضه من نصوص أهل السنة السابقة إلى مايلي:

- أن النصوص المتعلقة بصفات الله سبحانه تؤخذ على ظاهرها حقيقة لا مجاز

ولا تأويل سواء كانت واردة في القرآن أو في الروايات..

-
- إن لله مكاناً فوق العرش..
 - أن الله يضحك ويفرح ويعجب ويضع رجله في النار..
 - أن الناس سوف ترى الله يوم القيامة..
 - أن الله ينزل إلى الدنيا كل ليلة..
 - أن الله جائز في حقه أن يدخل المطيع النار ويدخل العاص الجنة..
 - إن صورة آدم هي صورة الله..
 - أن الله سوف يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ويزودونه..
 - إن محاولة تأويل نصوص الصفات توهم وهوى لا يجوز الإقدام عليه..
 - أن هناك ثلاثة تيارات مختلفة حول الاسماء والصفات:
 - تيار السلف وهم المفوضة..
 - وتيار الخلف وهم المؤولة
 - وتيار أهل السنة وهم المشبهة والمجسمة..
 - أن أهل السنة يرفضون التأويل فيما يتعلق باسماء الله وصفاته بينما يبيحونه فيما يتعلق بالصحابة والحكام..

الهوامش

- (١) أنظر عقيدة أهل السنة.. وأنظر نصوص العقيدة بملاحق الكتاب..
- (٢) أصول أهل السنة والجماعة المسماة رسالة الثغر ط / القاهرة.. أنظر ملاحق الكتاب..
- (٣) أنظر متن الطحاوية فى ملحق الكتاب..
- (٤) أنظر ملحق الكتاب
- (٥) العقيدة الواسطية.. أنظر ملحق الكتاب..
- (٦) متن العقيدة النسفية.. أنظر ملحق الكتاب..
- (٧) نونية ابن القيم تحوى (٥٩٤٩) بيتاً وهو يسير فيها على نهج استاذة ابن تيمية منكراً المجاز ومردداً أقوال استاذة مما دفع الفقهاء للرد عليه، أنظر السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل ط / القاهرة..
- (٨) المقصود بهذا البيت ابن تيمية الذى ينتسب لبلدة حران بالشام..
- (٩) أنظر اللالكائى وكتب العقائد.. والأحناف يلتزمون بعقيدة الماتريدى بينما يلتزم الشافعية بعقيدة الأشعرى..
- (١٠) الصواعق المرسلة لابن القيم ١ / ٢٦٥ .
- (١١) أنظر اللالكائى وكتب العقائد..
- (١٢) أنظر البخارى كتاب التوحيد ومسلم ومسند أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى..
- (١٣) البخارى ومسلم والمراجع السابقة..
- (١٤) مسلم والمراجع السابقة..
- (١٥) البخارى ومسلم والمراجع السابقة..
- (١٦) المراجع السابقة..
- (١٧) المراجع السابقة..
- (١٨) المراجع السابقة..
- (١٩) المراجع السابقة..

(٢٠) البخارى كتاب الصلاة ومسلم وأنظر المراجع السابقة..

(٢١) المراجع السابقة..

(٢٢) المراجع السابقة..

(٢٣) رواه الترمذى ح ٤ وأنظر ابن ماجه ح ١..

(٢٤) رواه البخارى ومسلم / باب النهى عن ضرب الوجه

(٢٥) رواه البخارى وابن ماجه

(٢٦) رواه البخارى ومسلم

(٢٧) البخارى ومسلم وقد رد الأوزعى - فقيه الشام ت ١٥٧ هـ - على منكرى كون

الله فوق عرشه بقوله: كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق

عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات.. أنظر الاسماء والصفات

للبيهقى..

(٢٨) البخارى كتاب التفسير

(٢٩) أنظر كتب السنن..

(٣٠) البخارى كتاب التوحيد.. وأنظر كتب السنن..

(٣١) البخارى ومسلم..

(٣٢) ابو داود والترمذى وأنظر كتب السنن الأخرى..

(٣٣) البخارى ومسلم

(٣٤) البخارى كتاب التوحيد وابن ماجه ح ١ وأنظر كتب السنن..

(٣٥) أنظر سنن ابن ماجه ح ١.. والترمذى ح ٤..

(٣٦) أنظر كتب السنن..

(٣٧) أنظر البخارى ومسلم وكتب السنن..

(٣٨) أنظر المراجع السابقة..

(٣٩) أنظر البخارى وكتب السنن..

- (٤٠) أنظر المراجع السابقة..
- (٤١) البخارى كتاب التوحيد وأنظر كتب السنن..
- (٤٢) البخارى كتاب التفسير..
- (٤٣) أنظر البخارى ومسلم..
- (٤٤) رواه ابن ماجه ح ١ ..
- (٤٥) أنظر ميزان الاعتدال فى علم الرجال للزهبى. وهدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر. ولسان الميزان..
- (٤٦) الذين أطلقوا عليهم أهل السنة المشبهة هم المعتزلة..
- (٤٧) والذين أطلقوا عليهم للنواصب هم الشيعة. ونواصب جمع ناصبى وهو من ناصب آل البيت العداء..
- (٤٨) والذين أطلقوا عليهم المجبرة هم القدرية..
- (٤٩) والذين أطلقوا عليهم الشكاكون هم المرجئة..
- (٥٠) والذين أطلقوا عليهم الحشوية هم الخوارج
- (٥١) طبع هذا الكتاب فى القاهرة..
- (٥٢) أنظر فصل الوهابيون والجماعات الإسلامية من الكتاب.. وأنظر لنا فقهاء النفط..

● عقيدتهم في القرآن :

يعتقد أهل السنة أن القرآن هو كلام الله المنزل على محمد (ص) بلسان عربي مبين..

وأن هذا القرآن محفوظ من قبل الله لقوله تعالى : (أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون) غير أنهم يتبنون عدد من الروايات التي تتناقض مع هذا الاعتقاد وتشكك في هذا القرآن كما يتبنون بعض المواقف التي تؤدي الى نتيجة الشك في كتاب الله..

وسوف نعرض لرؤية أهل السنة وعقيدتهم في القرآن من خلال جانبين:

الأول : جانب الروايات ..

الثاني : مصحف عثمان..

أما الروايات فقد اكتظت كتبهم بعشرات الروايات التي تشير إلى تحريفه وزيادته ونقصانه وتقصير الرسول (ص) في جمعه والاهتمام به..

يروى البخاري أن عمر قال لأبي بكر: أن القتل قد استحر يوم القيامة بقراء القرآن وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن . وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن..

قال أبو بكر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟

قال عمر: هذا والله خير..

قال أبو بكر : فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك..

ومثل هذه الرواية تشير إلى أن الرسول (ص) مات وترك القرآن مشتتاً بين صدور الصحابة ومهدد بالضياح وهو بهذا الموقف يكون قد أهمل واجبه الاساسي الذي بعث لأجله خاصة أنه لا نبي بعده.. فهل يجوز ذلك في حق الرسول؟

يروى البخاري أن أبا بكر قام بتكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن بقوله : أنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فلتبج القرآن فاجمعه.

قال زيد: فقتبعت القرآن أجمعه من العب والخاف وصدور الرجال حتى وجدت

آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى لم أجدها مع أحد غيره. فكانت
الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر..

ومن الواضح أن هذه الطريقة فى جمع القرآن تثير الشك وتدفع الى القول
بتحريف القرآن: فكيف بشخص واحد - شاب - يقوم بهذه العملية وحده وهى عملية
خطيرة يرتبط بها مستقبل الدين..؟

أين كبار الصحابة . أين على بن أبى طالب وأين مسعود وأبى ابن كعب وهؤلاء
كانوا من كتاب الوحي ولهم شهرتهم ومكانتهم. ولماذا لم يستعن بهم أبو بكر..؟

وكيف لا توجد آيات التوبة إلا عند واحد فقط. إلا يعنى هذا اتهام الرسول
بالتقصير فى تبليغ القرآن للناس..؟ ألا يعنى أنه من الممكن أن تكون هناك آيات قد
فقدت ثم كيف بالمصحف أن يحتكر بعد جمعه فى حوزة أبى بكر ثم عمر ثم ابنته
حفصة أهو ميراث خاص بهم..؟ وإذا ما استسغنا حكر أبو بكر وعمر للمصحف
بحكم امساكهما للسلطة فكيف نستسيغ حكر حفصة له..؟ وكيف لنا أن نتقبل عقلاً
تلك الخلافات التى وقعت بين زيد والآخرين حول آيات القرآن والتى دفعت بأبى بكر
الى استحضار شاهدين يشهدان على صحة الآية..؟

ثم أننا بعد ذلك كله نتسائل أين دور أبو بكر وعمر فى هذا الجمع؟ أين ما حفظاه
من كتاب الله عن الرسول..؟

ويروى أهل السنة فى كتبهم أن هناك آيات نزلت من القرآن ثم رفعت وبقي حكمها
وآيات بقيت ونسخ حكمها..

ومن الآيات التى رفعت: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة..^(١)

: بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا..^(٢)

وقال ابن كعب : كانت سورة الاحزاب قدر البقرة..^(٣)

وقال حذيفة: ما يقرؤن ربعها أى سورة براءة..^(٤)

ويروى عن ابن عمر أنه كان يكره أن يقول رجل قرأت القرآن كله. ويقول أن منه
قرآنا قد رفع..^(٥)

ويقول أبو موسى الاشعري : إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول والشدة

ببراءة فأنسيتها غير أنى قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب..^(٦)

وقال عمر: لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله لكتبته: الشيخ والشيخة فارجموها البتة..^(٧)

وفى مسند أحمد عن أبى واقد الليثى قال : كنا نأتى النبى (ص) إذا أنزل عليه فيحدثنا . فقال لنا ذات يوم أن الله عز وجل قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان. ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب..

وروى الطبرانى والبيهقى أن من القرآن سورتين الأولى منهما: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك..

والثانية منهما: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ونصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد إن عذابك بالكفار ملحق..

وعن أبى بن كعب قال : أن رسول الله (ص) قرأ عليه (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب وفيها أن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً قلن يكفره..)^(٨)

وقال زيد بن ثابت : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها. فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الانصارى وهى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فالحقناها بالمصحف..^(٩)

ويروى ابن عباس أن عمر قال وهو على المنبر: أن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم. فقرأناها وعقلناها ووعيناها. فلذا رجم رسول الله (ص) ورجمنا من بعده. فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال . ثم إنا كنا نقرأ من كتاب الله : أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو أن كفروا بكم أن

ترغبوا عن أبا نكم.. (١٠)

ويروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمن النبي
مثنى آية. فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر إلا ما هو الآن.. (١١)

وتأتى بعد تلك الروايات قصة جمع عثمان للمصحف وما تثيره من شكوك
وعلامات استفهام حول القرآن..

يروى أهل السنة أن عثمان لما أراد جمع القرآن أرسل الى حفصة أن أرسل
إلينا بالمصحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إلى عثمان.. (١٢)

والسؤال الذى يطرح نفسه إذا كان عثمان قرر جمع القرآن ووجد أمامه ما يوجب
فعل ذلك. فلماذا اختار مصحف حفصة الذى جمعه زيد بن ثابت بأمر أبى بكر
وعمر وقرر احراق المصاحف الأخرى..؟

أن هذا الحدث يكشف لنا حقيقة هامة وهى أن هناك مصاحف أخرى كانت
موجودة في زمن أبى بكر وعمر غير مصحف حفصة وهى المصاحف التى كانت
بحوزة الصحابة قبل عملية احراقها وإلزام الأمة بمصحف عثمان..

وهنا يطرح سؤال آخر: إذا كانت هذه المصاحف موجودة بعد وفاة الرسول (ص)
فما الذى دفع بابى بكر وعمر إلى جمع مصحف آخر؟ ولماذا صور عمر أن القرآن
مهدد بالضياح ولا وجود له إلا فى صدور القراء الذين يقاتلون فى اليمامة..؟

إن أهل السنة أمام قطعة عثمان بين أمرين:

إما أن يقرروا بأن القرآن لا وجود له إلا فى حوزة حفصة التى ورثته عن عمر
وأبيها وإما أن يقرروا بأن هناك مصاحف أخرى كانت موجودة فى زمن الرسول
وبعد وفاته:

فعلى ضوء الأمر الأول يبرر فعل عثمان..

وعلى ضوء الأمر الثانى يكون فعل عثمان لا مبرر له..

والمعروف أن أهل السنة يعتقدون أن جمع القرآن من أعظم فعال عثمان وهم بهذا
يهملون الروايات الأخرى الواردة فى كتبهم والتى تؤكد أن الصحابة كانت لديهم
مصاحف أخذوها عن الرسول (ص) وأن هذه المصاحف لم يتعرض لها أبو بكر أو

عمر ولم يقرر أحراقها كما فعل عثمان..

كان هناك مصحف على بن ابي طالب..

وكان هناك مصحف ابن مسعود..

وكان هناك مصحف ابي بن كعب..

وكان هناك مصحف ابن عباس..^(١٢)

وإذا كان أبو بكر وعمر استعانوا بزيد بن ثابت في جمع مصحفيهما ولم يستعينا بأي من هؤلاء الأربعة . فإن عثمان فعل نفس الشيء واستعان بزيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله ابن النزي..^(١٤)

أن مثل هذه الروايات تقودنا إلى أن موقف عثمان هو امتداد لموقف ابي بكر وعمر.

وتقودنا من جانب آخر إلى الشك في دور الخلفاء الثلاثة تجاه القرآن. بل تقودنا بالإضافة إلى ذلك إلى الشك في القرآن ذاته..

وإذا كانت المصادر التي بين أيدينا لم تكشف لنا عن أية معارضة لما فعله أبو بكر وعمر فإن مصادر أهل السنة كشفت لنا أن هناك معارضة شديدة لما فعله عثمان..

يروى البخاري: خطبنا ابن مسعود فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله (ص) بضماً وسبعين سورة. والله لقد علم اصحاب النبي أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم..

ويرى أبو داود والنسائي : خطبنا ابن مسعود فقال : قال سبحانه (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) غلوا مصاحفكم . وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت من في رسول الله (ص)..

وفي رواية يقول ابن مسعود: إني غال مصحفي فمن أستطاع إن يغل مصحفه فليفعل..

وفي رواية: والله لا أبغعه . يعني مصحفه . لعثمان. أقرأني رسول الله..

ومثل هذا الموقف من ابن مسعود تجاه عثمان يكشف لنا أن عمل عثمان لم يكن

محل اجماع الصحابة. وان هناك هدف آخر من وراء حرق المصاحف . حتى ان بعض الصحابة أطلق على عثمان: حراق المصاحف..^(١٥)

ويكشف لنا موقف ابن مسعود من جهة أخرى ان هناك مواقف تجاه مصحف حفصة الذي جمع على يد ابي بكر وعمر. حيث ان مصحف عثمان الذي رفض من قبل ابن مسعود وغيره هو نفسه مصحف حفصة..

وكان عثمان هو الذي قام بحذف بسم الله الرحمن الرحيم من سورة التوبة ووصلها بسورة الانفال مدعياً ان رسول الله (ص) قبض ولم يبين أمر البسملة وقد وصل السورتين ببعضهما لتشابههما..^(١٦)

يروى البخاري ان جبريل كان يعرض على النبي (ص) القرآن كل عام مرة. فعرض عليه في العام الذي قبض مرتين..^(١٧)

وهذه الرواية تتناقض مع الروايات السابقة التي تتصل بالخلفاء الثلاثة وهي تؤكد من جهة أخرى ان القرآن كان موضع اهتمام جبريل والرسول..

الهوامش

- (١) انظر فتح البارى ج ٨ / ٢٦ . ومسلم ج ٥ / ١١٦. وانظر كتب تاريخ القرآن.. وانظر مستدرك الحاكم والاتقان فى علوم القرآن للسيوطى.
- (٢) انظر المراجع السابقة..
- (٣) انظر المراجع السابقة..
- (٤) انظر المراجع السابقة..
- (٥) انظر المراجع السابقة..
- (٦) رواه مسلم باب الزكاة وانظر مسند أحمد وموطأ مالك.
- (٧) مستدرك الحاكم وانظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى..
- (٨) مسند أحمد. وانظر المراجع السابقة.
- (٩) انظر فتح البارى ج ٩ .. كتاب فضل القرآن..
- (١٠) فتح البارى ج ٨ / ٢٦ . ومسلم ج ٥ / ١١٦ .. وانظر مسند أحمد..
- (١١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى..
- (١٢) انظر فتح البارى ج ٩ وكتب تاريخ القرآن..
- (١٣) انظر الاتقان وكتب تاريخ القرآن..
- (١٤) انظر المراجع السابقة..
- (١٥) فتح البارى ج ٩ .. وانظر كتب التاريخ فترة مصرع عثمان ..
- (١٦) انظر المرجع السابق وكتب تاريخ القرآن..
- (١٧) البخارى باب كان جبريل يعرض القرآن على النبى .. وانظر فتح البارى ج ٩ ..

● عقيدتهم في الرسول (ص) :

تقوم عقيدة أهل السنة في رسول الله (ص) على ما يلي:

- أن الرسول له جانبان : جانب معصوم وجانب غير معصوم..

- أن الرسول يضيف على القرآن..

- أن الرسول يعشق النساء..

- أن عمر ينازع الرسول في أمر الوحي..

وبالنسبة لأمر العصمة فأجماع أهل السنة على جواز وقوع النسيان من الرسول (ص) لكنهم اختلفوا فيما يكون النسيان. هل ينسى في التبليغ عن الله ما يتعلق بالأحكام والأفعال..؟

ويقول ابن حزم: والسهو منهم - أي الأنبياء - قد ثبت بيقين وأيضاً فإنه ندب الله تعالى لنا إلى التأسى بهم لا يمنع من وقوع السهو منهم لأن التأسى بالسهو لا يمكن إلا بسهو منا.

إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسول الله (ص) إذا سها..^(١)

وقال الأشاعرة يجوز على الأنبياء الكبائر والصغائر إلا الكفر والكذب وعلى هذا طوائف أخرى من أهل السنة..

ويؤكد ابن تيمية أن أنكار السهو من الغلو في عصمة الأنبياء ، وأن هذا القول لم يوافق عليه أحد من أهل السنة..^(٢)

وينقل عن أهل السنة قولهم عن الرسول (ص) : أما السهو فممتنع عليهم في الأخبار البلاغية وغير البلاغية وجائز عليهم في الأفعال البلاغية. أما النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت أو فعلية . أما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر الله تعالى أما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم. ويجوز على ظواهرهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدي إلى نقص وأما بواطنهم فممنزّه عن ذلك متعلقة بربهم..^(٣)

ويقول ابن تيمية: والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ

باتفاق المسلمين، وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع، ومتنازعون في أن العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها؟ أم هل العصمة إنما هي الاقرار عليها لا في فعلها؟ أم يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط؟ وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبحث أم لا..؟ والقول الذي عليه جمهور المسلمين وهو الموافق للأثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقاً..^(٤)

ويرد ابن تيمية على القائلين بالنفي أي نفى وقوع المعاصي على الأنبياء بقوله: وكذلك ما لاحتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال أو أنها مما عظمت عليه النعمة أقبح أو أنها توجب التنفير أو نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه. كما قال بعض السلف كان داود (ع) بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة..

ثم قال : لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنوب أكرم الخلق عليه..^(٥) ويقول أهل السنة مبررين موقفهم من قضية العصمة: وليس في ذلك حط من منصبه العظيم الذي أكرمه الله به لأن منصب النبوة منصب على العلم بالأمور الدينية من الاعتقاد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والأمور الشرعية . أما إذا اعتقد أن فلاناً مظلوم فإذا هو ظالم أو أن دواءً معيناً يشفى من مرض معين فإذا هو لا يشفى منه. أو أن تديراً زراعياً أو تجارياً أو صناعياً يؤدي إلى هدف معين فإذا هو لا يؤدي إليه. أو يؤدي إلى عكسه. أو أن تديراً عسكرياً أو إدارياً سينتج مصلحة معينة. أو يدفع ضرراً معيناً فإذا هو لا يفعل . فإن ذلك الاعتقاد لا دخل له بالنبوة. بل هو يعتقده من حيث هو إنسان له تجاربه الشخصية وتأثيراته بما سبق من الحوادث وما سمع أو رأى من غيره مما أدى إلى نتائج معينة . فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظن واعتقد..^(٦)

وقد اعتمد أهل السنة في رؤيتهم هذه . كما هي عانيتهم . على عدد من الروايات التي صححوها بطريقهم..

وأول هذه الروايات رواية تقول : قدم النبي (ص) إلى المدينة فإذا هم يأبسون النخل فقال: ما تصنعون...؟ قالوا: كنا نصنعه. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً . فتركوه.

فنفضت. فذكروا ذلك له. فقال: إنما أنا بشر. إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر..^(٧)

وفي رواية أخرى قال لهم الرسول بعد أن نفض النخل: أنتم أعلم بأمور بنيانكم..^(٨)

وتأتى هذه الروايات - رواية تقول على لسان الرسول (ص) : إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع . فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار..^(٩)

وفي رواية أخرى: إنما أنا بشر، وأنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له بذلك..^(١٠)

وعن عائشة قالت: سحر النبي (ص) رجل صار من بنى زريق يقال له ليبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله (ص) يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي. فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب. قال من طبه قال ليبيد بن الأعصم. قال في أي شيء . قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخله ذكر قال: وأين هو؟ قال في بئر نروان. فأتاها رسول الله (ص) في ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة كأن ساعها نقاعه الحناء أو كأن رؤوس الشياطين. قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال : قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً فأمر بها فدفت..^(١١)

وذهب جمهور أهل السنة إلى جواز وقوع السحر على رسول الله وأن ذلك لا يخالف العصمة ولا ينافي قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) لأن سحر النبي

(ص) كان من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض وأصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما يدل له قوله (ص) في آخر الحديث (قد عافاني الله).. (١٢)

وقال القاضي عياض: والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه (ص) كإتوارع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طرده عليه في أمر ديناه التي لم يبعث لسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورهما ما لاحقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان فكان غاية هذا السحر فيه (ص) إنما هو في جسده وظاهر جوارحه لا في عقله وقلبه ولذلك لم يكن يفتقد صحة ما خيل إليه أنه خيال لا حقيقة له . ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض .. (١٣)

ومثل هذه الروايات يستند إليها أهل السنة في دعواهم بأن شخصية الرسول (ص) لها جانبان : جانب نبوي غير معصوم من الممكن لخصومه وخصوم الرسالة أن ينالوا منه ويتآمروا عليه ويخدعوه ويسحروه، وهو في هذا الجانب من الممكن أن يرتكب حماقات البشر مثل التطفل كما هو واضح من رواية النخل التي ذكرناها والتي تفرض علينا التساؤلات التالية: هل كان رسول الله لا يفقه في النخل..؟

وإذا كان لا يفقه فيه فكيف يطلب من أصحابه ترك تأبيره..؟

ألا يعد ذلك تطفلاً من الرسول وتدخلأ فيما لا يعنيه..؟

هل يجوز ذلك في حق الرسول..؟

وإذا كان أصحاب النخل أطاعوا الرسول فعلى أي أساس أطاعوه وتركوا النخل ليفسد فلا شك أنهم أطاعوه لكونه رسول لا ينطق عن الهوى..؟

ألا يعني هذا تشكيكاً في الرحي حيث أن الرسول قال كلاماً لم تثبت صحته..؟

أليست مثل هذه الحادثة فرصة للمنافقين المتريصين بالرسول والدعوة في المدينة

لينالوا من الرسول ومن الوحي..؟

ثم إن أهل السنة يصورون الرسول بصورة المخدوع بلحن القول وقوة الحجة حتى أنه يصدر حكماً ظالماً على هذا الأساس وإذا كان من الممكن لشخص ما أن يخدع الرسول بزخرف القول ويصور له الحق باطلاً والباطل حقاً. فأين دور الوحي..؟

كيف يترك الرسول يصدر هذا الحكم الظالم وهو قد أرسل لتحقيق العدل بين الناس..؟

إن هذا الأمر من صميم الدين فكيف يفصل عن الوحي ويترك لبشرية الرسول. مثل هذا التصور إنما يعنى أن الوحي لا دور له، وما دام هذا الأمر لا صلة له به وهو متروك لاجتهاد الرسول حسب تصورهم .

وتأتى قضية السحر لتؤكد لنا مدى هامشية شخصية الرسول فى نظر أهل السنة ومدى إهمال الوحي له حتى أن بعض السحرة يسحرونه ويسيطرون عليه فيفعل الشئ ولا يفعله أى يتخيل فعل الشئ وهذا يعنى أن الساحر قد هيمن على الرسول نفسياً ومن الممكن أن يقول على لسانه ما يشاء. ومرة أخرى يطرح السؤال: أين دور الوحي..؟

ومن هذا المنظور الذى يفصل بين شخصية الرسول النبوية وشخصيته الدنيوية لم يتورع أهل السنة فى نسبة عشق النساء إليه وولعه بهن بل وفضح علاقاته الجنسية بزوجاته فذلك مبرر عندهم ما دام فى الجانب الدنيوى من شخصية الرسول..

يروى البخارى عن انس قوله: أن النبى (ص) كان يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة..^(١٤)

وفى غزوة خيبر أعجب الرسول بصفية بنت حى وكانت من السبى وقد زينها له القوم فانتزعها من صاحبها وأعطاه جارية مكانها ثم أقام بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبني عليه بصفية وأقام وليمة..^(١٥)

وقروى أم سلمة زوج الرسول (ص) : بينما أنا مضجعة مع رسول الله فى الخميلة إذ حضت فانسملت فأخذت ثياب حيضتى . فقال الرسول: أنفست؟ قلت:

نعم. فدعاني فاضجعت معه في الخميعة وكانت هي والرسول يغتسلان في الأثناء الواحد من الجنابة.. (١٦)

وتروى ميمونة زوج النبي (ص): كان رسول الله يضجع معي وأنا حائض ويبيني وبينه ثوب.. (١٧)

وتروى عائشة : كانت أحدانا إذا كانت حائضاً أمرها رسول الله فتأتر ثم يباشرها.. (١٨)

وتروى كتب السنن أن رسول الله عقد على عائشة وهي بنت ست سنين ويدخل بها وهي ابنة تسع.. (١٩)

ويروى الصحابة عن الرسول قولهم: كنا نتحدث أن له - أي الرسول - قوة عشرون رجلاً في الجماع.. (٢٠)

ويروى البخاري أن رسول الله (ص) قال لنسائه: لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها.. (٢١)

ويروى ابن كثير أن رسول الله (ص) أراد مفارقة سودة بنت زمعة لكبر سنها فقالت:

يا رسول الله لا تفارقني وأنا أجعل يومي لعائشة فتركها الرسول وصالحها على ذلك.. (٢٢)

ويروى مسلم أن رسول الله (ص) كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت. فدخل عليها رسول الله يوماً فطعمته ثم جلست تغلي رأسه فنام . أي نام في حجرها.. (٢٣)

ويروى البخاري أن نساء النبي بعثن إليه بفاطمة تقول : أن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر. فكلمته . فقال : يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى . فرجعت فأخبرتهن. فقلن إرجعي إليه فأبت أن ترجع . فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت أن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة. فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبها. حتى أن النبي لينظر إلى عائشة هل تكلم؟ قال فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها.. (٢٤)

وروى مسلم عن عائشة أن رجلاً سأل النبي (ص) عن الرجل يجمع أهله ثم يكسل - أى لا ينزل - هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة. فقال رسول الله: انى لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل..^(٢٥)

وغير هذه الروايات كثير مما تكتظ به كتب القوم تلك الروايات التى أسهمت ولا زالت تسهم فى تشويه صورة الرسول وفتح الباب أمام أعداء الإسلام للطعن فى النبى وتشويهه..

والباحث فى كتب أهل السنة لا يجد واحداً منهم منح عقله بعض الحرية ونظر لهذه الروايات نظرة الناقد دفاعاً عن الرسول (ص) وصيانة لشخص نبيه. بل يجد تبريرات وتأكيدات لمثل هذه السلوكيات التى لا تجوز فى حق نبي فضلاً عن كونها لا تجوز عقلاً..

يقول النووي عن حديث طواف الرسول على نسائه فى ليلة واحدة ويغسل واحد: وأما طواف الرسول (ص) على نسائه بغسل واحد فيحتمل أنه كان يتوضأ بينهما.. وقد جاء فى سنن أبى داود أنه (ص) طاف على نسائه ذات ليلة يغتسل عند هذه وعند هذه وهو محمول - أى الطواف - على أنه كان برضاهن أو برضى صاحبة النوبة ان كانت نوبة واحدة..^(٢٦)

ويقول القاضى عياض: إن الحكمة فى طوافه عليهن فى الليلة الواحدة كان لتحصيلهن. وكأنه أراد به عدم تشوقهن للأزواج. إذ الإحصان له معان منها الاسلام والحرية والعفة. والذي يظهر ذلك إنما كان لارادة العدل بينهن فى ذلك وان لم يكن واجباً..^(٢٧)

ويعلق ابن حجر على قول القاضى عياض: وفى التعليل الذى ذكره نظر لأنهن - أى نساء النبى - حرم عليهن التزويج بعده وعاش بعضهن بعده خمسين سنة فما دونها وزادت أخرن موتاً على ذلك..^(٢٨)

ويعلق النووي على الرواية التى تقول: أن رسول الله رأى امرأة - فوقت فى نفسه - فأتى امرأته زينب وهى تمس منية لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: ان المرأة تقبل فى صورة شيطان وتبدر فى صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة

فليات أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه.. يقول النووى: فيه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها - أى النساء - لما جعله الله تعالى فى نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن فهى - أى المرأة - شبيهة بالشيطان فى دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له.. (٢٩)

ويروى مسلم: إن رجلاً كان يتهم بأم ولد الرسول (ص) فقال رسول الله لعل: أذهب فأضرب عنقه. فأتاه على فإذا هو فى ركى يتبرد فيها. فقال له على: أخرج. فناوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر. فكف على عنه ثم أتى النبى فقال يا رسول الله أنه المحبوب ما له ذكر.. (٣٠)

ان مثل هذه الروايات تمثل أكبر اهانة لشخص الرسول (ص) وان موقف أهل السنة منها لهو أهانة أكبر. وهو إن دل على شىء فإنما يدل على ان القوم ألغوا عقولهم وطمسوا بصيرتهم حتى انهم لم يعوا مدلول قوله تعالى فى الرسول (وانك لعلى خلق عظيم) وإن هذا الخلق العظيم الذى وصفه به الله سبحانه ليتنافى مع ما هو أقل مما يلصفونه به عن طريق هذه الروايات.. ومثل هذه الروايات إنما تفوح منها رائحة السياسة والهدف منها تبرير سلوك الحكام مع النساء.. وهى تطرح أمامنا عدد من التساؤلات لا نجد لها إجابة عند أهل السنة..

هل كان الرسول يطوف على نسائه علانية..؟

وهل كان لديه الوقت الكافى لذلك؟

وكيف يصدق مثل هذا الكلام إذا ما كانت الحقائق التاريخية تؤكد أن عدداً من

نساء النبى كن كبيرات ثيبات لا أرب لهن وقد تزوجهن النبى لأسباب أخرى..؟

وإذا كان الناس يتحدثون عن طواف الرسول على نسائه وان له قوة عشرون رجلاً

فى الجماع ألا يعنى هذا أن الحياة الجنسية للنبى مفضوحة ومكشوفة على الملأ..؟

وهل يعقل أن يقبل مسلم مثل هذا الكلام على نبىه حتى ولو كان عن طريق السمع

لا الرؤية..؟

وما معنى ان ينتزع الرسول سبيه من صاحبها ويأخذها لنفسه ثم يدخل بها فى

الطريق دون أن ينتظر العودة إلى المدينة..؟

هل يمكن ان يتصور مثل هذا الامر مع قائد فى ميدان الحرب فضلاً عن نبي...؟
وهل سيطرت الشهوة الجنسية على النبي إلى هذا الحد...؟
ثم كيف بنى يضاجع زوجاته أثناء الحيض...؟
هل نسى النص القرآنى الذى ينهى عن ذلك...؟ أم غلبته الشهوة...؟
وكيف لنساؤه أن يكشفن مثل هذه العلاقة وهذا الفعل الشائن...؟
وما معنى أن يعقد الرسول على طفلة عمرها ست سنوات ويدخل بها وهى ابنة
تسع؟
هل انقرضت نساء العرب ولم تكن توجد سوى عائشة...؟^(٣١)
وماذا يفعل نبي بطفلة تلهو بالدمى...؟^(٣٢)
وهل يتلائم مثل هذا السلوك مع نبي خاتم يشغله امر الامة ومستقبل الدعوة...؟
وهل نزول الوحي فى لحاف عائشة مباركة من الله لهذا الزواج...؟
وكيف يهبط الوحي على الرسول فى هذا الموضع المنعدمة فيه الطهارة...؟
وهل يعقل أن يقوم الرسول بتطليق امراته سودة لمجرد كونها لا تلبى رغباته
الجنسية هل يجوز مثل هذا التصور فى حق نبي...؟
وكيف للرسول أن يدخل على امرأة متزوجة وينام فى حجرها وتغلى له رأسه...؟
وهل الرسول متفرغ لخلافات النسوة وغيرتهن. وكان هواه وقلبه مع عائشة دون
غيرها من الزوجات...؟
الا يدل ذلك على الظلم؟ وهل يمكن للرسول أن يظلم ولا يعدل بين زوجته؟
وهل هان الرسول فى نظر القوم إلى الحد الذى يصورونه تثيره امرأة فى الطريق
وتدفع به إلى الإسراع لمواقعة زوجته إطفاء لنار الشهوة...؟
وهل النساء فى تلك الزمان كن يسرن عاريات...؟
أما رواية المجهول فلا تحتاج إلى تعليق..
وليت القوم وقفوا عند هذا الحد لكنهم تجاوزوه إلى ما هو أضل.. بأن جعلوا
لعمر دوراً مشاركاً للوحي ومنازعاً للرسول صلى الله عليه وسلم فى نبوته حتى بدا

وكأنه يوجه الرسول ويذكره بالأحكام الشرعية..

يروى البخارى أن النبى قال: لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء. فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر.. (٣٣)

ويروى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: لو كان بعدى نبى لكان عمر.. (٣٤)

ويعلق ابن حجر على هذه الرواية بقوله: والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الموافقات التى نزل القرآن مطابقا لها.. (٣٥)

ويقول عمر عن نفسه: وافقت ربي فى ثلاث: فى مقام إبراهيم. وفى الحجاب. وفى أسارى بدر.. (٣٦)

ويعلق ابن حجر قائلا: والمعنى وافقتى ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، ولكن لرعاية الأدب اسند الموافقة إلى نفسه.. (٣٧)

ويروى مسلم أنه لما توفى عبد الله بن أبى سلول جاء ابنه عبد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه فأعطاه. ثم سأل أن يصلى عليه. فقام الرسول ليصلى عليه. فقام عمر فأخذ بثوب الرسول فقال: يا رسول الله أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه. فقال الرسول: إنما خيرنى الله. فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على سبعين قال عمر: إنه منافق.. فصلى عليه الرسول وأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره..

ويروى مسلم عن عائشة قالت: إن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يخرجن بالليل إذا تبرذن إلى المناصب وهو صعيد أفيح. وكان عمر يقول لرسول الله: أحجب نسائك. فلم يكن رسول الله يفعل. فخرجت سوده بقت زمعة زوج النبى ليلة من الليالى عشاء.. وكانت امرأة طويلة.. فنارها عمر ألا قد عرفناك ياسودة حرصاً على أن ينزل الحجاب. قالت عائشة: فأنزل الله الحجاب..

وفى رواية يقول عمر لسودة: والله ما تخفين علينا فأنظري كيف تخرجين.

فرجعت سودة أخبرت الرسول بقول عمر..

وقال القسطلاني: فيه - أي الحديث السابق - منقبة عظيمة ظاهرة لعمر. وفيه تنبيه أهل الفضل والكبار على مصالحهم ونصيحتهم وتكرار ذلك.. (٢٨)

وقال ابن حجر: والحاصل أن عمر وقع في قلبه نفرة من إطلاع الأجانب على الحرم النبوي حتى صرح بقوله له صلى الله عليه وسلم: أحجب نساء. وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب.. (٢٩)

أن مثل هذه الروايات إنما تضع عمر ندا للرسول ومشاركاً له في أمر النبوة والتشريع. إذ كيف لعمر أن يوافق الوحي. ولماذا لا يوافق الرسول وهو المبعوث لهذا الدور؟

وهل يمكن للرسول أن يغفل أمر الوحي إلى هذا الحد فيذكره به عمر؟.. والمتأمل في التبريرات التي يسوقها فقهاء السنة لمثل هذه المواقف المناقضة لحقيقة النبوة والرسالة يتبين له أن القرم قد زادوا الطين بلة وأضعفوا على عمر قداسة نازعت قداسة الرسول بل جعلوا من أمر تدخله في الوحي مشروعاً.. ورواية صلاة الرسول على زعيم المنافقين ابن سلول تضعنا أمام التساؤلات التالية:

هل حقاً صلى الرسول على ابن سلول؟..

إذا كان الرسول قد فعل ذلك يكون قد خالف نص القرآن الذي نهى عن الصلاة والقيام على قبر ابن سلول.. فهل يجوز في حق النبي مخالفة القرآن؟..

أن الرواية التي بين أيدينا تؤكد أن الرسول خالف القرآن وصلى على ابن سلول؟..

وقد يعترض معترض قائلًا أن نص النهي عن الصلاة نزل بعد صلاة الرسول عليه ولم ينزل قبله وبهذا يكون الرسول غير مخالف للنص؟..

وإننا سلمنا بصحة هذا التصور فيجب طرح السؤال التالي: إذا كان الرسول لم يعلم بأمر النهي فكيف علم به عمر بقوله: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

إن الإجابة على هذا السؤال تضعنا بين خيارين:

إما أن يكون عمر يشارك الرسول في أمر الوحي..

وإما أن يكون عمر هو الرسول..

وكلا الخيارين ينقلان من الملة والأولى رفض الرواية من أساسها.. إلا أن القوم يتمسكون بها ويؤكدون صحتها.. وهنا يكمن مأزق أهل السنة..

ثم أن كيف للعقل أن يقبل تدخل عمر السافر في شئون البيت النبوي ومطالبته الدائمة للرسول بتحجيب نساءه، ثم يصل به الأمر إلى اعتراض نساء النبي وهن خارجات للخلاء لقضاء حاجتهن ليلاً والتعريض بهن..؟

مثل هذا السلوك لا ينم عن وعي أو خلق وهو يمثل أكبر إهانة لشخص الرسول الذي تصوره الرواية وقد أهمل نساءه وترك لهن الحبل على الغارب مغفلاً أمرهن حتى ذكره عمر فنزل الوحي موافقاً له..

.. الرسول يضيف على القرآن:

يتبنى أهل السنة الكثير من الروايات التي تتناقض مع القرآن في مجال العقيدة والأحكام والأخلاق. وينسبون إلى الرسول (ص) أحكاماً لا توجد في القرآن ومعنى هذا أن الرسول يضيف أحكاماً فوق أحكام القرآن..

وتنبع هذه الرؤية من اعتقادهم أن الرسول يجتهد ويخطأ وأن هناك دائرة أخرى غير دائرة الوحي يمكن أن تصدر أحكاماً وهي دائرة النبوة..

إلا أن القرآن يؤكد لنا أن مهمة الرسول تنحصر في دائرتين:

الأولى : التبليغ..

الثانية : التبیین..

ويبدو ذلك واضحاً من خلال قوله تعالى: ما على الرسول إلا البلاغ..

وقوله : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون..

وحين يحدد القرآن حكم الزاني بالجلد مائة جلدة يأتي أهل السنة بحكم رجم الزاني المحصن (المتزوج) على أساس رواية منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم مدعين فوق هذا أن هناك آية مرفوعة من القرآن تقول بالرجم..

وقد ذكر الله أصناف المحرمات من النساء في القرآن وحددهن ثم قال سبحانه:
(وأحل لكم ما وراء ذلكم)..^(٤٠)

وجاء أهل السنة فتبينوا رواية تقول: لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها..^(٤١)

وبنوا على أساسها تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وهو تحريم لم يرد بين أصناف النساء المحرمات في القرآن ولم يأت ذكره في الآية فمن ثم هو يقع في دائرة قوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم).

وفي الوقت الذي يحدد فيه القرآن صراحة حرية الاعتقاد بقوله تعالى:
(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

وقوله (لست عليهم بمسيطر)

وقوله (لا إكراه في الدين).

وقوله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين).

وقوله (ومن يرتدد منكم عن دينه ويمت وهو كافر).

يأتي أهل السنة برواية تتحدى هذه النصوص القرآنية الصريحة تقول: من بدل دينه فاقتلوه..^(٤٢)

حتى أنهم في رواية أخرى ربطوا الردة بمفارقة الجماعة برواية تقول: لا يحل دم المرء المسلم إلا بإحدى ثلاث.. أحدهن: التارك لدينه المفارق للجماعة..^(٤٣)

وحين يقول الله سبحانه في كتابه: (وورث سليمان داود).

وقوله: (رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب).

يأتي أهل السنة بروايات تقول أن الأنبياء لا يورثون. وإن الرسول (ص) ميراثه صدقة من حق فقراء المسلمين..

يروى قوله الرسول (ص): إنا لا نورث وما تركناه صدقة..^(٤٤)

وفي رواية أخرى: إنا معاشر الأنبياء لا نورث.

وفوق هذا يأتي أهل السنة برواية يبررون بها موقفهم هذا تقول:

أوتيت القرآن ومثله معه.. (٤٥)

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: هل بعث الرسول بقرآنيين؟

وإذا كان قد بعث بقرآن واحد. فما معنى مثله معه..؟

وإذا كان أهل السنة يفسرون (مثله) بالسنة فإن هذا يعنى أنها مثل القرآن..؟

لكن السنة غير القرآن..

القرآن كلام الله..

والسنة كلام البشر..

وإذا كان أهل السنة يعتبرون السنة هي المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن فإن هذا يعنى أنها أقل من القرآن. والقرآن هو الأساس وهو المهيمن عليها.

فكيف إذن تعلق السنة على القرآن وتضيف أحكاماً جديدة فوق أحكامه..

ويبدو أن أهل السنة أرادوا سد باب التفكير وإعمال العقل فى هذا الأمر فجاءوا برواية تحسم القضية وتدرء الشبهات تقول: لا ألغين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر بما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدناه فى الكتاب اتبعناه.. (٤٦)

وأمام هذه الرواية يطرح السؤال التالى: هل من حق الرسول أن يأمر وينهى وينسب الأمر والنهى لنفسه كما تقول الرواية..؟

وتأكيداً لما طرحنا حول عقيدة أهل السنة فى الرسول (ص) نورد عدداً من الروايات المتداولة عندهم والتي تدعم رؤيتهم بالإضافة إلى ما ذكرنا..

تروى عائشة قالت: سمع النبی (ص) رجلاً يقرأ فى المسجد. فقال: رحمة الله أنكرنى كذا وكذا آية أسقطتها فى سورة كذا وكذا.. (٤٧)

وفى رواية أنسيتها بدلاً من أسقطتها..

وتروى عائشة قالت: لدنائه - أى النبی - فى مرضه فجعل يشير أن لا تلدونى. فقلنا كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدونى؟ قلنا كراهية المريض للدواء. فقال: لا يبقى فى البيت أحد إلا لد. وأنا انظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم.. (٤٨)

ويروى: اللهم إنما محمد بشر. يغضب كما يغضب البشر. وإنى قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفينه. فأیما عبد أذيقته أو سببته أو لعنته أو جلدته فأجعلها كفارة وقرية تقربها إليك..^(٤٩)

ويروى : أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً فخرج إلینا رسول الله (ص) فلما قام فى مصلاه ذكر أنه جنب فقال مكانكم. ثم رجع فأغتسل ثم رجع إلینا ورأسه يقطر فكبر فصلینا معه..^(٥٠)

ويروى أن رسول الله (ص) لقی زيد بن عمر وبن نقیل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على رسول الله الوحى. فقدم رسول الله سفره فیها لحم فأبى - عمرو - أن يأكل منها. ثم قال: إن لا أكل مما تذبحون على انصابكم ولا أكل إلا مما ذكر اسم الله علیه..^(٥١)

ولم ينحصر أمر تداول هذه الروایات عند أهل السنة فى محیط شخص الرسول بل تجاوزه إلى المساس بالأنبياء..

يروى : قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله..^(٥٢)

ويروى عن موسى أن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده. فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل. فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه. فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبى حجر. ثوبى حجر. حتى انتهى إلى ملا من بنى إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن مما خلق الله وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ بثوبه فلبسه وطق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله أن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً..^(٥٣)

ويروى أن موسى لما أرسل له ملك الموت صكه - أى ضربه - فرجع إلى ربه. فقال أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عينه وكان قد أطاح بها موسى. وقال: أرجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة. قال أى رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت.

قال : فالآن. فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر..^(٥٤)

ويروى أن سليمان بن داود قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله. فقال له الملك: قل إن شاء الله. فلم يقل إن شاء الله. فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون..^(٥٥)

ويروى: لم يكذب إبراهيم النبى قط إلا ثلاث كذبات. ثنتين فى ذات الله.

قوله إنى سقيم. وقوله بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة فى شأن سارة.

فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار أن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختى فإنك أختى فى الإسلام. فإنى لا أعلم فى الأرض مسلماً غيرك وغيرى.

فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه، فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتى بها. فقام إبراهيم إلى الصلاة. فلما دخلت لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت قبضة شديدة. فقال لها: ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك..^(٥٦)

الهوامش

- (١) الفصل فى الملل والنحل ح ٤ / ٢ ..
- (٢) الفتاوى ح ٢ / ٢٨٢ وما بعدها ..
- (٣) المرجع السابق وأنظر الفضل ومقالات الإسلاميين للأشعرى ..
- (٤) المراجع السابقة ..
- (٥) المراجع السابقة ..
- (٦) المراجع السابقة ..
- (٧) أنظر البخارى ..
- (٨) المرجع السابق ..
- (٩) المرجع السابق ..
- (١٠) المرجع السابق وأنظر مسلم ..
- (١١) أنظر تجريد الاعتقاد للمقرئى ط القاهرة .. وزار المعاد لابن القيم ..
- (١٢) أنظر المرجعين السابقين
- (١٣) أنظر البخارى وأنظر لنا كتاب الخدعة فصل الرسول والنساء ..
- (١٤) أنظر البخارى ..
- (١٥) أنظر البخارى ومسلم كتاب الحيض ..
- (١٦) المرجعين السابقين ..
- (١٧) المرجعين السابقين ..
- (١٨) البخارى باب فضائل عائشة .. وأنظر كتب السنن وطبقات ابن سعد ..
- (١٩) البخارى ..
- (٢٠) البخارى ..
- (٢١) أنظر مسلم ..
- (٢٢) البداية والنهاية ح ٧ / ١٤٤ ..

- (٢٣) أنظر البخارى ومسلم باب فضل عائشة..
- (٢٤) أنظر شرح النووى على مسلم كتاب الطهارة..
- (٢٥) المرجع السابق..
- (٢٧) أنظر فتح البارى والنوى..
- (٢٨) أنظر شرح النووى..
- (٢٩) مسلم كتاب
- (٣٠) أنظر مناقشة هذه القضية فى كتابنا الخدعة.. وأنظر لنا كتاب السيف والسياسة فى الإسلام..
- (٣١) هناك الكثير من الروايات التى تدور حول طفولة عائشة ولهوها وهى فى حجر الرسول(ص) حتى أن يوم زواجها بالسول كانت تلهو على أرجوحة.. أنظر البخارى ومسلم باب فضل عائشة..
- (٣٢) أنظر البخارى ومسلم.. باب مناقب الصحابة.. وأنظر كتب السنن..
- (٣٣) أنظر المراجع السابقة..
- (٣٤) أنظر فتح البارى ح ٧ .. وأنظر النووى..
- (٣٥) أنظر فتح البارى..
- (٣٦) أنظر مسلم والبخارى..
- (٣٧) أنظر فتح البارى ح ٧ ..
- (٣٨) أنظر شرح القسطلانى هامش مسلم طبعة استانبول .كتاب فضائح الصحابة.
- (٣٩) فتح البارى ح ٧ ..
- (٤٠) أنظر تفسير سورة النساء كتب التفسير . وأنظر فتح البارى كتاب النكاح..
- (٤١) أنظر البخارى كتاب النكاح ..
- (٤٢) أنظر البخارى ومسلم ..
- (٤٣) أنظر البخارى وكتب السنن ..

(٤٤) انظر البخارى وأنظر البداية والنهاية لابن كثير فترة وفاة الرسول وما بعدها
وأنظر لنا السيف والسياسة ..

(٤٥) انظر كتب السنن ..

(٤٦) أنظر مسند أحمد وكتب السنن ..

(٤٧) البخارى كتاب الدعوات ومسلم - كتاب فضائل القرآن.

(٤٨) البخارى كتاب الدبابة. ومسلم كتاب السلام.

(٤٩) البخارى كتاب الدعوات ومسلم كتاب السير والصلوة.

(٥٠) البخارى كتاب الغسل ومسلم كتاب الصلوة.

(٥١) البخارى باب ما ذبح على النصب.

(٥٢) البخارى كتاب فضل الجهاد والسير ومسلم كتاب قتل الحيات.

(٥٣) البخارى كتاب الغسل. ومسلم باب فضائل موسى.

(٥٤) البخارى كتاب الجنائز. ومسلم باب فضائل موسى..

(٥٥) البخارى كتاب الجهاد. ومسلم كتاب الإيمان..

(٥٦) البخارى كتاب بدء الخلق. ومسلم كتاب الفضائل..

● عقيدتهم فى الأحكام :

تنص عقدة أهل السنة على اسمع الطاعة للأحكام موالاتهم ولو كانوا فجاراً فاسقين ظالمين مفتصبين للحكم غير جديرين به...

تقول العقيدة الطحاوية : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمرُوا بمعصية. وندعوا لهم بالأصلاح والمعافاة وتتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة..

ويقول الأشعرى : واجمعوا - أى أهل السنة - على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعلى أن كل من ولى شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة من بر وفاجر لا يلزمهم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل أن يغزوا معهم العدو ويحجج معهم وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها .

ويصلى خلفهم الجمعة والاعياد ..

ويقول ابن تيمية : ثم هم - أى أهل السنة - يأمرُون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة . ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع الأمراء . أبراراً كانوا أو فجاراً ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة..^(١)

ويقول ابن قدامة المقدسى : ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم مالم يأمرُوا بمعصية الله فلا طاعة لأحد فى معصية الله. ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين..^(٢)

ويقول النسفى : والمسلمون لابد لهم من إمام ولا يشترط فى الإمام أن يكون أفضل أهل زمانه ولا ينعزل الإمام بالفسق والجور..^(٣)

ويقول أبو يعلى : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وأن جاروا . ولا ندعو لهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمرُوا بمعصية وندعوا لهم بالأصلاح والمعافاة.. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه

يترتب على الخروج من طاعتهم من المفساد أضعاف ما يحصل من جورهم . بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا..^(٤)

وينقل الباقلاني عن جمهور أهل السنة قولهم : لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغضب الأموال وضرب الأبرار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود . ولا ينخلع بهذه الأمور ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه وترل طاعته في شئ مما يدعو إليه من معاص الله . واحتجوا لذلك بأخبار كثرة متظافرة عن النبي والصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا أو استأثروا بالأموال..^(٥)

ويقول التفتازاني: وإذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير استخلاف . وقهر الناس بشوكته. انعقدت الخلافة له وكذا إذا كان فاسقاً أو جاراً على الأظهر إلا أن يعصى بما فعل. ويجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً ولا ينعزل الإمام بالفسق..^(٦)

ويقول ابن حنبل: يدفع الصدقات والاعشار والخراج والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أو جاروا. والانتقياد لمن ولاه الله عز وجل أمرهم لا تنزع بدأ من طاعته. ولا تخرج عليه بسيفك ويجعل الله فرجاً ومخرجاً. ولا تخرج على السلطان بل تسمع وتطيع . فإن أمرك السلطان بأمر - هو الله عز وجل معصية - فليس لك أن تطيعه - وليس لك أن تخرج عليه. ولا تمنعه حقه. ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان. بل كفف يدك ولسانك. وهواك. والله عز وجل المعين..^(٧)

وقال البربهاري في كتابه شرح السنة: لا يحل لأحد أن يبيت ولا يرى أنه ليس عليه إمام برأ كان أو فاجراً.. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميئته جاهلية.. وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فأعلم أنه صاحب هوى وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصالح فأعلم أنه صاحب سنة.. أمرنا أن ندعو لهم بالصالح ولم نؤمر أن ندعو عليهم..

ويقول النووي: وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتآلف قلوب الناس لطاعتهم..

وقد أفاض النووي في شرحه لمسلم بالكثير من القول والنقول حول طاعة الحكام وعدم الخروج عليهم (ح ٢) ..

ويؤمن أهل السنة بنصح الحكام سرّاً لعلناً خوفاً على مشاعرهم ولأجل ذلك لم نعرف في تاريخهم مواقف معلنة ضد الحكام ..

وهم يتحصنون في هذا الموقف بقول منسوب للرسول نصه: من أراد أن ينصح لذي السلطان فلا يبدعه علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه ..) رواه ابن أبي عاصم ح ٢ / ٥٢١ ..

ولقد ارتكز أهل السنة في عقيدتهم هذه تجاه الحكام إلى عدد من الروايات المنسوبة إلى لرسول (ص) وإلى مواقف بعض الصحابة ..

ومن هذه الروايات رواية تقول : من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني ..^(٨)

وأخرى تقول : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ..^(٩)

وأخرى تقول : لا ما أقاموا فيكم الصلاة - أي الحكام - إلا من ولى عليه وال فراه يأتي شيئاً معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعة ..^(١٠)

وأخرى: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات. فميتته جاهلية ..^(١١)

وفي رواية أخرى : فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه ..^(١٢)

ويروى مسلم: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. ومن خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ..^(١٣)

ويروى مسلم : أنه ستكون هنات وهنات. فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان ..^(١٤)

ويروى البخاري ومسلم: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع وأطع ..^(١٥)

ويروى البخارى ومسلم: ستكون خلفاء فتكثر . قالوا: فما تأمرنا . قال : فوبيعة الأول فالأول وأعطوهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم..^(١٦)

أن هذه الروايات وهذه العقيدة هى التى خلفت فقهاء السلاطين وخلقت الحكام الطغاة الظالمين فى تاريخ المسلمين وتسببت فى تعويق مسيرة الإسلام وفرض التخلف والجهل على الأمة ولولا هذه الروايات وهذه العقيدة ما هيمنت القبلية والاموية والعباسية على واقع المسلمين. فإن جميع الحكومات التى قامت من بعد الرسول (ص) اعتمدت هذه الروايات فى دعم سلطانها ونفوذها واضفاء المشروعية عليها..

والم تأمل فى عقيدة أهل السنة يتبين له أن هذه الروايات تعد السبب المباشر فى ربط الحكام بهذه العقيدة وارتباط أهل السنة بالحكام. تلك الرابطة المصيرية التى كتبت لها الدوام الى قيام الساعة..

فلا أهل السنة سوف يستغنون عن الحكام..

ولا الحكام يستغنون عن أهل السنة..

فكلاهما يرتكز على الآخر..

ولم يحدث فى تاريخ أهل السنة أن اصطدم أحد منهم بالحكام دفعا للظلم عن الناس وأقصى ما اتخذوه من مواقف تجاههم لا يخرج عن دائرة النصيح المزخرف المشوب بالرغبة. وإن الذين اصطدموا بالحكام قادوا الثورات فى مواجهتهم كانوا من الشيعة والخوارج وغيرهم ممن لا ينتمون لأهل السنة..

وأهل السنة بهذا الموقف إنما يؤكدون أن عقيدتهم عقيدة حكومية. وإن أكبر رموزهم من الصحابة وهو ابن عمر هادن الحجاج السفاح وكان يصلى وراءه وطالب أهل المدينة بالاستسلام لجيش يزيد حين ثاروا عليه وخلعوا وإليه عليهم بعد وقعة كربلاء..

يروى البخارى: أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد ابن معاوية جمع ابن عمر حشمة وولده وقال : إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة.. وإننا قد بايعنا هذا الرجل - يقصد يزيد - على بيع الله ورسوله. وإنى لا أعلم

عذراً اعظم من ان نبايع رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال . وإنسى لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفصيل بينى وبينه..^(١٧)

وتروى كتب التاريخ أن جيش يزيد اقتحم المدينة واستباحها ثلاثة أيام حتى حملت ألف امرأة سفاحاً

ان تاريخ هؤلاء الحكام الذين باركهم أهل السنة وجرائمهم ومنكراتهم توجب منا منابذتهم شرعاً وعقلاً. إلا أن هذه الجرائم والمنكرات كان يتغاضى عنها أهل السنة فى مقابلة مباركة الحاكم لعقيدتهم ودعمها والتنكيل بالتيارات الأخرى المناهضة لهم..

وحين جاء المتوكل العباسى الى الحكم وأعلن إبطال دعوة خلق القرآن التى كان ينادى بها المعتزلة بمساندة من المأمون عام ٢٣٤ هـ وناصر الحنابلة أعداء المعتزلة والمحدثين من أهل السنة وفتح أمامهم الأبواب لنشر دعوتهم وكرمهم وأجزل لهم العطاء فأخذوا يدعون له على المنابر ويكثرون من مدحه والثناء عليه على الرغم من سوء فعالة وطغيانه وظلمه بل أنهم تجاوزوا هذا الحد وأعلنوا الحرب على المعتزلة وخصومهم والتنكيل بهم..

وحين ينادى أهل السنة بطاعة الحاكم الذى يجلد ظهور الناس ويسلبهم أموالهم هم بهذا يفقدون الاسلام أهم خصائصه ومقوماته المتمثلة فى العدل وحفظ النفس والمال...

والحاكم الذى يجلد الناس ويسلب أموالهم إنما هو قاطع طريق وليس من المعقول أن يبشر الرسول (ص) بمثل هؤلاء الطفافة ويدعو الناس الى طاعتهم والاستسلام لهم وهو الذى بعث بالحق لفصرة المستضعفين وكسر شوكة المستكبرين..

إلا أن أهل السنة لا تعنيهم الرعية إنما يعنيهم الحكام فهم الذين يأمنون دعوتهم ويدعمون عقيدتهم ويستأصلون خصومهم ثم فى النهاية يكرهون الناس على اعتناقها كما حدث أيام الملك السلجوقى (طغرل بك) والسلطان (ألب أرسلان) وصلاح الدين والملك (الأشرف) الأيوبي ومن بعدهم حكام المماليك والعثمانيين حتى يومنا هذا..

وأهل السنة حين يربطون الطاعة بالمعصية بقولهم لا طاعة في معصية إنما يربطون الممكن بالمستحيل. فالحاكم لا يأمر بالمعصية ولا يتبين يوماً ما يوجب كفره فهذا أمر لم يحدث وإن يحدث على يد أى حاكم إلا أن يكون مجنوناً . وهم بهذا يتفرون فكرة الخروج على الحاكم نفياً قاطعاً ويحولون بينها وبين المسلمين بشتى السبل والوسائل المتمثلة فى الفتاوى والروايات.. وعلى الرغم من أن حكام بنى أمية والعباسيين وغيرهم ارتكبوا من المعاصى وصور الفساد والفسق ما يوجب الخروج عليهم ونبذهم إلا أن أهل السنة اعتبروا أن الحكم لا يعزل بالفسق ويكفيه أنه يقيم الصلاة. ومثل هذه المويقات والانحرافات التى ارتكبها الحكام فى زمانهم لا تعد أمر بالمعصية. ونحن نعيش موقفاً حياً لأهل السنة اليوم يتمثل فى ارتباطهم بآل سعود وتحالفهم معهم وقد سئل ابن حنبل : الامام الفاجر القوى افضل أم الامام التقي الضعيف..؟

فأجاب : الفاجر القوى .. لأن فجوره على نفسه وليس على الرعية. أما الآخر فتقواه لنفسه وضعفه على الرعية..^(١٨)

ومن أبرز مواقف أهل السنة الموالية للحكام موقفهم من يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف : فكلاهما بورك من قبل فقهاء القوم وحتى من الصحابة..

لقد خطأ فقهاء القوم الحسين لخروجه على يزيد ورفضه مبايعته ومرو على مأساة كربلاء مرور الكرام وكأنها حادثة لا تعنيهم بل عملوا على تبرئة يزيد منها.. يقول ابن تيمية مهاجماً الحسين لخروجه على يزيد : أنه لم يكن فى الخروج مصلحة لا فى دين تحصيل الخير وبيع الشر لم يحصل منه شئ بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقض الخير بذلك وصار سبباً لشر عظيم. وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن..^(١٩)

ثم دافع ابن تيمية عن يزيد ويدد الشبهات المثارة عليه وشكك فى الروايات التى تطعن فيه وتقلل من شأنه..^(٢٠)

وقام بالدفاع عن يزيد الكثير من فقهاء السنة حتى أن ابن حنبل روى عنه فى كتابه المسمى (الزهد)..^(٢١)

وقال السيوطى: روى عن ابيه - معاوية - وعنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان.^(٢٢)

هوامش

- (١) العقيدة الواسطية (٢) لمعة الإعتقاد (٣) العقيدة النسفية
(٤) أنظر الأحكام السلطانية ..
(٥) التمهيد للباقلانى
(٦) العقائد النسفية ..
(٧) كتاب السنة .. وأنظر طبقات الحنابلة. وترجمة أحمد بن حنبل فى تاريخ الإسلام للذهبى ..
(٨) مسلم. كتاب الامارة والبخارى كتاب الأحكام.
(٩) مسلم والبخارى وكتب السنن ..
(١٠) مسلم والبخارى .. (١١) مسلم والبخارى ..
(١٢) مسلم. وأنظر مسند أحمد وكتب السنن ..
(١٣) مسلم كتاب الامارة. (١٤) مسلم كتاب الامارة ..
(١٥) البخارى ومسلم ..
(١٦) البخارى ومسلم .. (١٧) البخارى كتاب الفتن ..
(١٨) انظر احداث عام ٢٣٤ هـ فى كتب التاريخ. وأنظر طبقات الحنابلة ..
(١٩) أنظر مسند أحمد وترجمته فى تاريخ الإسلام للذهبى ..
(٢٠) أنظر منهاج السنة. وأنظر العواصم من القواصم ..
(٢١) أنظر فتاوى ابن تيمية. وأنظر المرجعين السابقين ..
(٢٢) أنظر العواصم من القواصم. والبداية والنهاية لابن كثير .. وأنظر تاريخ ابن خلدون ..
(٢٣) تاريخ الخلفاء ..

أهل السنة

شعب الله المختار

جانبي

العقيدة

الجانب السياسي
الجانب المذهبي

هناك الكثير من القضايا التي تم حشو كتب العقائد بها لأغراض سياسية ومذهبية حتى تلزم الأمة بالسير في خط أهل السنة وخط الحكام..

وسوف نعرض لهذه القضايا هنا من جانبيين:

الأول : الجانب السياسي..

الثاني: الجانب المذهبي..

أولاً الجانب السياسي:

تأتى قضية الخلفاء لتكون فى مقدمة القضايا السياسية التى أدخلت فى صلب العقيدة بهدف تبرير الوضع القائم واضفاء المشروعية على الحكام..

تقول الطحاوية: ونثبت الخلافة بعد رسول الله (ص) أولاً لأبى بكر ثم لعمر ثم لعلى..

وتقول الواسطية : ويقرون - أى أبى بكر - أحق خلق الله بالخلافة بعد النبى . ثم من بعده عمر. ثم عثمان ثم على..

ويقول ابن حنبل : وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وخيرهم بعد أبى بكر عمر وخيرهم بعد عمر عثمان وخيرهم بعد عثمان على .. فمن زعم أن علياً أفضل من أبى بكر فقد رفض الكتاب والسنة..

وتقول النسفية: وأفضل البشر بعد نبينا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وخلافتهم ثابتة وعلى هذا الترتيب..

ثم تأتى بعد الخلفاء قضية الصحابة والحكم بعد التهم والنهى عن الخوض فى خلافاتهم . تليها قضية السلف والزام الأمة باتباع نهجهم ثم قضية الحكام..

- الخلفاء :

ولنبداً بقضية الخلفاء متسائلين: ما هى شرعية هذا الترتيب الرباعى...؟

والاجابة ببساطة انه لا يوجد نص قرانى: أو رواية تؤكد هذا الترتيب . والدليل على ذلك هو ما حدث بعد وفاة الرسول (ص) فأختيار أبى بكر لم يكن مرتباً ولا منصوباً عليه ويشهد بذلك الخلاف الذى وقع بسبب اختياره..

وجاء عمر فأخذها بوصية أبى بكر وكانت هذه أول وصية لولاية العهد فى الإسلام. ومادام ابو بكر لم يستخلف بنص فكذلك عمر..

وحجتنا فى هذا رواية عمر الشهيرة: أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله الأمة شرها. ومن عاد الى مثلها فاقتلوه..^(١)

وعندما قتل عمر أوصى بالخلافة من بعده فى دائرة ستة أشخاص حددهم بنفسه اتفقوا فى النهاية على عثمان. وهم طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وعلى وعثمان..

وعندما قتل عثمان حمل أهل المدينة عليا الى الحكم حملاً وقبله على كراهة.. أن وقائع التاريخ. تشهد أن هذا الترتيب جاء مصادفة ولم يكن مرتباً له بل جاء بعد خلافات وصدامات بين الصحابة.. كما تشهد بذلك الروايات المتدولة لدى أهل السنة..

ومن هنا يتبين لنا أن هذا الترتيب الذى جاء به أهل السنة هو من عند أنفسهم وليس هو إلا محاولة لإضفاء الشرعية على الوضع القائم..

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا: ما هو الهدف من وراء هذا الترتيب..؟

أن هذا الترتيب ما هو إلا مقدمة لنتيجة هامة وهى سيادة الخط القبلى الذى أثمر فى النهاية الخط الأموى ثم الخط العباسى الذى تولدت منها صورة الإسلام الحكومى الذى ساد واقع المسلمين منذ تلك الحين وحتى اليوم..

لقد عاش الرسول (ص) وهو يحافظ على صورة الإسلام الريانى حتى تراثه الأمة نقياً صافياً كما أنزل . إلا أن أهل الاهواء والمصالح من المنافقين والمنسجين عملوا على الانحراف بهذا الدين وتغيير مساره بمجرد وفاة الرسول..

وما كان معاوية ليستطيع أن يسود دون شرعية يستمدّها من الخلفاء..

فهؤلاء الخلفاء الثلاثة هم الذين صنعوا معاوية وأضفوا عليه الشرعية.

فمعاوية ونهجه لم يثبت من فراغ وإنما هو وليد مرحلة ونهج . فقد مهد أبو بكر
لعمر ومهد عمر لعثمان ومهد عثمان لمعاوية..^(٢)

وجاء العباسيون من بعد ليقتنوا الإسلام ويضيفوا المشروعية على هذا الترتيب
الذى ارتبط مصيرهم به ومصير الحكام من بعدهم..

ففى عهد العباسيين ظهرت كتب الروايات..^(٣)

ففى عهد العباسيين ظهرت المذاهب الأربعة..

ففى عهد العباسيين ظهرت عقيدة أهل السنة..

أن هدم شرعية الخلفاء الثلاثة يعنى هدم شرعية الأمويين والعباسيين وسائر
الحكام وبالتالي هدم نموذج الإسلام الحكومى الذى ساد من خلالهم.

ونحن نقول الخلفاء الثلاثة دون الرابع لأن نموذج الامام على مخالف لنموذج
الثلاثة ولا يعبر عنهم فى شئ فمن ثم هو ضد الحكام ولأجل هذا حاربه معاوية
وعمل على استئصاله بشتى الوسائل والسبل..

ولدى أهل السنة رواية يستدلون بها على شرعية هذا الترتيب وابتاع الخلفاء ..

تقول الرواية : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ومن بعدى عضوا
عليها بالنواجز . وأياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ظلالة..^(٤)
وامام هذه الرواية هناك عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى : أن هذه الرواية تناقض القرآن والمهمة التى جاء الرسول
لتنفيذها . فمهمة الرسول هى تبليغ القرآن للناس لا تبليغ سنته.

مهمة الرسول هى حصن الناس على القرآن لا على سنته.

لا يجوز للرسول أن يقول عليكم بسنتى لأن قوله هذا يعنى جعلها ندا للقرآن

الملاحظة الثانية: أن هذه الرواية ليست فى البخارى ومسلم الذى أجمع أهل
السنة على صحتها. وكان الأجدر برواية مثل هذه يرتبط بها مستقبل الدين والأمة
أن تكون لدى البخارى ومسلم والا تغيب عنهما..

الملاحظة الثالثة: أن الرواية لم تحدد من هم الخلفاء الراشدون..

الملاحظة الرابعة: أن هذه الرواية تشير وكأن السنة كانت مدونة ومعروفة في عهد الرسول وهذا غير صحيح: إذ أن القرآن ذاته كان غير مدون ومعروف للجميع - كما نصت على ذلك رواياتهم - فكيف تكون السنة معروفة ومتداولة ويوصى بها الرسول..؟^(٥)

الملاحظة الخامسة: أن الرسول تنبأ بالآئمة الاثني عشر الذين يعز بهم الإسلام من بعده . وأهل السنة حددوا أن الخلفاء الأربعة منهم ثم احتاروا في الباقي.. وهذه إشارة الى أن الرسول - على أضعف الإيمان - قصد اثني عشر ولم يقصد أربعة..

الملاحظة السادسة: أن الرسول لا يأمر بسنة غير سنته. فإذا اعتبرنا أن سنته غير القرآن فكيف يأمر باتباع سنتين..؟

الملاحظة السابعة: على فرض التسليم بسنة الخلفاء.. فأى سنة نتبع. وسنة كل خليفة تختلف عن الآخر..؟

الملاحظة الثامنة: على فرض التسليم بأن سنة الخلفاء واحدة وغير متناقضة فإننا نطرح أمام أهل السنة سؤالاً وهو : أين سنة على وهو الخليفة الرابع؟

إن المتأمل في طرح أهل السنة يتبين له عدم وجود أثر لسنة الامام على وطرحه وهذا ناتج بالطبع من الموقف العدائي الذي يتبناه معاوية من الامام حتى بعد مقتله إذا استمر بسببه على المنابر ويعمل على محو علمه واطروحاته ويبقى هذا الموقف حتى عصر عمر بن عبد العزيز. ثم استمر بعد وفاة عمر..

وجاء العباسيون من بعد الامويين فواصلوا الحرب على الامام ونهجه وما بعثهم للروايات والمذاهب وعقيدة أهل السنة إلا لهذا الغرض..

وسوف نورد بعض الروايات التي يتداولها أهل السنة والتي تؤكد هذا الموقف ..

يروى أن رسول الله (ص) صعد أحد وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم. فقال أثبت أحد فإن عليك صديق وشهيدين..^(٦)

ويروى أن رسول الله سئل : أى الناس أحب إليك؟ قال عائشة .. فسئلت - أى السائل وهو عمر بن العاص - من الرجال؟ قال : أبوها. قلت ثم من ؟ قال : عمر.

فعد رجلاً..^(٧)

ويروى : بينم راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة. فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب فقال : من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى؟

وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفت اليه فكلمته فقالت : إني لم أخلق لهذا^(٨) ولكنى خلقت للحرث. فقال الناس : سبحان الله . قال النبى : فإنى أومن بذلك وأبو بكر وعمر..

ويروى : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث..^(٩)

ويروى : كنا لا نعدل فى زمن النبى بأبى بكر أحد ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب رسول الله..^(١٠)

ويروى أن أبا موسى الأشعري قال: لاكونن اليوم بواب الرسول (ص)..

فجاء أبو بكر فدفع الباب . فقلت من هذا ؟ فقال أبو بكر . فقلت : على رسلك. ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن.. فقال: أئذن له ويشره بالجنة.. فأقبلت حتى قلت لأبى بكر ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة.. ثم رجعت الى رسول الله فسلمت عليه فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن. فقال أئذن له ويشره بالجنة. فجئت فقلت ادخل ورسول الله بشرك بالجنة.. ثم رجعت فجلست فقلت ان يرو الله بفلان خيراً يأت به. فجاء انسان يحرك الباب. فقلت من هذا؟ فقال : عثمان بن عفان. فقلت على رسلك . فجئت رسول الله فأخبرته. فقال : أئذن له ويشره بالجنة على بلوى تصيبه..^(١١)

ويروى: كان رسول الله مضجعاً فى بيت عائشة كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فاذن له وهو على تلك الحال. ثم استأذن عمر فاذن له وهو كذلك . فتحدث. ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه فسأله عائشة عن ذلك. فقال:

ألا استحى من رجل تستحى منه الملائكة..^(١٢)

ثم نختم هذه الروايات برواية عائشة التى تقول فى جواب لسؤال وجه إليها عن عمن يستخلف النبى (ص) لو استخلف. قالت: أبو بكر. فقل لها ثم من بعد أبى

بكر قالت : عمر. ثم قيل لها من بعد عمر. قالت: ابو عبيدة بن الجراح..^(١٣)

ويبدو من الواضح من خلال هذه الروايات أنه لا نذكر لعل فيها وهذه إشارة إلى أن القوم يجحدون الثلاثة ويهملون الرابع..

وجاءت رواية عائشة الأخيرة لتهدم فكرة الخلفاء الأربعة من أساسها وتضع ابي عبيدة مكان عثمان..

إن أعمال العقل في هذه الروايات يكشف لنا أن مسألة الترتيب هذه مسألة مختلفة وذلك للأسباب التالية:

■ أن لغة الروايات لغة استجداء وانتزاع فضيلة على لسان الرسول..

■ أن الروايات ركزت على الثلاثة ولم تذكر الامام علي ..

■ أن عائشة نقضت فكرة الترتيب الرباعي..

أن سلول الصحابة ومواقفهم بعد الرسول يؤكد عدم وجود مثل هذه الروايات وهذا الترتيب ..

والمستقرئ لأحداث فترة الصحابة يتبين له أن الصحابة الذين ساروا على نهج الثلاثة تحالفوا مع بنى أمية..^(١٤)

والصحابة الذين تحالفوا مع الامام علي رفضوا نهج بنى أمية..^(١٥)

هوامش

- (١) انظر الاصابة في تمييز الصحابة والاستيعاب وتاريخ الخلفاء ..
- (٢) انظر لنا كتاب السيف والسياسة ..
- (٣) البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم ظهوروا فى العصر العباسى ويذكر ان مالك كتب موطاة بتوجيه من الخليفة العباسى ابنى جعفر المنصور..
- (٤) مسند أحمد ح ٤ / ١٢٦ وابو داود كتاب السنة والترمذى كتاب العلم وابن ماجه المقدمة..
- (٥) هناك روايات متداولة عند أهل السنة تنهى عن كتابة السنة فى زمن الرسول والصحابة..
- (٦) البخارى فى كتاب فضائل الصحابة..
- (٧) المرجع السابق..
- (٨) المرجع السابق..
- (٩) مسند أحمد. والراوى هنا هو على. والثالث الذى لم يذكر هو عثمان بالطبع..
- (١٠) البخارى..
- (١١) البخارى ومسلم كتاب فضائل الصحابة..
- (١٢) مسلم كتاب فضائل الصحابة..
- (١٣) أنظر مسلم.. (١٤) من هؤلاء ابن عمر وأبو هريرة وعمر بن العاص.
- (١٥) من هؤلاء ابوذر الذى اصطلح بمعاوية وعثمان وابن مسعود وبلال والمقداد وعمار بن ياسر الذى قتل مع الامام على فى صفين.. وجابر بن عبد الله..

٢٠ قضية الصحابة:

يبدو لنا مما طرحنا من روايات وأقوال أهل السنة أن القوم يعتمدون اعتماداً كبيراً على الرجال وليس على النصوص .

ورؤية أهل السنة للصحابة إنما تزكى هذا الادعاء..

أن الإسلام لا يحول الناس إلى ملائكة ولم يكن مجتمع الرسول مجتمعاً ملائكياً .
كما لم يكن مجتمع الخلفاء كذلك.. فكيف بأهل السنة يريدون أن يضيفوا صفة العدالة وهي الوجه الآخر للعصمة على جميع الصحابة..؟

كيف لهم أن يساووا بين الجميع بهذه الصورة المستفزة للعقل والمناقضة للنص ؟
هل الذين هاجروا وجاهدوا وأروا ونصروا كمن آمن بعد الفتح بعد أن كسرت شوكة الشرك وهل الصحابة الذين واكبوا دعوة الرسول من بدايتها كمن رأى الرسول أو سلم عليه أو ولد في حياته..؟

وإذا سلمنا بعدالة الصنف الأول فكيف نسلم بعدالة الصنف الثاني..؟

ثم كيف لنا أن نعرف المنافقين والمندسين في صفوف المسلمين من بين هؤلاء إذا ما أضفينا عليهم جميعاً صفة العدالة..؟

أن تعريف الصحابي الذي ذكرناه سابقاً والذي هو محل إجماع نوى أهل السنة إنما هو تعريف سياسي بحت ولا صلة له بالدين.. ولوقام أهل السنة بتصنيف الصحابة وأعطاء كل ذي حق حقه وأضفاء صفة العدالة على مستحقيها لأمكن طرح الكثير من الرجال الذين ادخلوا في دائرة الصحابة والبسوا علينا ديننا..

إلا أن تطبيق مثل هذه الخطوة يعني هدم عقيدة أهل السنة وسقوط أطروحتهم إذ سوف يؤدي هذا التطبيق إلى حرمانهم من الرجال الذين يعتمدون على رواياتهم في دعم عقيدتهم وأضفاء المشروعية عليها أو بصورة أخرى يعني حرمان الحكام من المشروعية وتعريضهم أمام الجماهير..

أن أول نتائج هذا التطبيق هي نبذ العائلة الأموية بأكملها وعلى رأسها معاوية والتي دخلت الإسلام تحت السيف بعد الفتح. فهذه العائلة التي نابذت الرسول والإسلام العداء طوال أكثر من عشرين عاماً أضيفت عليها صفة الصحبة وبطلت

فى دائرة العدالة حسب تعريف أهل السنة..

فتأتى هذا التطبيق يعنى سقوط أبو هريرة رأتى أكبر كم من الرويات ..

ويعنى سقوط ابن عمر الفقيه الأول عند الصحابة عند أهل السنة..

ويعنى سقوط عمرو بن العاص..

ويعنى سقوط غيرهم ممن أدخلوهم فى دائرة الصحابة كى يرووا على لسان الرسول ما يدعم مشروعية الإسلام الحكومى الذى فرض على الأمة بعد وفاة الرسول (ص).

ومثلما أراد أهل السنة إلزام المسلمين بعقيدتهم فى الصحابة أرادوا أيضاً إلزامهم بعقيدتهم فى السلف. فهم قد أضفوا العدالة على الصحابة وأرادوا أن يضيفوها على السلف أيضاً..

والسلف فى تعريف أهل السنة هم أهل القرون الثلاثة الأولى . وبعضهم يعتبرهم أهل الخرون الخمسة..

ويعتمد أهل السنة فى رؤيتهم هذه على رواية تقول: خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه..^(١)

وبالطبع فإن فترة القرون الثلاثة الأولى تضم الامويين والعباسيين . وهذا يعنى أن القرون التى تليهم قرون شر ولا تعبر عن خير أو عن الإسلام.

والهدف من وراء هذا التعريف كما هو واضح هو حصر دائرة التلقى فى حدود هذه القرون. فهذه القرون هى التى نشأ فيها الفقه وجمعت الروايات ودونت عقيدة أهل السنة. أما مرحلة الخلف الذين جاءوا من بعد السلف فهم أهل بدعة وفى محل شك طالما حاولوا الاجتهاد وخالفوا طرح أهل السنة..

وهذا يفسر لنا سر الحرب الشعواء التى شنها أهل السنة ولازالوا يشتنونها على الخلف لكونهم تجرأوا وأولوا النصوص القرآنية الخاصة بصفات الله وأخنوها على وجه المجاز تنزيهاً لله سبحانه وفراراً من تشبيهة التجسيم..^(٢)

وأن المتتبع لسيرة أهل السنة مع السلف يتبين له أنهم قد انحازوا لرموز معينة من السلف . كما انحازوا للى رموز معينة من الصحابة مثلما أشرنا . ونبذوا رموزاً

أخرى كثيرة لها أطروحتها ونهجها المخالف لهم...

وعلى رأس هذه الرموز جعفر الصادق المعاصر للمنصور العباسي والذي علمه الأفاق وهو بينه وبين الرسول (ص) أربعة أعلام فهو ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . فهو قد قاطعته كتب الفقه والحديث والعقيدة ولم تأخذ شيئاً عنه لأنه يمثل نهجاً غير نهجهم أو بمعنى أدق لكونه يتبنى نهج الإمام علي المعادي للحكام..^(٢)

وعلى هذا النهج سار أهل السنة في مواجهة جميع الرموز السلفية التي تمثل الاتجاهات الأخرى أو التي خرجت على الخط السائد ووصموها بالبدعة..

لقد أثر أهل السنة أن يتبعوا ويتلقوا ممن ساروا في ركاب الحكام وسلطت عليهم الأضواء مثل أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم من الفقهاء الذين التزموا بالجماعة وأقروا بالطاعة ونابدوا أهل الأهواء والبدع (الاتجاهات الأخرى)..
وإمام هذه النصوص التي سبق ذكرها حول الصحابة والسلف هناك سؤال يفرض نفسه هو:

إذا كان الصحابة والسلف لهم هذه المكانة المقدسة التي يؤكدونها أهل السنة. فلماذا هذا الحشد من النصوص والتبريرات للمسلمين من الخوض في أحداث التاريخ المرتبطة بهم وأعمال العقل فيها؟

إن العقل يقول إذا كان القرآن يقف إلى جانب هذه الرؤية فليست هناك حاجة إلى هذه الروايات والتبريرات والتأويلات والتحذيرات..

وهذا هو مريط الفرس. إن القرآن لا يقف إلى جانب هذه الرؤية بل يناقضها وأن القوم تحت ضغط الحكام والسياسة والاتجاهات الأخرى المناهضة لهم اضطروا إلى التسليح بهذه الروايات والتأويلات والتبريرات لدعم موقفهم الضعيف ويبدو أن هناك مصلحة سياسية من وراء فرض هذا التصور على الأمة إذ بسيادته تتحقق النتائج التالية:

. إتاحة الفرصة للمنافقين وأصحاب الأهواء والمصالح من الدخول في دائرة الصحبة والحصول على مرتبة العدالة وبالتالي امتلاك صلاحية التحدث بلسان

الرسول والرواية عنه..

- استثمار هذا القطاع الدخيل على الصحابة في دعم الانتظمة الحاكمة واضفاء
المشروعية عليها..

- استثمار الروايات التي يروىها هذا القطاع في تشكيل رؤية جديدة للإسلام
تكفل لهذه الانتظمة الاستمرار والبقاء..

- تكوين جيل جديد من المسلمين على أساس هذه الروايات والتصورات بمعزل
عن الصورة الحقيقية للإسلام..

- الاعتماد على هذا الجيل في مواجهة المعارضين للتيار الحكومي وتشويه
الإسلام.. ولقد كان أهل السنة هم هذا الجيل الذي وقع في فخ الحكام وتبنى
الاطروحة الحكومية الزائفة على أساس انها الإسلام وأنطلق ينسبها للرسول
والسلف ويبارى بها الآخرين مهدداً أو متوعداً من يحاول المساس بها أو الخروج
عليها بدعم من الحكام.. ولو أردنا إبراز موقف أهل السنة من قضية الرجال بدقة
فإننا نقول أنهم قد اعتمدوا نماذج معينة من الصحابة ومن التابعين كأسوة لهم
ومصدر للتقليد وقاموا بتضخيم هذه النماذج على حساب الآخرين من الصحابة
والتابعين الذين خرجوا على خط الحكام ثم تلحفوا في النهاية بالإجماع حتى
يوهموا المسلمين أنهم يمثلون الأمة والدين الحقيقي..

ويبدو هذا الأمر بوضوح في تضخيمهم لابن عمر وأبي هريرة على الصحابة ثم
عائشة على زوجات النبي وتكثيف الرواية على لسانهم من دون الآخرين.. حتى أنه
يبدو وكأن الدين عندهم يقوم على هؤلاء الثلاثة..

إن تضخيم أبو هريرة وابنه عمر في مجال الرواية والنقل عن الرسول (ص) إنما
يشكل ضربة للخلفاء الثلاثة ويظهرهم بمظهر الجهال الذين لم يتلقوا شيئاً من
الرسول وهذا ما تؤكد كتب الأحاديث وفي مقدمتها البخاري أصح هذه الكتب
عندهم.

فقد روى البخاري لأبي هريرة (٤٤٦) حديثاً..

وروى لابن عمر عدد (٢٧٠) حديثاً..

وروى عائشة عدد (٤٤٢) حديثاً..

بينما روى لابي بكر عدد

وروى لعمر عدد

وروى لعثمان عدد

وروى للامام علي عدد (٢٩) حديثاً..

وروى لفاطمة بنت الرسول (ص) حديث واحد..^(٤)

وإذا كان أبو هريرة اسلم يوم خبير سنة سبع..

وابن عمر ولد في السنة الثالثة لبعثة النبي ومات الرسول وهو ابن عشرين وثلاث وعائشة تزوجها الرسول وهي ابنة ست ومات عنها وهي ابنة ثمانية عشر..

فمن أين أتوا بكل هذا العلم عن الرسول..؟

وكيف تجاوز أبو هريرة وابن عمر كبار الصحابة..؟

وكيف تجاوزت عائشة نساء النبي وابنته فاطمة..؟

أن حقيقة هذا الأمر تتجلى بوضوح إذا ما تبين لنا أن هؤلاء الثلاثة كانوا من أنصار الحكام وبنى أمية وكانوا معادين لخط الامام علي وقد انحازوا الى جانب معاوية الذي استثمرهم أحسن استثمار لدعم شرعيته وتأسيس الاسلام الحكومي..

ابن عمر كما هو معروف بايع معاوية ولم يبايع علياً ثم بايع يزيد ومن تلاه من حكام ومن موقف ابن عمر اخترع أهل السنة فكرة طاعة الحكام والصلاة والحج والجهاد معهم والصلاة وراء كل ير وفاجار على وجه العموم..^(٥)

وأبو هريرة كان وزير الدعاية لمعاوية وقد روى في كتب السنن آلاف الاحاديث على لسان الرسول وأصبح من أثرياء القوم بعد أن كان فقيراً يبيت الليالي على لحم بطنه في زمن الرسول..^(٦)

وعائشة مكثت مع الرسول اثنتا عشرة عاماً حسب روايات القوم وعاشت بعده خمسون عاماً تفتي وتروي على لسان الرسول..^(٧)

يروى عن عائشة قالت : نزل - القرآن - بمكة وإنني لجارية العب ..^(٨)

ومثل هذه الرواية تشير الى أن عائشة كانت في سن لا تسمح لا باستيعاب القرآن وفهمه في مكة ومع ذلك حملها أهل السنة كثير من الروايات التي تتحدث عن المرحلة المكية وعن بدء الوحي.

.. قضية الحكام:

ما الذي يجعل أهل السنة يهتمون كل هذا الاهتمام بالحكام حتى يجعلوا وجوب طاعتهم وأن ظلموا وفجروا من أصول العقيدة..؟

وما الذي يجعلهم يقبلون هذا الكم الروايات التي تلزم المسلمين بطاعة الحكام حتى ولو كانوا قطاع طرق يسلبون الأموال ويتهكون الإعراض ويريقون الدماء أن مثل هذا الموقف ليس له سوى تفسير واحد هو أن عقيدة أهل السنة عقيدة اخترعتها السياسة لخدمة الحكام واخضاع الجماهير لهم..

وكان الأجدر بأهل السنة إذا ما تبنا مثل هذه القضية أن يعزلوها عن مجال العقائد وإن اعتبروها مجرد مسألة اجتهادية تعبر عن الفقهاء ولا تعبر عن الإسلام. إلا أنهم بربط هذه القضية بروايات منسوبة للرسول (ص) جعلوا منها قضية دينية وابتعدوا عنها شبهة السياسة..

وبالطبع لم يكن أهل السنة ليعطوا عقيدتهم هذه بمعزل عن الروايات فهي سندهم الأساسي في مواجهة الاتجاهات الأخرى..

وإذا كانت كتب العقائد لدى أهل السنة قد حرصت بوجوب طاعة الحكام كما أشرنا سابقاً فإن هناك من صرح بوجوب طاعة معاوية على وجه الخصوص بعد الخلفاء..

يقول ابن قدامة المقدس: ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحى الله أحد الخلفاء المسلمين..^(٩)

ويذكر أهل السنة الكثير من الروايات المنسوبة للرسول والتي تزكى معاوية وحتى ولده يزيد وترفع من قدرهما إلا أن هذه الروايات محل خلاف عندهم..^(١٠)

والبخاري جعل باباً اسماه ذكر معاوية غير أنه لم يورد فيه أية رواية على لسان الرسول في معاوية سوى رواية عن ابن عباس تشهد له بالفة..^(١١)

وقال اسحاق بن راهوية استاذ البخارى : لم تصح فى معاوية منقبه.. (١٣)
ورفض النسائي جامع السنن الاعتراف بمناقب معاوية وكان ذلك سبب
مقتله.. (١٣)

وقضية خال المؤمنين التى يتزعمها اهل السنة إنما ابتدعوها لمعاوية من أجل رفع
مكانته على أساس أنه شقيق أم حبيبة زوج الرسول..

أما قضية كاتب الوحى فليست ثابتة والثابت عند اهل السنة أنه كتب بعض
الرسائل للرسول لكنه لم يستمر فى هذا الدور وقد غضب عليه الرسول ودعا
عليه.. (١٤)

يروى مسلم إن ابا سفيان جاء الى رسول الله وطلب منه ثلاثة مطالب:

الأول : أن يجعله يقاتل المشركين كما كان يقاتل المسلمين..

الثانى : أن يتزوج ابنته أم حبيبة..

الثالث: أن يجعل ولده معاوية كاتباً للوحى.. (١٥)

ومن الواضح بطلان هذه الرواية لكونها تناقض روايات أخرى عند اهل السنة
وتناقض أحداث التاريخ الثابتة..

فمن المعروف أن أم حبيبة من المهاجرات وتزوجت الرسول (ص) قبل فتح مكة
وإسلام ابي سفيان.. (١٦)

وأهل السنة يعترفون أن معاوية لم يكن كاتباً للوحى ثم ان الرواية لم تحدد لنا اذا
ما كان الرسول قد وافق على طلب ابي سفيان أم لا..

ومسألة قتال ابا سفيان للمشركين لم تحدث فى زمن الرسول ولا فى زمن
الخلفاء.. ثم ان ابا سفيان يطلب من الرسول منقبة له وهذا لا يصح فإن المنقبة
لا تطلب والحمد لله ان اهل السنة لم يواصلوا الرواية ووقفوها عند هذا الحد الذى
يثير فأتين المنقبة التى حصل عليها ابو سفيان انن حتى يقول مسلم بان مناقب ابو
سفيان؟ ويلاحظ ان مسلم الذى روى هذه الرواية الوحيدة فى حق ابي سفيان لم
يرو شيئاً فى حق ولده معاوية..

إلا أن الترمذى يروى أن النبى قال لمعاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهديه..

الهوامش:

- (١) رواه البخارى
- (٢) انظر كتب العقائد. وانظر الحرب بين الحنابلة والاشاعرة والمعتزلة فى عصر المؤمن وفى العصر السلجوقى. والحرب بين ابن تيمية وخصومه فى العصر المملوكى.. فى كتب التاريخ..
- (٣) انظر ترجمة جعفر الصادق فى وفيات الاعيان لابن خلكان ح ١ / ترجمة رقم ١٣١، وكتب التراجم الأخرى. وانظر جعفر الصادق للشيخ. محمد ابو زهرة وعبد الحليم الجندى..
- (٤) انظر هدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر..
- (٥) لا توجد عند أهل السنة رواية تجيز الصلاة وراء كل بر وفاجر. ويذكر ابن خلكان ان الحجاج صلى على ابن عمر حين وفاته. انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ح ٣ / ترجمة رقم ٣٢١ .
- (٦) انظر ترجمة أبرهيرة فى الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر واسد الغابة لابن الاثير وكتب التراجم.
- (٧) انظر ترجمة عائشة فى طبقات ابن سعد ح ٨ وكتب التراجم..
- (٨) رواه البخارى باب تأليف القرآن.. (٩) لمعة الاعتقاد..
- (١٠) انظر العواصم من القواصم.. وذيل كتاب الصواعق المحرقة. وفتح البارى ح ٧ كتاب فضائل الصحابة.
- (١١) انظر البخارى كتاب فضائل الصحابة. وقد قال ابن حجر تعليقا على هذه الرواية ان شهادة الصحابي للصحابي كشهادة رسول الله..
- (١٢) انظر فتح البارى ح ٧
- (١٤) رفض النسائي كتابه كتاب فى معاوية مثل كتاب خصائص الامام على فاعتدى عليه أهل الشام بالضرب حتى مات انظر ترجمته فى كتب التراجم ومقدمة الخصائص..
- (١٥) طلب الرسول معاوية فقالوا انه يأكل فقال لا اشبع الله له بطناً..
- (١٦) انظر مسلم باب فضل ابو سفيان..

ـ الجانب المذهبي:

أساس كتب العقائد لدى أهل السنة على عدة قضايا فقهية تعكس مذهب أهل السنة يهدف إلى تحصين أتباعهم ضد المذاهب والاتجاهات الأخرى.

يقول ابن حنبل في عقيدته: والمتعة حرام إلى يوم القيامة. ومن طلق ثلاثاً في لفظ واحد فقد جهل وحرمت عليه زوجته ولا تحل له أبداً حتى تنكح زوجاً غيره..

والتكبير على الجنائز أربع والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن والمقيم يوماً وليلة. أحبوا أهل السنة على ما كان منهم أماناً لله وإياكم على السنة والجماعة..

يقول النسفي: ويصلي على كل بر وفاجر ونرى المسح على الخفين في الحضر والسفر ولا نحرم نبيذ التمر..

يقول الطحاوي: ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر.. ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة. ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ولا شهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق مالم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله تعالى..

يقول ابن تيمية: وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره. وهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر.. ولا يسلبون الفاسق الإسلام بالكلية ولا يخلدونه في النار..

يقول المقدسي: ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول، لكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب ولا نخرجه من الإسلام بعمل.. وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم فهذه فرق الضال وطوائف البدع أعاذنا الله منها..

ومن الواضح أن مثل هذه القضايا ليس محلها كتب العقائد لكن وجودها في دائرة هذه الكتب يشير إلى عدة دلالات مذهبية:

الأولى : تحصين أهل السنة ضد الإتجاهات الأخرى..

الثانية: مناقضة للشيعة الذين لايجيزون المسح على الخفين ويعتبرونه بدعة ولا يقرون بأن الثلاث طلاقات فى مكان واحد يمكن أن يحدث بسببهم الفراق الأبدى بين الزوج وزوجته ويجيزون زواج المتعة..

الثالثة : إغلاق باب الشك والالتهام للحكام بالفسق والانحراف عن الإسلام.. إذ أن مسألة الكبائر والفسق ربطتها الاتجاهات الأخرى بالحكام واعتبرتها مبرراً للطعن فيهم وضرورة منابذتهم والخروج عليهم..

إن أهل السنة إنما يهدفون من وراء طرح القضايا الفقهية ضمن إطار العقيدة إلى إغلاق المنافذ أمام الاتجاهات الأخرى وأمام اتباعهم. وقد تساوت عندهم الأمور العقائدية بالأمور الفقهية والمذهبية حتى يتبناها المسلمون جملة واحدة فلا يحدون عن الطريق..

وقد ثارت ثائرتهم على ابن تيمية وهو منهم لكونه أفتى فى الطلاق برأى يخالف ما هم عليه وما ألزموا الأمة به..

وتبدو مسألة الصلاة وراء كل بر وفاجر وفى أى موضع مسألة فقهية فى الظاهر إلا أن بتأملها يتبين أنها مسألة سياسية بحتة الهدف منها إخضاع الأمة للحكام والسير وراء فقهاء السلاطين الذين يضيفوا المشروعية على هؤلاء الحكام.. فالصلاة وراء الحاكم أو الفقيه التابع له لا تجد الأمة فيها حرجاً وفق هذه القاعدة كما لا تجد حرجاً فى الصلاة بالمساجد التى يقيمها الحكام تخليداً لذكراهم من الأموال المقصوبة من العباد والمنهوية من المسلمين..

ولا شك أن أقبال الأمة على ممارسة شعيرة الصلاة على هذا النحو من شأنه أن يكسر حاجز العداء بين الجماهير والحكام وهذا هو المراد..

أهل السنة

بين

الماضي

والحاضر

دائرة الماضي

الحنابلة

ابن تيمية

دائرة الحاضر

الوهابيون

التيارات الإسلامية

كان الحنابلة بما أحدثوه من فتن في تاريخ المسلمين قد شكلوا نقطة ضعف كبيرة في دائرة أهل السنة..

وكانت الصدامات بينهم وبين خصومهم لا تنحصر في حدود المخالفين لأهل السنة من الشيعة والمعتزلة بل تعدتها لتشمل المخالفين لهم من أهل السنة..

ولقد أدى صدامهم مع أهل السنة إلى إنعزالهم وتقوقعهم وإضطرارهم إلى سلوك سبيل الاعتدال في مواجهة الآخرين..

ثم ابتليت الأمة في القرن الثامن بفتنة حنبلي أحيى من جديد فتن الحنابلة وزرع بذور الشقاق في صفوف أهل السنة ثم استدار إلى الشيعة والاتجاهات الأخرى فأعلن عليها الحرب وأدخلها في دائرة الكفر. ذلك الفقيه هو ابن تيمية الحراني..

ثم قمع ابن تيمية من قبل أهل السنة وأسدلت الستار على فتنته حتى جاء القرن الثاني عشر الهجري وأطل الحنابلة برؤوسهم من جديد تحت زعامة محمد بن عبد الوهاب وبعد الظهور الأخير للحنابلة في الجزيرة العربية تحت راية الوهابيين أكبر انتصار حققوه على مدى تاريخهم. فمنذ ذلك الحين وحتى اليوم أصبح الحنابلة يعيشون عصراً ذهبياً. إذ ببركات آل سعود والنقط دان لمذهبهم ملايين المسلمين والفقهاء والمؤسسات والتيارات الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي..

منذ ذلك الحين بدأت الفتن تطل برأسها ولكن في ثوب جديد. بدأت بمسألة القباب والأضرحة وانتهت بإراقة دماء المخالفين..

من هنا سوف نتابع في هذا الباب عقيدة أهل السنة في مسيرتها التي فرخت تيار الحنابلة الذي فرخ لنا ابن تيمية والذي أنبثق منه بدوره تيار الوهابية ثم انعكاس هذا التيار على واقعنا والتيارات الإسلامية المعاصرة..

إن ما يعانيه المسلمون اليوم من أزمة فكرية وإنحطاط عقلي إنما يعود سببه إلى

هيمنة هذا الطرح الحنبلى على تصوراتهم ومؤسساتهم..
كذلك ما نتج عن هذه الازمة وهذا الإنحطاط من ممارسات معوجة وافكار متخلفة
وصدامات عشوائية إنما يعود سببه لهذا الطرح..
- الماضى :

ان الماضى بالنسبة لنا يتمثل فى دائرتين:

الاولى : دائرة الخطاب..

الثانية: دائرة ابن تيمية..

- الحاضر:

ويتركز فى دائرتين:

الاولى : التيار الوهابى..

الثانية : التيارات الإسلامية..

● دائرة الماضي ..

ـ الحنابلة ..

كان أحمد بن حنبل هو أول من وضع بذرة أهل السنة في واقع المسلمين. وقبله كان السلف يتعبدون على أساس القرآن والتلقي عن مشاهير الفقهاء من التابعين وغيرهم مثل مالك وأبو حنيفة والشافعي..

وكانت فترة ابن حنبل هي فترة تدوين الروايات وجمعها وقد نون هو مسنده وجاء من بعده البخاري وتلميذه مسلم والترمذي ثم ابن ماجه والنسائي والحاكم والبيهقي وغيرهم..

من هنا فقد استثمرت الروايات كخط دفاعي في مواجهة الاتجاهات الأخرى من الشيعة والمعتزلة والفلاسفة ثم تحولت إلى أداة للهجوم بعد ظهور فكرة الاجماع والتي أضفت القدسية على البخاري ومسلم وعلى الأفكار التي حوتها عقيدة أهل السنة..

والغريب أن أهل السنة اعتمدوا البخاري ومسلم ككتابين صحيحين ولم يعتمدوا مسند أحمد بن حنبل امام أهل السنة بل قدموا عليه كتب السنن الأخرى مثل كتاب أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي..^(١)

ولقد كان ابن حنبل من الفقهاء التقليديين الذين يلتزمون بالنصوص التزاماً حرفياً ويؤثر عنه قوله: لست أتكلم إلا ما كان كتاب أو سنة أو عن الصحابة والتابعين وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود..^(٢)

ويقول ابن حنبل حين سئل: يا أبا عبد الله ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية. فقال: ما أقول فيهم إلا الحسنى..^(٣)

وسئل من الرافض..؟ فأجاب: الذي يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله (ص) أو يتعرض لهم. ما أراه على الإسلام..^(٤)

وسئل عمن يقدم علياً على عثمان يبدع..؟ فأجاب: هذا أهل أن يبدع. أصحاب رسول الله (ص) قدموا عثمان..^(٥)

ويؤثر عن ابن حنبل قوله: من ترك الصلاة فقد كفر..^(٦)

ويقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة وترك البدع وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال وليس في السنة قياس ولا يضرب لها الامثال ولا تدرك بالعقول والقرآن كلام الله غير مخلوق..^(٧)

ويلغ ابن حنبل أن أحد أتباعه فرق بين ابنتيه وزوجها بسبب تبني الزوج لفكرة الوقف في القرآن. فقال: أحسن عافاه الله ودعا له..^(٨)

ومثل هذه الأقوال إنما تعكس لنا شخصية ابن حنبل ونمطية تفكيره تلك الشخصية التي تجلت لنا بوضوح في موقفه من قضية خلق القرآن..

فحين تبني المأمون العباسي طرح المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن سعى لإلزام الأمة بذلك فجمع الفقهاء وأقرروهم بذلك فأقروا إلا أحمد بن حنبل فقد أصر على موقفه وأوذى بسبب ذلك وحبس وجلد وكاد أن يلقي حتفه وهو مصر على أن القرآن غير مخلوق..^(٩)

وتكمن حقيقة موقف ابن حنبل في كونه لا يجد في الروايات التي بين يديه أو في سيرة السلف ما يدعم فكرة خلق القرآن فمن ثم قد اعتبرها بدعة أثر أن يموت ولا يعترف بها..

ومثل هذا الموقف إنما يعكس لنا جانباً هاماً في شخصية ابن حنبل الفكرية وهو جانب تضخيم الفروع والتقيد الحرفي بالنص. وقد انعكس هذا الجانب على شخصية تلاميذه من بعده الذين دخلوا في صراعات مع المسلمين واصطدموا بالواقع وأراقوا الدماء بسبب قضايا فرعية وهامشية..

ويكشف لنا أيضاً جانب التعصب في شخصيته وأفتقار المرونة في التعامل مع الواقع فقضية خلق القرآن ليست قضية جوهرية تمس أصول الدين بل هي قضية فكرية يؤخذ فيها ويرد فلا هي تمس ذات الله ولا هي تمس القرآن. وأن الذين يقولون بخلق القرآن إنما يهدفون من وراء هذا القول إلى تنزيه الله سبحانه عن صفة الحداث باعتبار أن الله قديم سبحانه بينما القرآن حادث ويجب التفريق بين الله وكلامه من باب نفى المشابهة..

إلا إن ابن حنبل لا مجال عنده لاستعمال العقل. ومجال التلقى الوحيد عنده هو

النقل وما دام النقل لم يورد مثل هذه القضية فهي بدعة..

ولو كان ابن حنبل قد توقف عند حدود ربط قضية خلق القرآن بالبدعة لكان الأمر هيناً إلا أنه حكم بكفر القائلين بخلق القرآن وألحق البلاء لنفسه وهذا قمة التعصب الذي ورثه عنه تلاميذه من بعده ووقعت بسببه فتن كثيرة في بغداد وغيرها..

ان الأخذ بظاهر النص - الرواية - والتعصب له هو الذي أوقع الحنابلة في متاهة التشبيه والتجسيم فيما بعد حتى انهم نسبوا التجسيم والتشبيه لابن حنبل نفسه ثم للسلف من قبله..

وهذا ما دفع بابن الجوزي وهو من كبار الرموز الحنبلية إلى التصدي لهم ومحاولة تبرئة ابن حنبل من تهمة التشبيه..

يقول ابن الجوزي: ورأيت من اصحابنا من تكلم في الاصول بما لا يصلح. وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبدالله بن حامد وصاحبه القاضي أبو يعلى وابن الزاغوني. فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته فأثبتوا له الصورة.. ووجهاً زائداً على الذات. وعينين وفماً وأضراساً وساقين ورجلين. وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس. وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدنى العبد من ذاته. وقال بعضهم ويتنفس. ثم انهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل..

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل. ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ولا إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث..

ولم يقتنعوا بأن يقولوا (صفة فعل) حتى قالوا (صفة ذات) ثم لما اثبتوا أنها صفات. قالوا: لانحملها على توجيه اللغة مثل (يد) على معنى القدرة ونعمة. ولا (مجيء وإتيان) على معنى بر ولطف ولا (ساق) على شدة..

بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة. والظاهر: هو المعهود من نعوت آدميين والشئ انما يحمل على حقيقته إذا أمكن. فإن صرف صارف حمل على المجاز. ثم

يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة.. وكلامهم صريح في التشبيه. وقد تبعهم خلق من العوام. وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا أقم أصحاب نقل وأتباع. وأمامكم الأكبر أحمد بن حنبل - رحمه الله - يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل. فإياكم أن تبتدعوا في مذهب ما ليس منه. ثم قلت في الأحاديث: تحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة. فإنه لما قيل في عيسى عليه السلام - : (روح الله) اعتقدت النصارى - لعنهم الله تعالى - أن الله سبحانه وتعالى صفة: هي روح ولجت في مريم. ومن قال: استوى بذاته المقدسة فقد - أجراه - سبحانه وتعالى - مجرى الحسيات. وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإنه به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم. فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت. لما أنكر أحد عليكم. وإنما حملكم إياها على الظاهر قبيح.. فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفى ما ليس منه. فقد كسبتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى صار لا يقال عن حنبل إلا مجسم. ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنة. وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم: لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يُغسل إلى يوم القيامة..^(١٠)

ولقد كانت الدفعة التي أخذها الحنابلة على يد المتوكل العباسي الذي نصرهم على خصومهم وفتح الأبواب أمامهم لنشر أفكارهم قد أدت بهم إلى الإنتقام من المخالفين والافساد في الأرض..^(١١)

ومنذ ذلك الحين كثرت اعتداءاتهم على العامة والنساء في الطرقات ومهاجمة الأسواق بدعوى مقاومة البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ثم تطور الأمر إلى تصفية الخصوم من الأشاعرة والشيعة والمعتزلة والدخول في صدامات دموية معهم..^(١٢)

يروى السيوطي عن أحداث عام (٣١٧هـ): وفي هذه السنة هاجت فتنة كبرى ببغداد بسبب قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)..

قالت الحنابلة: معناها يقعده الله على عرشه..

وقال غيرهم: بل هي الشفاعة..

ودام الخصام واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة..^(١٣)

ويروي السيوطي على لسان الذهبي عن أحداث عام ٢٩٨هـ: وفي سنة ثمان وتسعين وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة في بغداد وكاد الشيخ أبو حامد الأسفرايني يقتل فيها. وصاح الرافضة ببغداد يا حاكم يا منصور فاحفظ القادر من ذلك وأنقذ الفرسان الذين على بابه لمعاونة أهل السنة فانكسر الروافض..^(١٤)

وكان الخليفة العباسي القادر حسن المذهب صحيح الاعتقاد في نظر أهل السنة وقد صنف كتاباً في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على مذهب أصحاب الحديث - الحنابلة - وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبدالعزيز وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي ويحضره الناس..^(١٥)

الهوامش

(١) يرتب أهل السنة كتب الحديث كما يلي : البخارى رقم واحد ومسلم رقم اثنين ثم ابو داود ثم الترمذى ثم النسائى ثم ابن ماجه.

(٢) أنظر ترجمة أحمد بن حنبل فى تاريخ الاسلام للذهبي تراجم الطبقة الخامسة والعشرون وأنظر ترجمته فى وفيات الاعيان وسير اعلام النبلاء للذهبي وغيرها من كتب التراجم

(٣) أنظر الذهبي والمراجع السابقة..

(٤) الذهبي..

(٥) المرجع السابق..

(٦) المرجع السابق..

(٧) المرجع السابق..

(٨) المرجع السابق..

(٩) أنظر محنة ابن حنبل فى عصر المأمون والمعتصم والواثق فى تاريخ الذهبي. وكتب التاريخ..

(١٠) دفع شبه التشبيه بكف التنزيه. ط القاهرة..

(١١) قال واحد من فقهاء السنة: - الخلفاء ثلاثة: ابو بكر فى قتل أهل الردة. وعمر بن عبدالعزيز فى رده المظالم. والمتوكل فى إحياء السنة وإماتة التجهم (نسبة لجهم)، أنظر فتن الحنابلة وسيرة المتوكل فى الكامل لابن الأثير. وغيره من كتب التاريخ..

(١٢) أنظر هجمات الحنابلة على أحياء الشيعة واحراقها واعتداءاتهم على الفقهاء من خصومهم ومحاولاتهم التفريق بين الرجال والنساء فى الأسواق والطرق..

وقد أدت كثرة مشاكلهم إلى تدخل الخليفة لحسمها والضرب على أيديهم..
أنظر الكامل حوادث عام ٢٢١ هـ - وعام ٤٧٥ هـ في كتب التاريخ الأخرى..

(١٣) تاريخ الخلفاء..

(١٤) أنظر تاريخ الخلفاء. وتاريخ الذهبى والكامل عن أحداث هذا العام..

(١٥) أنظر تاريخ الخلفاء. وتاريخ بغداد للخطيب. وتأمل حتى الحكام أفسح لهم
أهل السنة الطريق ليفتوا ويكفروا المخالفين. أنظر سيرة الخلفاء القادر فى
المراجع السابق ذكرها..

• ابن تيمية ..

مع بداية ضعف الدولة العباسية وتلاشى سلطانها وظهور دول إسلامية كبرى تنافسها وتضيق عليها مثل الدولة السلجوقية في بلاد ماوراء النهر. والدولة الفاطمية في مصر والشام بدأت بغداد تفقد مركزها العلمي واتجه الفقهاء نحو عواصم الدول الأخرى ولم يجد الحنابلة لهم مكاناً فقد سبقتهم المذاهب والاتجاهات الأخرى نحو حكام هذه الدول وانتصرت الدولة السلجوقية في عهد الوزير نظام الملك للأشاعرة والشافعية وطاردت الحنابلة وأسست المدرسة النظامية ببغداد تلك المدرسة التي لعبت دوراً كبيراً في تطوير الحنابلة ونشر أفكار الأشعرى ومذهب الشافعى بعد فترة اضطهاد طويلة..

ومنذ ذلك الحين بدأ نجم الحنابلة في الأفول بسقوط القوى الحاكمة التي كانت تنصرهم واختفت معهم فكرة أهل السنة التي كانوا يرفعون شعارها وحل محلهم الأشاعرة والشافعية بدعم من السلاجقة ثم الأيوبيين ثم المماليك..

وفي ظل هذا الوضع ظهر ابن تيمية بالشام (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) رافعاً راية الحنابلة باعثاً أفكارهم القديمة حول صفات الله. ومواقفهم العدوانية المتعصبة تجاه المخالفين سواء كانوا من أهل السنة أو من الآخرين..

وعلى يد ابن تيمية بعثت فتن الحنابلة من جديد وتعددت الصدامات بينه وبين الأشاعرة والشافعية والشيعة والصوفية والفقهاء المخالفين له..

ولم يجد ابن تيمية نصرة من حكام المماليك كما وجد سابقوه من العباسيين، فقد انحازوا للفقهاء ضده لكونهم يمثلون الاتجاه السائد بينما كان اتجاه ابن تيمية شاذاً حتى فقهاء الحنابلة تخلوا عنه..

وانتهى الأمر بابن تيمية إلى السجن الذي توفي فيه رافضاً التنازل عن أفكاره تاركاً مجموعة من التلاميذ الذين يسرون على نهجه على رأسهم ابن القيم الجوزية الذي حبس معه ولم يفرج عنه إلا بعد وفاته..

ولم يستطع ابن القيم سد الفراغ الذي أحدثه غياب ابن تيمية وقمع من فقهاء عصره ليسدل الستار على طرحه حتى حين..

ويمكن تحديد الأفكار الحنبلية التي طرحها ابن تيمية فيما يلي:

- إثبات الجهة والمكانية لله سبحانه:

ذكر ابن تيمية في معرض رده على الذين يقولون بنفي التحيز عن الله: فيقال لمن نفى: أتريد بالجهة ما وراء العالم: فلأريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات..

وكذلك يقال لمن قال: الله في جهة.. أتريد بذلك أن الله فوق العالم. أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات..

فإن أردت الأول فهو حق..

وإن أردت الثاني فهو باطل..^(١)

ويقول:.. وإذا رد ذلك تعين أن يكون في الجهة. فثبت أنه في الجهة على التقديرين..^(٢)

ويقول عن الذين ينفون الجهة والتحيز عن الله تعالى: وأما إن تضمن هذا الكلام أن الله ليس على العرش ولا فوق العالم فليصرح بذلك تصريحاً بيئاً.. ومن المعلوم أن قائل ذلك لا يجترئ أن يقوله في ملا من المؤمنين وإنما يقوله بين أخوانه من المنافقين..^(٣)

ويقول: والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية..^(٤)

ويقول مثبتاً الجهة والمكانية لله راداً على خصومه: قد قلت لهم قائل هذا القول إن أراد به أن ليس في السموات رب ولا فوق العرش إله وأن محمداً لم يعرج به إلى ربه وما فوق العالم إلا العالم المحصن فهذا باطل مخالف لإجماع سلف الأمة..^(٥)

- أن الله متكلم بصوت وحرف:

يقول ابن تيمية: أن الله تعالى متكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح وليس ذلك كأصوات العباد لأصوات القاريء ولا غيره..^(٦)

ويقول نقلاً عن ابن حنبل عندما سئل عن زعم أن الله لم يتكلم بصوت قال: بلى. تكلم بصوت.

ويرى ابن تيمية أن الله يتكلم بحرف وصوت تكلم بالقرآن العربي بألفاظه ومعانيه

بصوت نفسه كما تكلم بالتوراة العبرية كذلك ونادى موسى بصوت سمعه وينادى عباده يوم القيامة بصوت كذلك..^(٧)

• ان الله جسم:

يقول ابن تيمية: الكلام فى وصف الله بالجسم نفياً وإثباتاً بدعة لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها ان الله ليس بجسم كما لم يقولوا ان الله جسم..^(٨)

ويقول: واما لفظ الجسم والجوهر والتحيز والجهة ونحو ذلك فلم ينطق كتاب ولا سنة بذلك فى حق الله لا نفياً ولا إثباتاً..^(٩)

ويقول: والكبد والطحال ونحو ذلك هى الأعضاء الاكل والشرب فالغنى المنزه عن ذلك منزّه عن آلات ذلك بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل..^(١٠)

• رفض المجاز فى اللغة:

يقول ابن تيمية: وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف وهذا التقسيم لا حقيقة له وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا. فعلم ان هذا التقسيم باطل. وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل يتكلم بلا علم. فهم مبتدعة فى الشرع مخالفون للعقل..^(١١)

تحريم زيارة الرسول (ص):

أفتى ابن تيمية بأن شد الرحال لزيارة النبی معصية وأن من ناداه مستغيثاً به بعد وفاته أشرك بالله..

وقد أعتمد ابن تيمية فى فتواه هذه على حديث يقول: لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى..^(١٢)

• فناء النار :

قال ابن تيمية ان النار تنفى والجنة تبقى ونسب هذا القول إلى السلف رافضاً القول بأنهما لاتفنيان..^(١٣)

• قيام الحوادث بالله تعالى:

يقول ابن تيمية: فإن قلتم لنا فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب قلنا لكم نعم. وهذا قولنا الذى دل عليه الشرع والعقل. فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به. قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة .. (١٤)

ويقول: أن الرب تقوم به الأفعال فيتصف به طرداً لما ذكر فى الكلام وإن الفاعل من قام به الفعل .. (١٥)

ومثل هذه الأقوال وغيرها هى التى وقع بسببها الصدام بين ابن تيمية وفقهاء عصره الذين أندفع الكثير منهم للرد عليه ووصل الأمر ببعضهم إلى الحكم بتكفيره .. (١٦)

ولقد تبنى ابن القيم الجوزية هذه الأفكار ودافع عنها فى نونيته التى يطلقون عليها العقيدة النونية .. (١٧)

ومن الواضح إن إنكار ابن تيمية للمجاز - وهو قول شاذ حتى على الحنابلة - يعنى أن ما وصف الله به نفسه فى كتابه يصبح حقيقة وهو ما يقول به ابن تيمية حيث ينفى التأويل ويوجب أخذ النصوص على ظاهرها من القرآن والروايات التى هى محل خلاف .. من هنا فقد هاجم ابن تيمية الخلف من أهل السنة واعتبرهم مبتدعة خارجون على منهج السلف لأنهم يؤلون اليد بالقدرة والنزول بالرحمة وينفون رؤية الله إلخ.

وعلى هذا الأساس اعتبر ابن تيمية من المجسمة المشبهة ودعاة الفتنة. كما اعتبر بأفكاره هذه لا يمثل أهل السنة فمن ثم تصدى له الفقهاء وحاكموه فكراً وحبس حتى الموت .. (١٨)

ولم يقتصر الأمر عند ابن تيمية فى حدود الفكر بل تعدى ذلك إلى دائرة السلوك وقام هو وأتباعه بتحطيم الخمارات والاعتداء على المتصوفة ومنع الناس من زيارة القبور .. (١٩)

الهوامش

- (١) أنظر الرسالة التدمرية فصل تنازع الناس في الجهة والتحيز..
- (٢) منهاج السنة حـ ١ / ٢٦٤ ..
- (٣) فتاوى ابن تيمية حـ ٥ / ٢٧ ..
- (٤) كتاب التأسيس نقلاً عن السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (ابن القيم)
- (٥) الفتاوى حـ ٥ / ١٩
- (٦) المرجع السابق حـ ٥ / ١٢١
- (٧) ابن تيمية السلفي لخليل هراس.
- (٨) الفتاوى حـ ٥ / ١٩٢
- (٩) منهاج السنة حـ ١ / ٢٤٢ (١٠) الرسالة التدمرية.. (١١) كتاب الإيمان..
- (١٢) أنظر قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة.. والحديث رواه البخاري..
- (١٣) أنظر المواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكي. ت ٧٥٦ هـ..
- (١٤) منهاج السنة حـ ١ / ٢٢٤ ..
- (١٥) الفتاوى حـ ٥ / ١٠٤ ..
- (١٦) أنظر الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية للسبكي وشفاء السقام في زيارة خير الأنام.. والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر حـ ١ / ١٥٢ ..والجواهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم لابن حجر الهيتمي وسير اعلام النبلاء للذهبي حـ ٤ / ٤٨٤
- (١٧) هذه الفونية هي التي رد عليها العلامة زاهد الكوثري في كتابه السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل
- (١٨) أنظر تفاصيل هذه المحاكمات في الدرر الكامنة..
- (١٩) أنظر سيرة ابن تيمية في البداية والنهاية لابن كثير وابوزهرة وهراس وسلسلة اعلام العربى..

● دائرة الحاضر:

ـ الوهابيون ..

جاء محمد بن عبد الوهاب، في القرن الثاني عشر باعثاً لدعوة ابن تيمية وأفكاره التي ضربت في القرن الثامن..

ومرة أخرى تم بعث الخط الحنبلي المتطرف بعد غيبة أربعة قرون منذ وفاة ابن تيمية وحتى ظهور الحركة الوهابية..

ويبدو أن هناك تقارب بين شخصية محمد بن عبد الوهاب وشخصية ابن تيمية فكلاهما أوضع الفكر الحنبلي منذ طفولته في كتف عائلة حنبلية. كما تميز ابن عبد الوهاب بحدية المزاج وهي من أبرز ملامح شخصية ابن تيمية ..

وقد سلك ابن عبد الوهاب مسلك ابن تيمية في مقاومة المخالفين والتنديد بهم وتبنى العنف في مواجهة أصحاب الاتجاهات الأخرى..

ففي فترة دراسته بالبصرة اصطدم بالعامه والفقهاء بسبب طرحه لمسألة القبور التي أثارها ابن تيمية من قبله مما أدى إلى مهاجمته وضربه ثم طرده من البصرة حافى القدمين..

ثم انتقل بعد ذلك إلى الشام ولم يعجبه الحال فيها فعاد إلى نجد ليلزم أباه في نشر المذهب الحنبلي. وعكف على كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم..

وكان أول ما اصطدم ابن عبد الوهاب بوالده الذي رفض نهجه وطلب منه الاعتدال وتجنب الصدام مع العامة والفقهاء.. إلا أنه لم يعبأ بنصح والده. كما لم يعبأ بأخيه سليمان الذي عارض أفكاره وأنكرها..^(١)

وطاف ابن عبد الوهاب بدعوته ولم يجد عوناً من أحد بل وجد صداً وإيذاءً ونفرة إلى أن وصل إلى (الدرعية) وظفر به ابن مسعود الذي قرر الوقوف إلى جانبه على من خالفه وعقد معه اتفاقاً نص على مايلي:

ـ أن لا يرجع ابن عبد الوهاب عنه ان تم لهم النصر والتمكن..

ـ أن لا يمنع ابن مسعود من الخراج الذي ضربه على أهل الدرعية وقت الثمار..

وكان جواب ابن عبد الوهاب: أما الأول فالدم الدم. والهدم. الهدم..

وأما الثانى: ففعل الله يفتح عليك الفتوحات وتقال من الغنائم ما يغنيك عن الخراج..

ودخل ابن سعود فى حروب دموية مع المسلمين المخالفين تحت ستار دعوة ابن عبد الوهاب واستمرت هذه الحروب سنين طويلة اتسع فيها ملك ابن مسعود بعد سقوط الرياض وقرر ابن عبد الوهاب تفويض أمور المسلمين إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود وتفرغ هو للعلم والعبادة والدعوة..^(٢)

وهاجمت قوات ابن سعود العراق وغزت مدينة كربلاء وهدمت قبر الحسين وقتلت الكثير من النساء والصبيان وأحرقت الكثير من المنشآت واستولت على كثير من الغنائم التى نهبت من المساجد..^(٣)

وتتركز أفكار محمد بن عبد الوهاب فيما يلى:

توحيد العبودية:

وقد تبنى هذه الفكرة فى مواجهة الممارسات المتعلقة بقبور الانبياء والصالحين من الزيارات والتذور وبناء القباب وتزيين المساجد التى تقع بها هذه القبور والتوسل بمن فيها. وأعتبر ان مثل هذه الممارسات هى شرك وردة عن الإسلام يبيع

منع شد الرحال:

وقد تبنى هذه الفكرة من رواية البخارى: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد وهى نفس الفكرة التى تبناها ابن تيمية..

تحريم البناء على القبور وكسوتها واسراجها:

واستند ابن عبد الوهاب فى هذا التحريم إلى عدد من الروايات منها:

لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج..

ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد..

توحيد الاسماء والصفات:

وتبنى محمد بن عبد الوهاب نهج الحنابلة وابن تيمية فيما يتعلق بصفات الله

رافضاً التأويل واءاء المءالفةن من المءءزلة والشعة وءفرهم..

انكار البدع:

وسيراً مع نهج ابن ءيمية ءبنى محمد بن عبدالوهاب مقاومة الاحتفال بمولد الرسول وموالء الصالحين والصلاة على الرسول (ص) بعد الآذان. والءلفظ بالنية فى الصلاة. والءذكفر قبل الآذان. والطرق الصوفية..^(٤)

وكما هو معروف فإن ابن عبدالوهاب ومن سار على نهجه من بعده لم يلتزموا بالحكمة والموعظة الحسنة وسلوك سبيل الاعتءال فى نشر هذه الافكار وءعميمها. بل كان السيف هو الوسيلة الوحيدة الءى اعتمءها الوهابيون لإجبار المسلمين على ءبنى أفكارهم..

ءقول ءءوى وهابية: ان الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف الءوحيد وءان به وعمل بموجبه فمن قال لا اعاءى المشركين أو عاءاهم ولم يكفرهم، أو قال لا اءعرض القباب فهذا لا يعد مسلماً. بل هو ممن قال الله فيهم (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويرءون أن يءخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً واعتءنا للكافرين عذاباً مهيناً)..^(٥)

وقام الوهابيون بهءم قبور البقيع فى المءينة وخارجها وعلى رأسها قبور أئمة آل البيت ءم هموا بهءم قبر الرسول (ص) لكنهم ءراجعوا عن ذلك خوفاً من رء الفعل.. ولقد عكف الوهابيون الجءء على طرء ابن عبد الوهاب وقءوته ابن ءيمية والعمل على نشره وربطه بالسلف وإيهام المسلمين إن هذا الطرء هو طرء الرسول والصحابء والممءل لعقيدة أهل السنة..

وقام كبفرهم ابن باز بءءابة كتاب ءءء عنوان : إقامة البراهين على حكم من اسءفاء بغير الله أو صءق الكهنة والعرافين رءاً على قصيدة ءءء عنوان (فى ذكر المولد النبوى الشريف) نشرت فى إحدى الصحف..^(٦)

وكتب أءءهم عن العقيدة الإسلامية يقول : أثبات ما وصف الله به نفس فى كتابء أو وصفه رسوله فى أءاءبئة الصءيحة على الحقيقة بلا ءأويل ولا ءفويض ولا ءعطيل.. والله فوق العرش على السماء. والله معنا بسمعه ورؤيته وعلمه. وءعاء

الأموات أو الغائبين من الشرك الأكبر. ولا يجوز النذر والذبح لغير الله. والعمل بالقوانين المخالفة للإسلام كفر إذا أجازها أو اعتقد صلاحيتها. والتوسل بجاء الرسول (ص) فهو بدعة ولا تجوز موالاة الكفار ونصرتهم. ويحكم المسلمون بالقرآن والحديث الصحيح والعمل بالحديث الصحيح واجب. ولا نستغنى بالقرآن عن الحديث..^(٧)

وسيراً مع نهج ابن تيمية في رفض التأويل وأنكار المجاز الذي سار عليه بن عبد الوهاب هاجم أحدهم حزم الذي كان من رايه التمسك بظاهرة النصوص لكونه خالف معتقده ولم يلتزم بالأخذ بظاهر النص فيما يتعلق بآيات الصفات واتجه إلى تأويلها سيراً مع نهج الخلف..^(٨)

وفي حوار مع أحد علماء الوهابية وجهت إليه الأسئلة الآتية:

- تدعون أن الله في السماء . فليكن كان ربنا قبل أن يخلق الله السماء...؟
- تدعون أنه استوى على العرش استواء محسوساً. لما استوى على العرش هل كانت السماء خالية..؟
- أين هو الآن: مستو على العرش أم في السماء؟
- عندما تقولون أنه في السماء تنسبون له الجهة والإشارة وهي من صفات الحوادث فكيف الخلاص من ذلك؟
- أخبرنا الرسول أن الله ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة . وعلى منذهبكم : التأويل تعطيل . فإنه إذا ينزل من جهة السماء الأرض فيكون منتقلاً في نفس الأمر من جهة . أليس كذلك؟

● مهما كان كبر السماء فهو محدود فهل الله كذلك محدود..؟

- نحن وأنتم متفقون بأنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فهلا ترون وجوده في السماء يكون مقاساً بالسماء فيشابهه في المقاس. وهو صفة إثبات لا صفة نفى؟

وقد أجيب على هذه التساؤلات جميعاً بإجابة واحدة هي : نحن لا ندعى ذلك من تلقاء أنفسنا بل الله ورسوله أخبرنا بذلك . وساق النصوص..^(٩)

ويقول أحدهم : أطلق أعداء التوحيد على الموحد كلمة (وهابي) نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب ولو صدقوا لقالوا (محمدي) نسبة إلى اسمه (محمد) وشاء الله أن تكون (وهابي) نسبة إلى (الوهاب) فهو اسم من أسماء الله الحسنى . فإذا كان الصوفي ينتسب إلى جماعة يلبسون الصوف فإن الوهابي ينتسب إلى الوهاب وهو الله الذي وهب له التوحيد ومكنه من الدعوة إليه..^(١٠)

والوهابيون يعتبرون خصومهم مشركون وأعداء للتوحيد وخصومهم اليوم هم الشيعة والصوفية. كما يعتبرون أنفسهم أهل الحق والفرقة الناجية التي قصدها الرسول بروايته..^(١١)

وقد سئل ابن باز عن الفرقة الناجية فقال: هم السلفيون وكل من مشى على طريق السلف الصالح..^(١٢)

• التيارات الإسلامية : الحنابلة الجدد..

دخل التيار الوهابي في صراع مع المسلمين بالجزيرة العربية تحت زعامة الفقهاء والأشراف. ثم دخل في صدام مع الدولة العمانية التي وجهت له محمد علي حاكم مصر آنذاك والذي قام بتسيير قوة عسكرية غزت جزيرة العرب ودخلت عاصمة الوهابيين (الدرعية) وأسقطت آل سعود..

إلا أن الصدامات العسكرية استمرت بين الوهابيين وقوات محمد علي حتى برز الانجليز على الساحة العربية وقاموا بدعم الحركة الوهابية وآل سعود ضد دولة الاستانة حتى سيطروا على الجزيرة العربية بكاملها وفرضوا عليها الخط الوهابي بقوة السيف..

ومع ظهور النفط دخلت الدعوة الوهابية في مرحلة جديدة تمكنت من خلالها أن تخترق المؤسسات والقطاعات الإسلامية في معظم بقاع العالم الإسلامي أن لم نقل جميعها حتى صور للمسلمين في كل مكان أن هذه الدعوة هي الإسلام. والإسلام هو هذه الدعوة..

وما كان هذا من الممكن أن يحدث لولا أن الخط الوهابي نجح في إختراق واحتواء التيارات الإسلامية الفاعلة في الساحة الإسلامية. وعلى رأسها الأخوان

المسلمين ولقد تشبعت التيارات الإسلامية التي ظهرت بعد الأخوان بالفكر الوهابي وتبنيت أطروحاته والتزمت بنهج المتشدد في مواجهة الواقع على أساس أن هذا الطرح وهذا النهج هو نهج الإسلام..

ولم تدر التيارات الإسلامية أنها سقطت في فخ الحنابلة وتبنيت أطروحاتهم الشاذة التي نتج عن تبنيها الكثير من الممارسات المعوجة والصدمات العشوائية مع الواقع بالإضافة إلى خلق المتاهات التي بددت طاقة هذه التيارات وشتت قواها..

وسوف نورد هنا بعض نماذج من فتن الحنابلة وصدماتهم مع الواقع والجماهير كما وردت في كتب التاريخ ليتبين لنا مدى مطابقتها لممارسات ومواقف التيارات الإسلامية اليوم..

يروى ابن الأثير في الكامل حوادث عام ٣٢٣ هـ: وفيها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يلبسون - يقتحمون - دور القواد والعامة وإن وجدوا نبیذاً أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان فإذا أرادوا شيئاً من ذلك سألوا الذي معه ما هو فأخبرهم وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة..

قال - أي ابن الأثير - فأرهبوا بغداد. فركب بدر الدين الخرشى - وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البري بهاري من الحنابلة: ألا يجتمع منهم اثنان.. ولا يتناظرون في مذهبهم..

ويستطرد ابن الأثير: فلم يقد فيهم وزاد شرهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد وكانوا إذا مر بهم شافعي المذهب أعزوا به العميان فيضربوه بعصيتهم حتى يكاد يموت.. فخرج توقيع الراضى - الخليفة العباسى - بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم بإعتقاد التشبيه وغيره..

ويبدو من مواقف التيارات الإسلامية وممارستها على ساحة الواقع أنها صورة عصرية من ممارسات الحنابلة..

يبدو ذلك بوضوح في تبينهم التعصب ونبذ الآخر..

ويبدو في تقيدهم الحرفى برؤية الحنابلة في مسألة صفات الله..

ويبدو في تبنيهم العنف في مواجهة الخصوم..

ويبدو في صدامات مع الجماهير تحت شعار مقاومة البدع والمنكرات ..

ويبدو في غلظتهم وحدثهم في مواجهة الواقع..

والشيء الجديد الذي تبنته هذه التيارات هو مقاومة الحكام والخروج عليهم وهو ما لم يقل به أحد من أهل السنة ولا حتى من الحنابلة وإنما اشتقوا هذا الموقف من فتاوى لابن تيمية تتعلق بالتقار الذين اسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام..^(١٣)

ولم يكن ابن تيمية ضد الحكام بل كان موالياً لهم وكان صديقاً لمحمد بن قلاوون الحاكم المملوكي وقد اصطدم به الحكام تحت ضغط الفقهاء وليس لأسباب سياسية..^(١٤)

ولقد تبنت التيارات الإسلامية أفكار ابن تيمية على وجه الخصوص تحت تأثير الخط الوهابي تلك الأفكار التي دخلت في صدام مع الواقع على أساسها..

وكان كتاب (الفريضة الغائبة) الذي قام بتأليفه محمد عبد السلام أحد الخمسة الذين اعدموا في قضية اغتيال السادات - قد اعتمد على أفكار ابن تيمية..^(١٥)

ولم تنحصر تلك المواقف والممارسات التي تبنتها التيارات على أساس خط الحنابلة وابن تيمية خاصة في محيط الحكام والمخالفين لهم بل تعدتها الى محيط أصحاب الديانات الأخرى مثل المسيحيين الذين صدرت في حقهم فتاوى بجواز قتلهم واستحلال أموالهم على أساس كونهم أهل حرب ليس بينهم وبين المسلمين عقد ذمة حيث لا توجد دولة إسلامية تلزمهم بالجزية وتحفظ دمهم ومالهم..^(١٦)

وتبدو عملية اغراق الواقع الإسلامي بالكتب الوهابية المجانية التي تطبع في السعودية محاولة صريحة ومعلنة من قبلها لاستقطاب المسلمين وارضاعهم الفكر الوهابي والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي مصلحة حاكم كنفه بن عبد العزيز في طبع كتاب الفتاوى لابن تيمية (٣٧) مجلد على نفقته الخاصة وتوزيعه مجاناً على المسلمين...؟

وقد أطلق الوهابيون على ابن تيمية لقب شيخ الإسلام كما أطلقوه على ابن عبد الوهاب حتى يضخموا هاتين الشخصيتين في أعين المسلمين ويدفعوهم الى

الافتداء بهم والتسليم بطرحهم والمناداة بأفكارهم..

وعملت السعودية بالإضافة الى هذا على استقطاب الرموز الإسلامية البارزة في الساحة الإسلامية من الدعاة والعلماء واساتذة الجامعات وتمكنت ببركات النفط من جعلهم أبواقاً للوهابية وسط المسلمين..

من هنا أصبح الجميع في الأوساط الإسلامية يسبح بحمد ابن تيمية وابن عبد الوهاب ولا بأس آل سعود أولياء النعم وخلفاء المسلمين..

وأصبح الشباب المسلم الناشئ لا يعرف سوى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن سار في ركابهم من الفقهاء الحنابلة مثل ابن كثير والذهبي ثم محمد بن عبد الوهاب..

هؤلاء الفقهاء هم الذين اعتبرتهم التيارات الإسلامية مراجعها واستمدت من فتاويهم وأقوالهم مواقفها تجاه الواقع..

● أين الخلل ..؟

أن الفكر السليم يولد حركة سليمة. والفكر المعوج يولد حركة معوجة. وقد تبين لنا من خلال ما سبق أن الأعوجاج يكمن في ذلك الطرح الموروث الذي أطلق عليه عقيدة أهل السنة..

وفي هذا الطرح يكمن الخلل..

الخلل في الفكر الإسلامي المعاصر..

والخلل في الحركة الإسلامية المعاصرة..

فقد صيغ هذا الفكر بهذا الطرح..

وصبغت الحركة بهذا الطرح..

وليس هناك من وسيلة لاستقامة هذا الفكر وهذه الحركة إلا بالتحرر من هذا الطرح والبحث عن بديل آخر يحل محله..

وأن الذين تبنا حركة التصحيح في الواقع الإسلامي اليوم وقعوا في متاهة كبيرة لكونهم تجنبوا المساس بهذا الطرح وتصورا أن من الممكن تصحيح الواقع

الإسلامى ومسيرة الحركة الإسلامية وفق هذا الطرح ويهديه..

وتظل حالة الشنات والفرقة والشطحات السائدة فى الواقع الإسلامى تؤكد أن هذا الطرح لم يعد يصلح لمواكبة الواقع. وأن هذه الحالة سوف تظل قائمة طالما ظل التمسك به..

وإذا كانت التيارات الإسلامية قد ورثت عن أهل السنة رؤيتهم العدائية والاستعلاء على المخالفين. فقد ورثت عنهم أيضاً رؤيتهم العدائية لأهل الذمة وأصحاب الديانات الأخرى عموماً..

وهذا الميراث قد انعكس على واقعنا وتمثل فى صورة صدامات مع المسلمين ومع المسيحيين تتكرر كل حين وأخر. تلك الصدامات التى تجد مشروعيتها وتبريراتها من خلال فقه أهل السنة عامة والحنابلة خاصة..^(١٧)

أن فقهاء اليوم يدركون مدى المازق الذى تعيشه الساحة الإسلامية فى ظل هذا الطرح. لكنهم لا يجراؤن على نقدي وتقويمه لأن الإقدام على هذه الخطوة يعنى نصرة المخالفين لأهل السنة. ويعنى غرق مركب النجاة التى سوف تحمل فرقتهن نحو الجنة وبالتالي تبديد الحلم الذى عاش فيه السلف والمسلمون المعاصرون

وسوف يظل الفقهاء والحكام متمسكون بهذا الطرح لأن فيه أمنهم ومصالحتهم فلن يكون هناك مكان لهؤلاء الفقهاء فى ظل أى طرح آخر..

ولن يجد الحكام طرْحاً يدعم سلطانهم ويضفى عليهم المشروعية مثل هذا الطرح..

- نماذج من نصوص التطرف عند أهل السنة:

لما كانت التيارات الإسلامية تلتزم بعقيدة أهل السنة وهى قد سقطت فى براثن الحنابلة من ابن تيمية حتى محمد عبد الوهاب كان لابد لنا من استعراض بعض النصوص التى تكتظ بها كتب أهل السنة ومراجعهم الأساسية والتى انعكست بشكل مباشر على هذه التيارات وأسست مواقفها وتصوراتها فى مواجهة الواقع على أساس

● يروى ابن تيمية : جوز طائفة من أصحاب الشافعى وأحمد وغيرهما قتل الداعية الى البدع المخالفة للكتاب والسنة. وكذلك كثير من أصحاب مالك. وقالوا:

إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد فى الأرض لا لأجل الردة.. (١٨)

● وقال ابن عبد البر: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة فى الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإذا تمادى عليها استتيب منها.. (١٩)

وقال الشاطبى : فإن فرقة النجاة - أهل السنة - مأمورون بعبادة أهل البدع والتشريد بهم والتكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه. وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم.. (٢٠)

● ويقول ابن القيم: أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهى أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف أنية الخمر فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ولا ضمان فيها كما لا ضمان فى كسر أواني الخمر.. (٢١)

● ويقول ابن تيمية : من قامت عليه الحجة من أهل البدع استحق العقوبة وإلا كانت أعماله البدعية المنهى عنها باطلة لا ثواب فيها وكانت منقصة له خافضة له مسقطه لحرمة ودرجته فإن هذا الحكم الضلال وجزاؤهم.. (٢٢)

● ويقول ابن حنبل : أن من السنة أن تهدم الكنائس التى فى الامصار القديمة والحديثة.. (٢٣)

● وقال محمد بن الحسن: لا ينبغى أن تترك فى أرض العرب كنيسة ولا بيعة ولا يباع فيها خمر وخنزير مصراً كان أو قرية.. (٢٤)

● وقال ابن تيمية : أن كل كنيسة فى مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الامصار التى مصرها المسلمون بأرض العنوة فإنه يجب إزالتها إما بالهدم أو غيره بحيث لا يبقى لهم معبد فى مصر مصره المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة.. (٢٥)

● وقال الشافعى : ولا يحدثوا - أى غير المسلمين - بناء يطولون به على بنا المسلمين وأن يفرقوا بين هيئاتهم فى المركب والملبس وبين هيئات المسلمين وأن

يعقدوا الزنار على أوساطهم..

● ويقول ابن كثير : من ظن بالصحابة ذلك - أى الانحراف بعد وفاة الرسول - فقد نسبهم بأجمعهم الى الفجور والتواطىء على معاندة الرسول (ص) ومضاداتهم فى حكمه ونصه . من وصل من الناس الى هذا المقام فقد خلع ربيعة الإسلام من عنقه وكفر باجماع الأئمة والاعلام وكان إراقة دمه أحل من إراقة المداد..^(٢٦)

● وقال عبد الغنى المقدس: واعلم رحمك الله ان الإسلام وأهله أتوا من طوائف: فطائفة ردت أحاديث الصفات وكذبت رواياتها فهؤلاء أشد ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار..

وطائفة قالوا بصحتها وقبولها ثم تأويلها: فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى. وطائفة جانبوا القولين الأولين واخذوا بزعمهم - ينزهون وهم يكتبون - فسأداهم ذلك الى القولين الأولين وكان أعظم ضرراً من الطائفتين الأولىين..^(٢٧)

● ويقول شارح الطحاوية : الذين خالفوا السنة والجماعة نحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء..^(٢٨)

● وقال النوى : الزنديق هو الذى يعترف بالدين ظاهراً ويأطناً . لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسرهُ الصحابة والتابعون واجمعت عليه الأمة..^(٢٩)

● وقال ابن عبد الوهاب نقلاً عن ابن تيمية : أن من دعا على ابن أبى طالب فهو كافر. وأن من شك فى كفره فهو كافر. فإذا كان هذا حال من شك فى كفره مع عداوته له ومقتته. فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده . فكيف بمن أحبه. وجادل عنه وعن طريقته وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك..^(٣٠)

● ويقول ابن عبد الوهاب : ومن أعظم ما يحل الاشكال فى مسألة التكفير والقتال عمن قصد اتباع الحق . اجماع الصحابة على قتال مانعى الزكاة وإسخالهم فى اهل الردة وسبى ذراريهم وفعلهم فيهم ما صح عنهم وهو أول قتال وقع فى الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين..^(٣١)

● وقال أبو الوفاء بن عقيل: لما صعبت التكاليف على الجاهل والطفام عدلوا عن

أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذا لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج.. (٣٢)

● ويقول اسد بن الفرات: وقد وقعت اللعنة من رسول الله (ص) على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً وكلما زادوا اجتهاداً أو صوماً وصلاةً ازدادوا من الله بعداً.. (٣٣)

● وقال سفيان الثوري : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره. وإما أن يقع في قلبه شيء فينزل به فيدخله الله النار. وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموه.. (٣٤)

● من استهزأ ببعض المستحبات كالسواك والقميص الذي لا يتجاوز نصف الساق والقبض في الصلاة والشرب جالساً ونحوه مما ثبت حكمه في السنة فحكمه أن يبين له مشروعية ذلك وأن السنة عن الرسول نلت على ذلك فإذا أصر على الاستهزاء بالسنة كفر بذلك لأنه بهذا يكون منتقصاً للرسول (ص) ولشرعه والنقص بذلك كفر أكبر.. (٣٥)

ـ نتائج عقائد أهل السنة:

● إهمال العقل : فهم قد خلطوا بين المسائل والقضايا المتشابهة والمسائل التي تحتاج إلى أدوات للخوض فيها وبين المسائل والقضايا الفكرية والسياسية والاخلاقية التي يتاح للجميع الخوض فيها واعتبروا الخوض في جميع هذه المسائل من المحرمات أى رفضوا إعمال العقل فيها لعامة الأمة واثاحوا لأنفسهم فقط الخوض فيها بكيفية محددة تحفظ خطهم وعقائدهم وقد نتج عن هذا المفهوم أن سلم المسلم عقله لفقهاء السنة ليفكروا ويصدروا احكامهم نيابة عنه وأصبح يعيش في الحاضر بعقل الماضى ..

● تقديس الحكام: ويبدو من عقائدهم أنهم قد وضعوا الحكام في مراتب الائمة مع أن هناك فروق شرعية واضحة بين الحاكم والامام. وكان الهدف من هذا الخلط هو اضعاف القداسة والمشروعية عى الحكام وبالتالي تعبيد الجماهير لهم..

● تخدير الجماهير: وقد تبنا في كتبهم الكثير من الروايات المنسوبة للرسول (ص) والتي توجه الجماهير نحو الآخرة والجنة وثوابها ويدفعهم إلى الزهد في الدنيا والتنازل عن حقوقهم والتقاعس عن دورهم فيها..

● تضخيم الرجال : فقد نتج عن كم الروايات التي تضيف القداسة على الصحابة خاصة أبي بكر وعمر أن علا هؤلاء الرجال على النصوص وأصبحوا مقياس الحق

● الارهاب الفكرى : وتبرز لنا هذه النتيجة من عقيدتهم في المخالفين ومواقفهم تجاههم. كما تبرز من خلال اعتقادهم كونهم الفرقة الناجية وشعب الله المختار .

وتبرز بالإضافة إلى هذا في كم الفتاوى التي تحكم بتبذير المخالفين وكفرهم وتؤصل عقيدة الاستعلاء على المخالفين في نفوس الاتباع كما تؤصل التعصب والانغلاق.. وكما مارس أهل السنة الارهاب الفكرى والحركى مع المخالفين في فترات الماضى تبنت التيارات الإسلامية اليوم هذا الارهاب فى لحاضر..

الهوامش

١. انظر سيرة محمد بن عبد الوهاب. في الكتاب السابق ذكره. وغيره من الكتب التي كتبت فيه ببركات النفط.
٢. انظر مجموعة التوحيد. رسالة بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك . وصاحب الفتوى أحد أبناء محمد عبد الوهاب..
٣. نشرت القصيدة في مجلة المجمع الكويتية.
٤. انظر العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة.
٥. انظر الفصل في الملل والنحل ج ٢ / ٩٨
٦. انظر الحيدة وانتصار المنهج السلفي . شبهات والجواب عنها . وانظر النصوص المذكورة سابقاً.
٧. انظر الفرقة الناجية. لجميل زينوط السعودية يهدى ولا يباع.
٨. المرجع السابق.
٩. المرجع السابق.
١٠. هناك فتوى شهيرة لابن تيمية اعتمد عليها تيار الجهاد تتعلق بالتنازل الذين اسلموا ثم عطلوا شرائع الإسلام وبدلوها بشرائع وضعية حيث حكم بكفرهم ووجوب مقاتلتهم وقد تبنت التيارات الإسلامية هذه الفتوى في مواجهة الحكام المعاصرين..
١١. انظر علاقة ابن تيمية بحكام الماليك في كتب التاريخ . وانظر مقدمة كتاب الجواب الباهر في زوار المقابر الذي كتبه ابن تيمية لمحمد بن قلاوون..
١٢. انظر لنا كتاب الحركة الإسلامية في مصر . فصل الجهاد..
١٣. انظر كتب الفقه . وأحكام أهل الذمة لابن القيم وفتاوى ابن تيمية..
١٤. انظر نصوص كتاب الفريضة الغائبة . وانظر كتب الفقه وأحكام أهل الذمة..
١٥. السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية..
١٦. انظر جامع بيان العلم..

- ١٧- انظر الاعتصام ج / ١٢٠ وج ٢ / ٢٢٨
- ١٨- انظر الطرق الحكمية..
- ١٩- الرد على الاخنائي..
- ٢٠- انظر احكام اهل الذمة لابن القيم
- ٢١- المرجع السابق
- ٢٢- انظر مجموع الرسائل والمسائل . والمرجع السابق.. والمقصود بأرض العنوة أى الأرض التى تم فتحها بالسيف..
- ٢٣- انظر المختصر للشافعى..
- ٢٤- البداية والنهاية ج ٥ / ٢٥٢ ..
- ٢٥- انظر عقيدة الحافظ عبد الغنى . وانظر منهج اهل السنة فى نقد الرجال والكتب والطوائف ط السعودية..
- ٢٦- انظر شرح الطحاوية..
- ٢٧- انظر المسوى نقلاً عن كتاب الحكم الجديدة بالإذاعة..
- ٢٨- انظر مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد..
- ٢٩- المرجع السابق..
- ٣٠- المرجع السابق وانظر الكتب الوهابية مثل شبهات حول التوحيد والكلمات النافعة فى.. المكفرات الواقعة وتطهير الاعتقاد من أدرك أن الشرك والألحاد..
- ٣١- المرجع السابق
- ٣٢- المرجع السابق..
- ٣٣- فتوى لجنة الفتوى بالسعودية رقم ٥٢١٣ انظر فتاوى هيئة كبار العلماء الوهابيين..
- ٣٤- انظر لنا كتاب العقل المسلم بين اغلال السلف وأوهام الخلف..
- ٣٥- انظر فتاوى هيئة كبار العلماء والكتب الوهابية المعاصرة ..

أهل السنة

نهی

الیهود

والنصارى

تسلكن سنن من قبلکم
حنو النعل بالنعل..

تبين لنا من خلال ما عرضنا من عقائد أهل السنة أن السياسة قد لعبت لعبتها في صياغة هذه العقائد وأنها قد خطت بدعم الحكام ومساندتهم على مر الزمان وأنها عقيدة تقوم على الروايات وبعبدة كل البعد عن القرآن. ذلك كله يدفع فكرة أهل السنة كونهم أهل الحق والطائفة المنصورة تلك الفكرة التي نادى بها اليهود والنصارى من قبل.

وسوف نبين هنا القضايا المشتركة بين أهل السنة واليهود والنصارى من خلال عدة مفاهيم هي:

- مفهوم الفرقة الناجية..

- مفهوم التعذيب الوقتي..

- مفهوم الرجال..

- صكوك الغفران..

أولاً: الفرقة الناجية:

ولدت فكرة الفرقة الناجية من عدة روايات وردت في كتب السنن تشير جميعاً إلى معنى محدد وهو أن الأمم افترقت إلى اثنتين وسبعين فرقة وأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) سوف تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة..

يروى أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة. وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة^(١).

وفي رواية كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة..^(٢)

وفي رواية هي ما أنا عليه وأصحابي..^(٣)

وفي رواية هم السواد الأعظم..^(٤)

ويعتقد أهل السنة أنهم يمثلون الجماعة والصحابية والسواد الأعظم فمن ثم هم الفرقة الناجية من النار وجميع الفرق والاتجاهات الأخرى التي ظهرت في واقع المسلمين كلها في النار..

يقول ابن المبارك أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة..
فقل لابن المبارك: والجهمية؟

فقال: إن أولئك ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم..^(٥)

وقد دون أهل السنة الكثير من الكتب التي تهاجم الفرق والاتجاهات المخالفة ومحاولة حصرها في عدد (٧٢) ولم تشر هذه الكتب إلى أهل السنة لأنهم خارج دائرة الشبهات حسب تصورهم..^(٦)

وليس هناك من سند يدعم موقف أهل السنة في دعواهم بالنجاة دون الآخرين سوى اعتقادهم بأنهم يمثلون الأغلبية ويلقون العون والدعم من الحكام الذين سلطوا عليهم الأضواء ومنحورهم سلطة محاكمة الآخرين والبطش والتنكيل بهم..^(٧)

من هنا نبعث فكرة كونهم الجماعة والسواد الأعظم ولم تنبع من نص شرعي أو برهان قطعي: فأهل السنة فرقة كبقية الفرق الأخرى لا يميزها شيء سوى تحالفها مع الحكام ومساندتهم لها مما أدى بالتبعية إلى انصياع المسلمين لها بتأثير ونفوذ القوى الحاكمة وليس لجاذبية طرحها فالطرح السني طرح منفر يخدم الحكام ولا يخدم الجماهير..

وبالطبع مادام أهل السنة والحكام زمرة واحدة فلا بد أن يدخل الحكام في دائرة الفرقة الناجية.. ويبدو من روايات الفرقة الناجية أنها ترتبط ما بين اليهود والنصارى وما بين المسلمين وهذه إشارة إلى كون المسلمين سوف ينتهجون نفس النهج وينحرفون نفس الانحراف إلا أن المسألة تكمن في كون أهل السنة يعتبرون أنفسهم خارج دائرة الانحراف وأن المشابهة لا تشملهم والروايات لا تقصدهم وإنما تقصد الآخرين ممن خالفوهم فهم بهذا يضيفون العصمة على منهجهم وعقائدهم وهو نفس ما تعتقده اليهود والنصارى..

يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل

بالتعل ولتلأذن مثل أأذنهم أن شبرأ فشير. وأن ذراعاً فذراع. وأن باعاً فباع. حتى لو بخلوا حجر ضب بخلتم فيه..^(٨)

وهذه الرواية تكشف لنا بوضوح أن المسلمين سوف يسلكون سبيل اليهود والنصارى والأمم السابقة. وإذا كان أهل السنة يستثنون أنفسهم من مشابهة اليهود والنصارى وسلوك سبيلهم فإن هذا الاستثناء ليس له ما يبرره فعقائدهم وتصوراتهم تدينهم وتدخلهم فى دائرة المشابهة..

ولم ينحصر مفهوم النجاة عند أهل السنة فى حدود الآخرة بل شمل الدنيا أيضاً فكما يدعون أن الرسول بشرهم بالنجاة فى الآخرة بشرهم بالنصر والظهور على عدوهم فى الدنيا أيضاً ..

يروى المغيرة بن شعبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم: لا يزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتهم أمر الله وهم ظاهرون..^(٩)

وعن معاوية: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال من أمتى قائمة بأمر الله. ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك..^(١٠) وقد حددت روايات أخرى أن هذه الطائفة المنصورة تنحصر بالشام.

ويروى عن معاذ قوله: هم بالشام..^(١١)

ويروى: إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم. لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة..^(١٢)

ويروى: وعقر دار المؤمنين بالشام..^(١٣)

ويروى: لا تزال عصاة قوامة هم أهل الشام..^(١٤)

ثانياً: التعذيب الوقتى:

تبنى أهل السنة فكرة عدم الخلود فى النار بل إمكانية عدم دخولها من الأصل بالنسبة للمسلمين من اتباعهم وهم فى هذا الاعتقاد يشتركون مع اليهود النين ذكرهم الله فى كتابه بقوله:

وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات.

وقد حشد أهل السنة الكثير من الروايات التي تدعم هذا الاعتقاد تماما كما فعل
الأخبار والرهبان من قبلهم. وجاء ابن تيمية فقال بفناء النار..^(١٥)

وكما حمل النصارى المسيح مسئولية تطهير الناس من الذنوب والمعاصي وتقديم
نفسه قربانا من أجل التكفير عن الخلق. وضع أهل السنة الرسول فى نفس الموضع
بتحميله مسئولية تطهير المسلمين من الذنوب والمعاصي وإخراجهم من النار إذا
دخلوها وذلك بفكرة الشفاعة..

يروى البخارى عن الرسول صلى الله عليه وسلم: فاستأذن على ربي فيؤذن لي
ويلهمني محامداً أحمدته بها. لا تحضرني الآن - تأمل الرسول ينسى - فأحمدته بتلك
المحامد وأخر له ساجداً. فقال: يا محمداً ارفع رأسك وقل يسمع لك. وسل تعط.
واشفع تشفع. فأقول: يارب أمتي. فيقال: انطلق. فأخرج منها من كان فى قلبه
مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل..

ثم أعود فأحمدته بتلك المحامد. ثم أخر له ساجداً. فيقال يا محمداً ارفع رأسك
وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع. فأقول: يارب أمتي. أمتي. فيقول: انطلق
فأخرج منها من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من
النار. فأنطلق فأفعل.

ثم أعود الرابعة فأحمدته بتلك المحامد. ثم أخر له ساجداً. فيقال: يا محمداً ارفع
رأسك. وقل يسمع لك. وسل تعط واشفع تشفع. فأقول يارب! أئذن لي فيمن قال (لا
إله إلا الله) فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال (لا إله
إلا الله)..

ويروى أبو داود عن الرسول صلى الله عليه وسلم: شفاعتى لأهل الكبائر من
أمتي..^(١٦)

ويروى البخارى: أخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان..

ومذهب أهل السنة أن فساق أهل الملة ليسوا مخلصين فى النار كما قالت الخوارج
والمعتزلة. وليسوا كاملين فى الدين والإيمان والطاعة. بل لهم حسنات وسيئات
يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب..^(١٧)

وقد تبني أهل السنة فكرة تمييز الرسول صلى الله عليه وسلم عن بقية الرسل ولا يوجد نص في القرآن يشير إلى ذلك وإنما هناك كم من الروايات يرفع الرسول فوق جميع الرسل ويجعل له مكانة خاصة مميزة عند الله ومثل هذه الفكرة إنما تواكب فكرة عزيز ابن الله والمسيح ابن الله عند اليهود والنصارى فكلاهما عمدا إلى عزيز وعيسى فربطوهما بالله سبحانه في محاولة لتمييزهما عن الآخرين تماما كما فعل أهل السنة مع رسول الله..

وإذا كان محمد(ص) قد منح الحق في إنقاذ أمته من النار بعد أن أدخلهم الله فيها فهذا يعني أن الله سبحانه قد تنازل له عن شيء من سلطانه ونفوذه بل رد قضائه من أجله. وهذه تصورات توراتية وإنجيلية ولا وجود لها في القرآن..^(١٨)

وإذا تصورنا أن الله قد منح محمدا هذا الحق فإننا بهذا ننسب الظلم إلى الله. إذ كيف يحرم أهل الإيمان من الأمم السابقة فرصة النجاة من النار بشفاعته رسلهم؟..

ثالثا: الرجال:

تعتمد عقيدة أهل السنة على الرجال لا على النصوص ويبدو ذلك بوضوح من خلال ما أشرنا سابقا مما يمكن تركيزه فيما يلي:

- اعتقادهم بفكرة عدالة الصحابة..
- اعتقادهم بفكرة الترتيب الرباعي..
- اعتقادهم بصحة كتابي البخاري ومسلم..
- اعتقادهم بصحة نهج السلف..
- تسميتهم العقائد بأسماء الرجال..

ففكرة عدالة الصحابة فكرة بخيلة على الإسلام وهي من صنع السياسة وقد ابتدعت لإضفاء القداسة على قطاع معين لا يحظى بقدر أو مكانة أو دين ممن عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وساروا في ركاب الحكام من بعده واخترعوا باسم الرسول عشرات الروايات التي أسهمت في تشكيل الإسلام الحكومي الذي فرض على الأمة بقوة السيف..

ولقد حالت فكرة العدالة ولازالت تحول دون الخوض في شتى الانحرافات والمواقف المتناقضة مع الإسلام والتي ارتبطت بعدد كبير من الصحابة بعد وفاة الرسول وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان. فعلى ضوء هذه الفكرة تم تمرير هذه المواقف والانحرافات وتحويلها إلى اجتهادات يثاب عليها فاعلها..

وعلى ضوء هذه الفكرة اعتبرت مواقف وسلوكيات الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان سنة شرعية يجب التمسك بها والعض عليها بالنواجذ..^(١٩)

وعلى ضوء هذه الفكرة أيضاً اعتبرت جرائم معاوية ومن تحالف معه من الصحابة اجتهادات مبررة لأنها صادرة من صحابة عدول وضعهم الله في مكانة خاصة..^(٢٠)

وعلى هذا الأساس بنى الفقهاء قاعدة: عمل الصحابة التي اعتبرت أصلاً من أصول الفقه. وبنى علم الجرح والتعديل الذي تعتمد عليه مسألة صحة الرواية المنسوبة للرسول من عدمها - على أساس تجريح سلسلة الرواة والخوض فيهم دون الصحابي حسب قاعدة: من ثبتت صحبته ثبتت عدالته واعتبر أهل السنة الخوض في الصحابة جريمة منكرة تبرر استحلال دماء من يقول بها أو يدعو إليها وهذه هي عبادة الرجال في أبهى صورها..

أما فكرة الترتيب الرباعي على أساس أن خير الأمة من بعد الرسول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وهم الخلفاء الراشدين المهديون فهي فكرة سياسية الهدف منها فرض خط الخلفاء على الأمة وإضفاء المشروعية عليه ليكون بديلاً عن خط آل البيت بزعامة الإمام على الذي أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم..^(٢١)

وقد وضع أهل السنة هذا الترتيب ضمن العقيدة وفرضوا على المسلمين الإيمان به وتخويفهم وإرهابهم من الحيدة عنه في حين أنه لا يوجد دليل شرعي قاطع على هذا الترتيب الذي هو من اختراع عقول الرجال وتأتى قضية البخاري ومسلم والاعتقاد بصحتهما لتعكس لنا مدى تغفل نهج اليهود والنصارى في فكر أهل السنة ومعتقداتهم. فالاعتقاد بصحة أي كتاب بعد كتاب الله فكرة توارثية في الأصل ونتيجتها في النهاية أن تتساوى أقوال الرجال بكلام الله سبحانه أو تكون الحكم عليه وهو ما يبدو واضحاً من خلال عقائد أهل السنة التي عرضناها خاصة عقائدهم المتعلقة بأسماء الله وصفاته التي أخضعت لروايات البخاري ومسلم وكتب

السنة الأخرى وأوقعت الأمة في متاهة التشبيه والتجسيم التي وقع فيها اليهود والنصارى من قبل..

إن أخطر نتائج هذا الاعتقاد هو تعبيد الأمة لروايات منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتتناقض مع القرآن وقد ذهبت بها كل مذهب وزرعت في صفوفها الشقاق والفتن وخلقت أنماط من الطواغيت والألّهة على رأسها الحكام عبدها المسلمون بمباركة هذه الروايات وبالتالي دخلت الأمة عصر الظلمات وعبادة الرجال بعيداً عن كتاب الله..

ولقد تغلّلت روايات اليهود والنصارى إلى كتابي البخاري ومسلم كما تغلّلت إلى كتب السنن الأخرى وأصبح المسلمون يتعبدون بهذه الروايات الباطلة.

يروى في الحديث القدسي: يقول الله تعالى: أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..^(٢٢)

وجاء في كتب النصارى: ولكن كما كتبت: ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولم يخطر على قلب بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه..^(٢٣)

وفي رواية أخرى: بل وكما هو مكتوب: ما لم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه..^(٢٤)

ويروى في الحديث القدسي أن الله قال: يا عبادي مرضت فلم تعدني..

واستطعمتك فلم تطعمني..

واستسقيتك فلم تسقني..^(٢٥)

وجاء في كتب النصارى: لأنني جعت فأطعمتموني. عرياناً فكسوتهموني. عطشت فسقيتهموني. مريضاً فزرتهموني. كنت غريباً فأويتهموني. محبوساً فأتيتهم إلي..^(٢٦)

وفكرة الأحاديث القدسية جاءت لتزيد الطين بلة. فلم يكتف فقهاء أهل السنة بالروايات المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم والتي أطلق عليها الأحاديث النبوية وإنما جاؤا فوقها بروايات منسوبة إلى الله سبحانه وأطلقوا عليها الأحاديث القدسية التي يعرفونها بأنها كلام الله بلسان محمد صلى الله عليه وسلم. أما الحديث النبوي فهو كلام الرسول. وكأنهم بهذا يقولون إن كلام الرسول من عند

نفسه وهو ما يؤكد عقديتهم في الرسول ان له شخصيتان: شخصية نبوية معصومة. وشخصية دينوية غير معصومة..

الشخصية الاولى تنطق بالقران..

والشخصية الثانية تنطق بلسانه..

غير ان فكرة الاحاديث القدسية تضيف إلى الرسول شخصية ثالثة تنطق بكلام الله غير القران. وهو كلام لا يجوز التعبد به او تلاوته كما يتلى القران. فمن ثم فإن مرتبته أقل من مرتبة القران حسبما يعرفونه..^(٢٧)

ومثل هذه الرؤية تفتح مجالاً للشك إما في القران أو في هذه الاحاديث..؟

وبالطبع فإن الشك يتجه إلى هذه الروايات إذ لا يمكن مساواتها بالقران فهي لا ترقى إلى مستوى لغته وبلاغته ولا يصح أن تدخل دائرة الإعجاز اللغوي..

ومن جهة أخرى لا يصح أن يتكلم الرسول بلغتين في آن واحد: لغة القران ولغة الاحاديث القدسية فيما يتعلق بكلام الله سبحانه..

وإذا كانت هناك الكثير من الشكوك التي تحوم حول الاحاديث النبوية ومدى صحتها ونسبتها إلى الرسول فكيف الحال بالاحاديث القدسية التي تنسب إلى الله سبحانه..

ولم تقتصر مسألة إضفاء القداسة على الصحابة فقط بل امتدت لتشمل التابعين وتابعي التابعين الذين أطلق عليهم أهل السنة تعريف (السلف الصالح) وهم أهل القرون الثلاثة الأولى. وقد نبعت هذه الرؤية من خلال رواية تقول على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم: خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه..^(٢٨)

ولقد ارتبطت فكرة قداسة الصحابة بقداسة التابعين وتابعيهم عند أهل السنة فكل طائفة تستمد قداستها من الطائفة الأخرى. فالتشكيك في التابعين يؤدي إلى التشكيك في الصحابة والتشكيك في الصحابة نتيجة التشكيك في التابعين. فمن ثم فإن فقهاء السنة أزهبوا المسلمين بشتى الفتاوى التي تحرم عليهم الخوض في السلف أو الخروج عن نهجهم ذلك لكون التابعين هم الذين نقلوا الروايات التي اعتمد عليها أهل السنة في تأسيس عقائدهم فالتشكيك فيهم يعني هدم عقيدة أهل السنة..

إن عقائد أهل السنة إنما تعتمد بالكلية على الصحابة والتابعين وتابعي التابعين

(الرجال) أكثر من اعتمادها على النصوص. وقد أسهم هؤلاء في إرساء دعائم الإسلام الحكومي ومباركة حكامه والعبث بنصوص القرآن واختراع الروايات التي تضلل المسلمين وتحرم ما أحل الله وتحل ما حرمه وبالتالي انطبق على هؤلاء ومن سار في ركابهم قوله تعالى:

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله..) (٢٩)

ويظهر بوضوح أن أهل السنة حصروا مصدر التلقي في دائرة أشخاص بعينهم من الصحابة والتابعين مثل عائشة من دون بقية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وأبو هريرة وابن عمر من دون بقية الصحابة.. (٣٠)

وعلى مستوى التابعين وتابعيهم اقتدوا بمن بارك الوضع القائم وسار في ركاب معاوية وبنى أمية مثل الزهري الذي قام بأول حركة لجمع الروايات بمعونة عبد الملك بن مروان والأوزاعي ومالك وسفيان الثوري.

وتجنب أهل السنة الصحابة الذين ساروا في ركاب الإمام على مثل أبو نذر وعمار وحذيفة والحسن والحسين وسلمان وفاطمة وأم سلمة وغيرهم. كما تجنبوا الذين ساروا في ركابهم من التابعين..

ومثلما أطلق النصارى على الإنجيل أسماء الرجال فقالوا: إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل يوحنا وإنجيل بولس وإنجيل برنابا. أطلق أهل السنة على العقيدة أسماء الرجال فقالوا:

العقيدة الطحاوية نسبة إلى الطحاوي..

والعقيدة النسفية نسبة إلى النسفي..

والعقيدة الأشعرية نسبة إلى الأشعري..

والعقيدة الأصفهانية نسبة إلى الأصفهاني.. (٣١)

حتى أنهم نسبوا العقائد إلى البلاد فقالوا:

العقيدة الواسطية نسبة إلى واسط بالعراق..

والعقيدة الحموية نسبة إلى حماة بسوريا..

والعقيدة التدمرية نسبة إلى تدمر بسوريا..

والعقيدة النونية نسبة إلى حرف النون الذى تنتهى إليه أبياتها..

ومثلما أنشأ اليهود والنصارى طبقة من الأحرار والرهبان كانوا بمثابة الطبقة الكهنوتية المحتكرة لشئون الدين المانحة للناس الغفران والبركة المتحصنة بالحكام المضغية القداسة عليهم. أشأ أهل السنة طبقة خاصة بهم بدعم الحكام احتكرت شئون الدين وتركت الحكام يفسدون فى الأرض بينما قامت هى بتحذير الجماهير بروايات منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم تبشروهم بالجنة وتصبرهم على الفساد وتبرر الانحراف وتجمل الظلم وتضفى القداسة على الحكام..

اشترك أهل السنة مع اليهود والنصارى فى فكرة الكهنوتية والتى نتج عنها:

- تحذير الجماهير..

- صكوك الغفران..

- تأصيل فكرة الحكم الإلهى..

- احتكار الدين..

رابعاً: صكوك الغفران:

تبنى أهل السنة الكثير من الروايات والتأويلات والتبريرات التى هى بمثابة صكوك غفران أمكن من خلالها انقاذ الحكام والمنافقين والمفسدين وسائر المنحرفين من الدخول فى دائرة الكفر وإيخالهم فى دائرة الإيمان مع جزيل الثواب وضمان الغفران..

وأول الروايات التى تعد من صكوك الغفران رواية تقول: لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم..^(٣٢)

وقد جاء هذا القول بعاسبة حادثة وقعت وقت فتح مكة حين أرسل حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى مشركى مكة يخبرهم بتوجه الرسول لغزوهم وهم عمرين الخطاب بقتله فمنعه الرسول لأنه قد شهد بدرأ. فحضور حاطب غزوة بدر برر خيانتته للمسلمين وفتح له الباب ولسواه ممن شهد بدر أن يرتكب من الجرائم والنكرات ما شاء فى حصانة بدر..

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة..^(٣٣)

ويروى أن رجلاً قال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم. فوالله
لئن قدر الله على ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين.. ففعلوا به ذلك. فقال لله
له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك. فقفر له.. (٣٣)

وحتى هذا الرجل الذي شك في قدرة الله سبحانه وفي إعاقته وبعثه وهو الكفر
بعينه. غفر له كفره وعفى من العقاب..

وتبدو قضية التأويل بوضوح في مواجهة الروايات المتعلقة بالإمامة والتي حولها
أهل السنة إلى صكوك غفران للحكام تفرض طاعة المسلمين لهم وتتغاضى عن
جرائمهم ومنكراتهم في حق الدين والأمة كما تبدو في مواجهة الروايات المتعلقة بال
البيت والإمام على والتي حرفها أهل السنة عن معناها ليطمئنوا الجانب الآخر من
الصحابة والتابعين والحكام الذين انشقوا على الإمام على وآل البيت وناصرهم
العداء.. (٣٤)

وتبدو صكوك الغفران واضحة في تلك الكم الهائل من تبريرات أهل السنة
لانحرافات الصحابة من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم: تلك التبريرات التي نتج
عنها التغطية على هذه الانحرافات وإضفاء المشروعية عليها بل وإثابة فاعلها.. (٣٥)

وقد اخترع أهل السنة صك الاجتهاد خصيصاً لانقاذ معاوية وضمه لدائرة الحق
واستحقاقه للثواب والغفران بأن جعلوه في حريه لعل وخروجه عليه ورفع
للمصاحف على أسنة الرماح بعد أن حاقت به الهزيمة على يد جنود الإمام على في
صفين - مجتهداً مخطئاً. سيراً مع رواية تقول: إذا اجتهد المجتهد وأصاب فله
أجران. وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.. (٣٦)

ومن الواضح أن الرواية.. على فرض التسليم بها - لا صلة لها بالصراع
العسكري أو قضايا الحكم والسياسة وإنما هي رواية تتعلق بأهل الفتوى
والاجتهاد..

ومما سبق استحق أهل السنة أن يلقبوا بشعب الله المختار تماماً كما
تلقب به اليهود من قبل. ونتج عن هذا التصور أن منيت الأمة بنكسات فكرية
وسياسية أدت إلى الفرقة والشتات بين أبناء الأمة الواحدة. كما أدت إلى

تأصيل الاستبداد وتقوية شوكة الحكام وعزل الدين عن الواقع وتشويه صورة الإسلام واعتباره نسخة من الأديان السابقة التي كانت أداة تحدير لا أداة بعث ونهوض وتقدم..

لقد أدى احتكار الدين من قبل أهل السنة طوال فترة التاريخ الإسلامي إلى القضاء على الرأي الآخر وتصفية الاتجاهات الإسلامية المعارضة وبالتالي حرمان الأمة من حقها في الاختيار والانتفاع بنتائج هذه الاتجاهات التي كان من الممكن أن تسهم في ثراء الفكر الإسلامي والقضاء على نزعة العنف والتصعب وليدة الفكر السنّي الأحادي..

إن التأمل في واقع التيارات الإسلامية المعاصرة وتصوراتها ومواقفها يكشف لنا مدى انعكاس هذا الفكر على جميع ممارسات وصور العنف التي ارتبطت بها..^(٣٧)
وإن التأمل في طرح الشيعة أو المعتزلة يكشف لنا مدى الخسارة الكبيرة التي منيت بها الأمة بسبب حرمانها من هذا الطرح وعزل المسلمين عنه..

- هوامش -

- ١ - انظر أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم ومسنند أحمد..
- ٢ - أبو داود عن معاوية بن أبى سفيان..
- ٣ - الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص..
- ٤ - الطبران والبيهقى..
- ٥ - انظر فتاوى ابن تيمية حـ ٢/٥٣ والاعتصام للشاطبى حـ ٢/٢٢ ..
- ٦ - من هذه الكتب: الفرق بين الفرق للبغدادى. والملل والنحل للشهرستانى. وتلخيص إبليس لابن الجوزى والفصل فى الملل والنحل لابن حزم. ومقالات الإسلاميين للأشعرى.
- ٧ - انظر لنا كتاب جريمة الرأى فى تاريخ المسلمين..
- ٨ - انظر مستدرک الحاكم..
- ٩ - انظر البخارى..
- ١٠ - المرجع السابق.
- ١١ - المرجع السابق..
- ١٢ - انظر الترمذى..
- ١٣ - انظر النسائى..
- ١٤ - البخارى.. انظر مسلم ومسنند أحمد والدرامى.. ومثل هذه الروايات إنما تفوح منها رائحة السياسة فهى من صناعة حزب معاوية ولإضفاء المشروعية على نهجه. انظر كتاب السيف والسياسة. وكتاب: أحاديث نبوية اخترعتها السياسة..
- ١٥ - انظر المواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكى وهو رد على ابن تيمية وانظر لنا عقائد السنة وعقائد الشيعة.
- ١٦ - هذه الرواية اخترعت من أجل الحكم إذ أن الكبائر فى الأصل ترتبط بهم لا بالمسلمين. انظر لنا أحاديث نبوية اخترعتها السياسة..

- ١٧ - انظر مختارات من أحكام العصاة. ملحق مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤٠٨
وانظر نصوص العقائد فى ملاحق الكتاب..
- ١٨ - هناك عدة نصوص تشير إلى الشفاعة فى القرآن ولكنها بيد الله سبحانه
وبإذنه وليس للرسول صلى الله عليه وسلم دور فيها..
- (١٩) هذا الاعتقاد نابع من حديث منسوب للرسول يقول عليكم بسنتى وسنة
الخلفاء الراشدين وقد طبقها أهل السنة على الخلفاء غير أنهم تجنبوا سنة
على والاقتداء به عموماً سيراً مع نهج الحكام بداية من معاوية. أولئك الحكام
الذين خاصموا نهجه ويطشوا بابنائه واتباعه من بعده.
- (٢٠) انظر كلام ابن تيمية عن الصحابة فى العقيدة الواسطية.
- (٢١) انظر لنا هذا الأمر بتوسع فى كتابنا السيف والسياسة. وقضية الوصية هى
جوهر الخلاف بين السنة والشيعة..
- ٢٢ - رواه أبو هريرة. انظر البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه..
- ٢٣ - انظر رسالة العهد الجديد رسالة كورنثوس الأولى: ٩ / الاصحاح الثانى
وانظر سفر أشعيا..
- ٢٤ - انظر الترجمة العربية للبروتستانت..
- ٢٥ - رواه مسلم عن أبى هريرة..
- ٢٦ - انظر انجيل متى: ٢١/٤٦ الاصحاح ٢٥..
- ٢٧ - انظر كتب الأحاديث القدسية..
- ٢٨ - رواه البخارى..
- ٢٩ - سورة التوبة..
- ٣٠ - انظر السيف والسيارة والخدعة..
- ٣١ - الاصفهاني هو محمد بن محمود بن عبد الكافي الاصفهاني ولد عام ٦١٦ هـ
وتوفى عام ٦٨٨ هـ انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ط القاهرة
- ٣٢ - البخارى ومسلم وانظر فصل عقيدتهم فى الحكام.
- ١٥٧ -

٣٣ - المرجعين السابقين..

٣٤ - المرجعين السابقين..

٣٥ - انظر فصل ركائز عقيدة أهل السنة. وانظر العواصم من القواصم. وانظر كتابنا الخدعة فصل التأويل والتبرير.

٣٦ - انظر المراجع السابقة..

٣٧ - انظر المراجع السابقة وكتب التاريخ فترة صفين..

٣٨ - انظر كتابنا جريمة الرأي في تاريخ المسلمين. وكتابنا الحركة الإسلامية في مصر..

ملحق الكتاب

عقيدة

أهل السنة

للأئمة

أبو حنبل

(١٦٤-٢٤١هـ)

هذه مذاهب أهل العلم، وأحساب الأثر، وأهل السنة، المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي صل يالله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا - وأدركت من أدركت - من علماء الحجاز والشام وغيرهما - عليها. فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها. أو عاب قائلها، فهو مخالف الحق. فكان قولهم:

إن الإيمان قول وعمل ونية. وتمسك بالنسبة. والإيمان يزيد وينقص ويستثنى في الإيمان من غير أن يكون أشك. إنما هو سنة ماضية عن العلماء..

فإذا سئل الرجل: مؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، ومؤمن أرجو، أو يقول: أمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله..

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل، فهو مرجىء.

ومن زعم أن الإيمان هو القول، والأعمال فشرائع: فهو مرجىء.

ومن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص: فقد قال يقول المرجئة.

ومن أنكر الاستثناء في الإيمان: فهو مرجىء.. ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو جهمي.

والقدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، حلوه ومره، ومحبيوه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره.

والله عز وجل قضى قضاءه على عباده، لا يجاوزون قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم لا محالة، وهو عدل منه عز وجل.

والزنا والسرقه، وشرب الخمر، وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله عز وجل الحجة البالغة عى خلقه، لا يسأل عما يفعل. وهم يسألون.

وعلم الله عز وجل ماضٍ في خلقه بمشيئة منه، قد علم من إبليس ومن غيره ممن

عصاه - من لدن عصاة إبليس إلى أن تقوم الساعة - المعصية - وخلقهم لها - وعلم الطاعة من أهل الطاعة، وخلقهم لها، فكل يعمل بما خلق له، وصائر إلى ما قضى الله عليه منه، لم يَعدُ أحد منهم قدر الله عز وجل ومشيتته، والله الفعال لما يريد.

ومن زعم أن الله عز وجل شاء لعباده الذين عصوا الخير والطاعة، وأن العباد شاعوا لأنفسهم الشر والمعصية، ويعلمون على مشيتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله عز وجل. فأي افتراء على الله أكبر من هذا؟ ومن زعم أن الزنا ليس بقدر، قيل له: أرايت هذه المرأة حملت بزنا وجاءت بولد، هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد؟ وهل مضى هذا في سابق علمه؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله تعالى خالقاً. وهذا هو الشرك صيحراً.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر، وأكل المال الحرام: ليس بقضاء فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا يضارع قول المحوسية، بل كل رَزَقَه الله. وقضى الله عز وجل أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل: فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأي كفر أوضح من هذا؟ بل كان ذلك بقضاء الله عز وجل وقدره، وكل ذلك بمشيئته في خلقه، وتدبيره فيهم، وما جرى من سابق علمه فيهم، وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد.

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة.

ولا تشهد على أحد من أهل القبلة: أنه في النار لذنوب عمله، ولا بكبيرة أتاها، إلا أن يكون في ذلك حديث، فنروي الحديث كما جاء على ما روى. نصدق به، ونعلم أنه كما جاء، ولا تنقص الشهادة.

والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة.

والجهاد ماضٍ، قائم مع الإمام، برأ أو فاجراً ولا يُبطله جور جائر ولا عدل عادل. والجمعة والجح والعيذان: مع الأئمة، وإن لم يكونوا برة عدولاً أتقياء.

وبقع الصدقات والأعشار والخروج والفيء، والغنائم: إلى الأمراء، عدلوا فيها أو

جاروا، والإنقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته. ولا تخرج عليه بسيفك. يجعل الله فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان بل تسع وتطيع، فإن أمرك السلطان بأمر - هو لله عز وجل معصية - فليس لك أن تطيعه. وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه، ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان، بل كفف يدك ولسانك، وهواك، والله عز وجل المعين.

والكف عن أهل القبلة، ولا تكفر أحداً منهم بذنب: ولا نخرجهم عن الإسلام بعمل، إلا أن يكون في ذلك حديث فيروى كما جاء، وكما روى، ونصدقه ونقبله، ونعلم أنه كما روى نحو: ترك الصلاة وشرب الخمر، وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة يُنسب صاحبها إلى الكفر والخروج عن الإسلام.

فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه..

ولا أحب الصلاة خلف أهل البدع، ولا الصلاة على من مات منهم.

والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكذابين. وعذاب القبر حق، يُسأل العبد عن دينه، وعن ربه؟ ويرى مقعده من النار والجنة، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبور، نسأل الله عز وجل الثبات..

وحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم حق ترده أمته، وله أنية يشربون بها منه، والصراط حق

يوضع على شفير جهنم، ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك، نسأل الله عز وجل السلامة في الجواز.

والميزان حق، وتوزن به الحسنات والسيئات، كما يشاء أن توزن.

والصور حق، ينْفَخ فيه إسرافيل عليه السلام فيموت الخلق، ثم ينْفَخ فيه أخرى فيقومون لرب العالمين عز وجل للحساب والقصاص، والثواب والعقاب، والجنة والنار واللوح المحفوظ حق، تُستنسخ منه أعمال العباد مما سبقت فيه من المقادير والقضاء.

والشفاعة حق يوم القيامة، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من النار برحمة الله عز وجل.

وجل بعد ما لبثوا فيها ما شاء عز وجل. وقول يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود، والكفر بالله عز وجل.

ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار.

وقد خلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل، ثم خلق الخلق لهما، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً.

فإن احتج مبتدع بقوله (٢٨: ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) ونحو هذا من متشابه القرآن..

قيل له: كل شيء مما كتب الله عز وجل عليه الفناء والهلاك، والجنة والنار خلقهما الله عز وجل للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا.

والحور العين: لا يمتن عند قيام الساعة، لا للفناء، ولم يكتب عليهن الفناء ولا الموت، فمن قال خلاف ذلك: فهو مبتدع.

وخلق الله سبع سموات، بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضهما أسفل بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء السابعة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق الماء، والله عز وجل على العرش، وهو يعلم ما فى السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت البرى، وما فى قعر البحار ومنبت كل شعرة، وكل شجرة، وكل زهرة نبت، ومسقط كل ورقة، وعدد ذكل، وعدد الحصى والرمل والتراب ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وأثارهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو على العرش، فوق السماء السابعة، وعنده حجب من نار ونور وظلمة وماء، وهو أعلم بها.

فإن احتج مبتدع أو مخالف بقوله تعالى (٥٠: ١٦ ونحن أقر باليه من جبل الوريد) أو بقوله عز وجل (٥٧: ٤ وهو معكم أينما كنتم) أو بقوله تعالى (٥٨: ٧ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ونحو هذا من متشابه القرآن.

قيل: إنما يعنى بذلك العلم، لأن الله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم ذلك كله، وهو تعالى بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان،

والله تعالى على العرش، والعرش حملة يحملونه، والله عز وجل على عرشه.

والله تعالى سميع لا يشك، بصير، لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حلیم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، قريب لا يفقل، يتكلم ويسمع وينظر، ويبصر ويضحك، ويفرح ويحب، ويكره ويبغض ويرضى ويفضض ويسخط ويرحم ويعفو، ويعطى ويمنع، وينزل تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء (٤٢) : ١١ ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير) وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرب عز وجل. يقلها كيف يشاء، ويوعياها ما أراد.

وخلق الله عز وجل آدم عليه السلام بيده، والسّموات والأرض يوم القيامة في كفه، ويخرج قوماً من النار بيده، وينظر أهل الجنة إلى وجهه. ويرونه

فيكرمهم ويتجلى لهم فيعطاهم، ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين، ويتولى حسابهم بنفسه، لا يولى نك غيره عز وجل.. والقرآن كلام الله، ليس بمخلوق، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله عز وجل ووقف، ولم يقل: مخلوق ولا غير مخلوق: فهو أخبث من الأول، ومن زعم أن الفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة، والقرآن كلام الله: فهو جهمي. ومن لم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلم.

وكلم الله موسى تكليماً، ومن الله سمع موسى يقيناً وناولته التوراة من يده، ولم يزل الله متكلماً عالماً، تبارك الله أحسن الخالقين.

والرؤيا من الله عز وجل حق، إذا رأى صاحبها شيئاً في منامه يقصها على عالم، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً.

ومن السنة: ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم أجمعين. والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو واحداً منهم، فهو مبتدع رافض، حبههم سنة، والدعاء لهم قرية، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخير هذه الأمة - بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم - أبو بكر وخيرهم - بعد أبي بكر - عمر. وخيرهم - بعد عمر - عثمان، وخيرهم - بعد عثمان - علي. رضوان الله

عليهم، خلفاء راشدون مهديون. ثم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد هؤلاء الأربعة، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتبيه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وجلده في المجلس حتى يتوب، ويراجع.

ونعرف للعرب حقها وفضلها. وسابقتها، وتحبهم بمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «سب العبر نفاق، وبغضهم نفاق».

ومن حرم المكاسب والتجارة وطلب الرزق من وجهه:

فقد جهل وأخطأ وخالف، بل المكاسب من وجهها حلال، قد أحلها الله عز وجل وروسوله، ينبغى له أن يستعين على نفسه وعياله من فضل ربه تبارك وتعالى، فإن كان لا يرى الكسب فهو مخالف.

وكل واحد أحب بماله: الذي ورثه، أو استفاده، أو أصابه، أو كسبه، لا كما يقول المتكفون المخالفون، وأصحاب البدع والمرجئة، وهم الذين يزعمون: أن الإيمان مجرد النطق باللسان، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان.

وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - واحد، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقاً.

هذا كله قول المرجدة. وهو أخبث الأقاويل..

وه القدرية، فهم الذين يزعمون:

أن الإستطاعة والمشيئة والقدرة لهم، وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر، والضر والنفع، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة يدها، من غير أن يكون قد سبق لهم ذلك من الله عز وجل، أو في علم الله عز وجل، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية.

وه المعتزلة، الذين يقولون قول القدرية، ويكتبون بعذاب القبر والحوض، ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة والجمعة، إلا من كان على هواهم، ويزعمون أن

أعمال العباد ليست فى اللوح المحفوظ.

وهـ النصيرية، وهم قدرية، وهم أصحاب الحبة والقيراط والدائق، يزعمون أن من أخذ حبة أو دانقاً أو قيراطاً حراماً فهو كافر، وقولهم يضاهى قول الخوارج.

وهـ الجهمية، وهم أعداء الله، فهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله عز وجل لم يكلم موسى، وأن الله عز وجل لم يتكلم، وأنه عز وجل لا يُرى، ويقولون: ليس لله عز وجل عرش ولا كرسي، وكلاماً كثيراً، ذكره حكايته وهم كفار.

وهـ الواقفية، وهم الذين يزعمون أن القرآن كلام الله عز وجل، ولا يقولون غير مخلوق، وهم شر الأصناف وأخبثها.

وهـ اللفظية وهم الذين يزعمون أن القرآن كلام الله عز وجل، ولكن الفاظنا بالقرآن مخلوقة، وهم جهنمية.

وهـ الرافضة، وهم الذين يتبرقون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويسبونهم. ويكفرون الأئمة الأربعة - أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - وعماراً أيضاً، والمقداد وسلمان رضى الله عنهم.

وهـ المنصورية، وهم رافضة، أخبث الروافض، وهم الذين يقولون: أخطأ جبريل بالرسالة.

وهـ السبئية، وهم رافضة قريب ممن ذكرت.

وصنف منهم يقولون: على فى السحاب. وعلى يبعث قبل يوم القيامة.

وهـ الرشدية، وهم الذين يقرؤون من عثمان وطلحة والزبير، وعائشة رضوان الله عليهم، ويرون القتال مع كل خارج من ولد رضى الله عنه.

وهـ الخشبية، وهم الذين يقولون الزيدية والشيعة.

وأما «الخوارج» فمروا من الدين وفارقوا الملة، وشنوا عن الإسلام، وسلوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم، وكفروا من خالفهم، إلا من قال بقولهم، وثبت معهم فى دار ضلالتهم، ولا يؤمنون بعذاب القبر.

ولا يرون الحوض والشفاعة، ولا خروج أحد من النار، ويقولون: من كذب كذبة، أ-

أتى صغيرة، أو كبيرة من الذنوب، ثم مات عليها، فهو فى النار خالداً مخلداً أبداً، وهم يقولون بقول النصيرية فى الحبة والقيراط.

وهم قدرية مرجزة جهمية رافضة، لا يرون الجماعة إلا خاف إمامهم، وهم يرون تأخير الصلاة عن وقتها، ويرون الصوم قبل رؤية الهلال، والفطر قبل رؤيته، وهم يرون النكاح من غير ولى ولا سلطان، ويرون المتعة، ويرون الدرهم بالدرهمين يداً بيد حلالة، ولا يرون الصلاة فى الخفاف، ولا يرون المسح عليها، ولا يرون لقريش خلافة، ولا لهم فى الإسلام شىء.

ومن أسماء الخوارج «الحروية»، وهم أهل حروراء : «الآزارقة».. وهم أصحاب نافع بن الأزرق.

وهـ «النجدية».. وهم أصحاب نجدة بن عامر.

وهـ «الإباضية».. وهم أصحاب عبد الله بن إباض.

وهـ «الغرية».. وهم أصحاب داود بن النعمان.

وهـ «الخرمية».. والمشبهة: وهم خارجون عن الملة.

وأصحاب الراى وهم مبتدعة ضلال، أعداء السنة والأثر، يبطلون الحدى.

وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة، يسمون بها أهل السنة يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال.

فأما المرجزة: فيسمون أهل السنة «شكاكا»..

وأما القردية: فيسمون أهل السنة «مجبرة»..

وأما الرافضة: فيسمون أهل السنة «ناصبة»..

وأما الخوارج: فيسمون أهل السنة «ناطقة وحشية»..

رحم الله عبداً قال الحق واتبع الأثر وتمسك بالسنة...

قال القاضى أبو الحسين محمد، بن القاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء، المتوفى سنة ٢٦٥ فى طبقات الحنابلة فى ترجمة مسدد بن مسرهد بن مسريل أنبأنا على بن اليسرى عن ابن بطة حدثنى على بن أحمد المقرئ المراءى - بالمراغة حدثنا

محمد بن جعفر بن محمد السونديني حدثنا علي بن محمد بن موسى الحافظ -
المعروف بابن المعدل - حدثنا أحمد بن محمد التميمي الزندي قال:

لما اشكل على مسدد بن مسرهد بن مسريل أمر الفتنة، وما وقع الناس فيه
الاختلاف في القدر، والرفض، والإعتزال، وخلق القرآن، والإرجاء: كتب إلى أحمد
بن حنبل: أكتب إلى بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فلما ورد كتابه على أحمد بن محمد: بكى، وقال: إنا له وإنا إليه راجعون. يزعم
هذا البصري: أنه قد أنفق على العلم مالاً عظيماً، وهو لا يهتدي إلى نسة رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ثم كتب إليه:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى،
وينهونه عن الردى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنة رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم أهل الجاهالة والردى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من
ضال تأته قد هدوه. فما أحسن آثارهم على الناس وما أقبح آثار الناس عليهم.
ينفون عن دين الله عز وجل تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين:
الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عنان الفتنة يقولون على الله، وفي الله تعالى الله
عما يقول الظالمون علواً كبيراً - وفي كتابه: بغير علم. فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة.
وصلى الله على محمد.

أما بعد، وفقنا الله وإياكم لما فيه طاعته، وجنبنا وإياكم ما فيه سخطه، واستعلمنا
وإياكم في عمل العارفين به أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، ولزوم السنة، فقد
علمتم ما حل بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها.

بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الله عز وجل يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها» .

فامركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئاً. فإنه كلام الله عز وجل، وما تكلم الله به
فليس بمخلوق. وما أخبر به عن القرون الماضية فغير مخلوق، وما في اللوح
المحفوظ وما في المصاحف، وتلاوة الناس، وكيفما قرئ. وكيفما يوصف: فهو كلام

الله غير مخلوق.. فمن قال: مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره فهو كافر.

ثم من بعد كتاب الله: سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والتصديق بما جاءت به الرسل، واتباع سنة النجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابرأ عن كابر..

واحدروا رأي جهم فإنه صاحب رأي وكلام وخصومات، فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم: أن الجهمية افترقت ثلاث فرق:

فقال طائفة منهم: القرآن كلام الله مخلوق. قوال طائفة: القرآن كلام الله وسكت. وهي الراقفة الملعونة، وقال بعضهم: الفاظنا بالقرآن مخلوقة.

فكل هؤلاء جهمية كفار، يستتابون. فإن تابوا وإلا قتلوا.

وأجمع من أدركنا من أهل العلم: أن من هذه مقالاته - إن لم يتب - لم ينجح، ولا يجوز قضاؤه، ولا تؤكل نبيحته.

والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، زيادته: إذا زحست. ونقصانه: إذا أسأت. ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام شيء إلا الشوك بالله العظيم، أو برد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحداً لها. فإن تركها كسلاً أو تهاوناً كان في مشيئة الله، إن شاء عذبه. وإن شاء عفا عنه.

وأما المعتزلة الملعونة: فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم: أنهم يكفرون بالذنوب، ومن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كان كافراً، وأن إخوة يوسف - حين كذبوا أباهم يعقوب - كانوا كفاراً.

وأجمعت المعتزلة: أن من سرق حبة: فهو كافر، تبين منه امرأته، ويستأنف الحج إن كان حج.

فهؤلاء الذين يقولون بهذه المقالة كفار، لا يفاكحون، ولا تقبل شهادتهم، وأما الرافضة: فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم: أنهم قالوا: إن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر الصديق وإن إسلام علي كان أقدم من إسلام أبي بكر.

فمن زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر فقد رد الكتاب السنة، لقول الله عز وجل (٤٨ : ٤٩) محمد رسول الله والذين معه) فقدم الله أبا بكر بعد النبي

صلى الله عليه وآله وسلم، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لو كنت متخذاً خليلاً، ولا نبى بعدى، فمن زعم أن إسلام على أقدم من إسلام أبى بكر.. فقد كذب، لأن أول من أسلم: عبد الله بن عثمان عتيق، أبو بكر بن أبى قحافة، وهو يؤمئذ ابن خمس وثلاثين سنة، وعلى ابن سبع سنين، لم تجر عليه الأحكام والفرائض والحدود.

ونؤمن بالقضاء والقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، وأن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلاً، ونعيمها دائم، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار قبل خلق الخلق، وخلق لها أهلاً، وعذابها دائم.

وأن أهل الجنة يرون ربهم لا محالة. وأن يُخرج أقواماً من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وزن الله كلم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً، والصراط حق، والميزان حق. والأنبياء حق. وعيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بمنكر ونكير وعذاب القبر، والإيمان بملك الموت، يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور، فيسألون عن الإيمان والتوحيد، والإيمان بالنفخ في الصور، والصور قَرْنٌ ينفخ فيه إسرافيل، وأن القبر الذى بالمدينة: قبر رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، معه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن.

والدجال خارج فى هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله ببايد.

وما أنكرت العلماء من الشبهة فهو منكر، واحذروا البدع كلها.

ولا عين نظرت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ولا عين نظرت بعد أبى بكر خيراً من عمر، ولا عين نظرت بعد عمر خيراً من عثمان ولا عين نظرت بعد عثمان بن عفان خيراً من على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.

قال أحمد: هم والله الخلفاء الراشدون المهديون.

وأن نشهد للعشرة بالجنة، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير

وسعد، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ومن شهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم له الجنة: شهدنا له بالجنة.

ورفع اليدين في الصلاة زيادة في السحنات، والجهر بآمين عند قول الإمام: (ولا الضالين) والصلاة على من مات من أهل هذه القبلة وحسابهم على الله عز وجل. والكف عن مساوي، أصحاب رسول الله عليه وآله وسلم، تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم.

ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك. ولا ترافقه في سفرك. ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدل، والمتعة حرام إلى يوم القيامة، ومن طلق ثلاثاً في لفظ واحد فقد جهل وحرمت عليه زوجته ولا تحل له أبداً حتى تنكح زوجاً غيره.

والتكبير على الجنائز أربع، فإن كبر خمساً فكبر معه، قال ابن مسعود: «كبر إمامك». قال أحمد خالفني الشافعي، وقال: إن زاد أربع تكبيرات صلى على النجاشي فكبر عليه أربع تكبيرات.

والمسح على الخفين: للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوماً وليلة. وإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تركع ركعتين تحية المسجد.

والوتر ركعة، والإقامة فرادى.

أحبوا أهل السنة على ما كان منهم إمامتنا الله وإياكم على السنة والجماعة. ورزقنا الله وإياكم اتباع العلم، ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

عقيدة
أهل السنة
لأبي حسن
الأشعري
(٢٦٠-٣٢٤هـ)

(باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التي نبهوا بالآلة عليها وأخذوا في وقت النبي صلى الله عليه وسلم بها).

١ - حدوث العالم:

واعلموا أرشدكم الله أن مما أجمعوا رحمة الله عليهم على اعتقاده. مما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ونبههم بما ذكرناه على صحته، أن العالم بم فيه من أجناسه وأعراضه محدث، لم يكن ثم كان، وأن لجميعه محدثاً واحداً اخترع أعيانه وأحدث جوهره وأعراضه. وخالف بين أجناسه، وأنه عز وجل لم يزل قبل أن يخلقه واحداً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنهم عرفوا ذلك بما نبههم الله عز وجل عليه. وبين لهم صلى الله عليه وسلم وجه الدلالة فيه على ما تقدم شرحنا له قبل هذا الموضع.

٢ - مخالفته للحوادث:

وأجمعوا على أنه عز وجل غير مشبه لشيء من العالم، وقد نبه الله عز وجل على ذلك بقوله: (ليس كمثله شيء) (الشورى: ٤٢). ويقول عز وجل: (ولم يكن له كفوا أحد) (الإخلاص: ٥).

وإنما كان ذلك كذلك لأنه تعالى لو كان شبيها لشيء من خلقه لاقتضى من الحدث والحاجة إلى محدث له ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الدلالة على حدث جميع الخلق، واستحالة قدمه على ما بيناه أنفاً. ولما كونه عز وجل غير مشبه للخلق ينفي وجوده، لأن طريق إثباته كونه تعالى على ما اقتضته العقول من دلالة إقباله عليه دون. شاهدته.

٣ - الصفات:

وأجتمعوا (على) أنه تعالى لم يزل موجوداً قادراً عالماً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً على ما وصف به نفسه وتسمى به في كتابه وأخبرهم به رسوله، ودلت عليه

العاله، وأن وصفه بذلك لا يوجب تشبیه لمن وصف من خلقه بذلك. من قبل (أن) الشیئین لا یشبهان بغيرهما ولا بانفاق أسمائهما. وإنما یشبهان بأنفسهما. فلما كانت نفس الباری تعالی غیر مشبیه بشیء من العالم بما نكرناه أنفا ألم یكن وصفه بأنه حی وقادر وعالم یوجب تشبیه بمن وصفناه بذلك منا، وإنما یوجب إنفاقهما فی ذلك اتفاق حقيقة إلى القادر والعالم، وليس اتفاقهما فی حقيقة ذلك یوجب تشبیها بينهما؛ ألا ترى أن وصف الباری عز وجل بأنه موجود ووصف الإنسان بذلك لا یوجب تشابهها بينهما، وإن كانا قد اتفقا فی حقيقة الموجد، ولو وجب تشابههما بذلك لوجب تشابه السواد والبیاض بكونهم موجودین فلما لم (١) یجب بذلك بينهما تشابهها - وإن كانا قد اتفقا فی حقيقة الموجد - لم یجب أن یوصف الباری عز وجل بأنه حی عالم قادر ووصف الإنسان بذلك تشابههما. وإن اتفقا فی حقيقة ذلك. وإن كان الله عز وجل لم یزل مستحقا لذلك والإنسان مستحقا لذلك عند خلق الله وخلق هذه الصفات فيه:

٤ - قدم الصفات:

وأجمعوا على إثبات حياة لله عز وجل لم یزل بها حیاء، وعلماء لم یزل به عالماً، وقدوة لم یزل بها قادراً، وكلاماً لم یزل به متكلماً، وإدارة لم یزل بها مریداً، وسمعا ویصر لم یزل به سمیعا ویصیراً، وعلى أن شیئاً من هذه الصفات لا یصح أن یكون محدثاً، إذ لو كان شیئاً منها محدثاً لكان تعالی قبل حدثها موصوفاً بضدها، ولو كان كذلك یخرج عن الأهلية وسار إلى حكم المحدثین. الذین بلحقهم النقص ویختلف علیهم صفات الذم وامدح، وهذا یستحيل على الله عز وجل، وإذا استحال ذلك علیه وجب أن یكون لم یزل بصفة الكمال، إذا كان لا یجوز علیه الانتقال من حال من الكمال.

٥ - الصفات حقيقة لا مجازاً:

وأجمعوا على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المحدثین، كما أن نفسه لا تشبه (١) أنفس المخلوقین، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم یكن له عز وجل هذه الصفات لم یكن موصوفاً بشیء منها فی الحقيقة، ومن لم یكن له (فعل لم یكن) فاعلاً فی الحقيقة، ومن لم یكن له حسان لم یكن محسناً، ومن لم یكن له كلام لم

يكن متكلماً في الحقيقة، ومن لم يكن له إرادة لم يكن في الحقيقة مريداً، وإن وصف بشيء من ذلك مع عدم الصفات التي توجب هذه الأوصاف له لا يكون مستحقاً لذلك في الحقيقة وإنما وصفه مجازاً أو كذباً، ألا ترى أن وصف الله عز وجل للجدار بأنه يريد أن ينقض لما لم يكن له إرادة في الحقيقة كان مجازاً. وذلك أن هذه الأوصاف مشتقة من أخص أسماء هذه الصفات ودالة عليها، فمتى لم توجد هذه الصفات لمن وصف بها كان وصفه بذلك تلقيباً أو كذباً فإذا كان الله عز وجل موصوفاً بجميع هذه الأوصاف في صفة الحقيقة وجب إثبات الصفات التي أوجبت هذه الأوصاف له في الحقيقة، وإلا كان وصفه بذلك مجازاً كما وصف الجدار بأنه يريد لما لم يكن له إرادة مجازاً.

ويبين هذا أن وصف الإنسان بأنه مريد وسارق وظالم مشتق من الإرادة والسرقة والظلم، وكذلك وصفه بأنه أسود مشتق من السواد، فإذا وصف بذلك من ليس له هذه الصفات في الحقيقة كان وصفه بذلك تلقيباً. ألا ترى أن من سمى العرب أولادها بذلك لم يستحق الذم لأن تسميته بذلك لا يقتضي إثبات هذه الصفات. وإنما وضعوا ذلك لهم تلقيباً كما يلقبوهم يزيد وعمر، وعلى مثل هذا السمع في تسمية الجدار بأنه يريد لما يكن له إرادة. وإذا كان وصف الباردي عز وجل بسائر ما ذكرناه من كونه حياً وقادراً وعالماً.

ومتكلماً ومريداً وسميعاً وبصيراً في الحقيقة دون المجاز والتلقيب وجب إثبات هذه الصفات التي اشتق له عز وجل الأوصاف من أخص أسمائها وقد أوضح ذلك بقوله عز وجل : (ذو القوة المتين) (الذاريات : ٥٦) . وقال : (أنزله بعلمه) (النساء : ١٦٦) (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) (البقرة : ٥٥) واجب إذ أثبتنا هذه الصفات له عز وجل على ما ذكرته العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها أن التكون محدثة . لأنه تعالى لم يزل موصوفاً بها ، ولا يجب أن لا تكون أعراضاً لأنه عز وجل لأن غير الشيء هو مفارقتة له على وجه من الوجوه ، والباري عز وجل لا تجب مفارقة صفاته له من قبل أن مفارقتها له ما يوجب حدثه وخروجه عن الإلهية ، وهذا يستحيل عليه أن يكون تغيير الباري عز وجل جسماً أو جوهرًا أو محدوداً أو في مكان دون مكان أو غير ذلك ، لما لا يجوز عليه من صفاتنا مفارقتة لنا ، فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا.

ولا يجب إذا لم تكن هذه الصفات غيره أن تكون نفسه لاستحالة كونه حياة أو علما أو قدرة، لأن من كان كذلك لم يبين منه الفعل، وذلك أن الفعل يتأتى من الحى القادر والعالم ، دون الحياة والعلم والقدرة.

٦- أمره قديم :

وأجمعوا على أن أمره عز وجل وقوله غير محدث ولا مخلوق ، وقد دل الله تعالى على صحة ذلك بقوله : (ألا له الخلق والأمر) (الأعراف : ٥٤) ففرق تعالى بين خلقه وأمره وقال : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (يس : ٨٢) فبين بذلك تعالى أن الأشياء المخلوقة تكون أشياء بعد إن لم تكن بقوله : (فإذا أراد). وإن قوله غير الأشياء المخلوقة. من قبل أن أمره يقال للأشياء . وقوله كن لو كان مخلوقا لوجب أن يكون قد خلقه بأمر آخر. وذلك القول لو كان مخلوقا (لوجب أن يكون قد خلقه) يقول آخر وهذا يوجب على قائله أحد شيئين، إما أن يكون كل قوله محدث قد تقدمه قول محدث إلى مالا نهاية له. وهذا قول أهل الدهر بعينه. أو يكون ذلك القول حادثا بغير أمره عز وجل فيبطل معنى الاستدراج بذلك، وقد نص على هذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بحضرة أوليائه من الصحابة وأعدائه من الخوارج لما أنكروا عليه التحكم فقال: «والله ما حكمت مخلوقا وإن حكمت كلام الله». فلم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة الذين يوالونه ولا أحد من الخوارج الذى يعادونه. ولا روى عن أحد منهم خلاف له فى ذلك.

٧ - صفة اليد والقبضة:

أجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدان مبسوطتان، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. من غير أن يكون جوازا وأن يديه تعالى غير نعمته، وقد دل على ذلك تشريفه لأدم عليه السلام حيث خلقه بيده، وتقريبه لإبليس على الاستكبار عن السجود مع ما شرفه به بقوله: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (سورة ص : ٥٧).

٨ - وأجمعوا على أنه جىء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء. كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالا، وإنما يكون المجيء حركة وزوالا إذا كان الجائى

جسماً أو جوهرًا جوهرًا فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: (جاءت زيدا الحمى). أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه، إذ لم تكن جسماً، ولا جوهرًا وإنما مجيئها إليه وجودها به، وأنه عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس نزوله تعالى نقله لأنه ليس بجسم ولا جوهر وقد نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم عند من خالفنا.

٩ - صفة المرضا والتعصب:

واجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له. وأن له، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم وزنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم وأن غضبه إرادته (٤) لعذابهم، وأنه لا يقوم لغضبه شيء.

وأنه تعالى فوق سموات على عرشه دون أرضه وقد دل على ذلك بقوله: (أأمنتم ممن في السماء أن يخرسف بكم الأرض) (الملك : ١٦).

الاستواء والكرسي:

وقال (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (فاطر: ١٠) وقال: (الرحمن على العرش استوى) (طه: ٥) ولا يسمى استواءه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر، لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء، وأنه يعلم السر وأخفى من السر، ولا يغيب عنه شيء في السموات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله: (وهو معكم أينما كنتم) (الحديد: ٤) وفسر ذلك أهل العلم بالتأويل أن علمه محيط بهم حيث كانوا.

وأن له عز وجل كرسيًا دون العرش، وقد دل الله سبحانه على ذلك بقوله: (وسع كرسيه السموات والأرض) (البقرة: ٥٥) (جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه).

١٠ - صفات بلا كيف:

واجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكيف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكيف له لازم.

١١ - وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) (القيامة: ٢٢) وقد بين معنى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ورفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: ترون ربكم عيانا وقوله: ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته وبين أن رؤيته تعالى بأعين وجوه. وليرد النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل مثل القمر، من قبل أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه الله تعالى بالقمر وليس يجب إذا علمناه أنه يشبه شيئاً نعلمه ولو كان يجب إذا رأيناه عز وجل أن يكون مثل المؤمنين منا لوجب إذا كان الله رائياً وعالماً بنا أن يكون مثل المرائيين العالمين منا.

١٢ - الضلال والهداية:

وأجمعوا على أنه عز وجل محتاج إلى شيء مما خلق، وأنه يضل من يشاء ويهدي (من يشاء) وينعم على من يشاء ويعز من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويغنى من يشاء، وأنه لا يسأل في شيء من ذلك عما يفعل، ولا لأفعاله علل، لأنه مالك غير مملوك، ولا مأمور ولا منهي، وأنه يفعل ما يشاء، وقال (عذابي أصيب به من أشاء) (الأعراف: ١٥٦) وبين تعالى أنه ليس يجرى في أفعاله مجرى خلقه بقوله عز وجل: (لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون) (الأنبياء: ٢٣) وقال تعالى: (فعلا لما يريد) (البروج: ١٦).

١٣ - الحسن والقبح:

وأجمعوا على أن القبيح من أفعال خلقه كلها ما نهاهم عنه وزجرهم عن فعله، وإن الحسن ما أمرهم به، أو ندبهم إلى فعله. أو أباحه لهم، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر: ٧).

١٤ - وجوب الرضى:

وأجمعوا على أن جميع الخلق (يلزمهم) الرضى بأحكام الله التي أمرهم بها أن يرضوا بها والتسليم في جميع ما أمرهم والصبر على قضائه والانتهاز إلى طاعته فيما دعاهم إلى فعله أو تركه.

١٥ - العدل:

وأجمعوا على أنه عادل على جميع أفعاله وأحكامه صامنا في ذلك أم سرنا أو
ضربنا.

١٦ - القدر:

وأجمعوا على أنه تعالى قدر جميع أفعال الخلق وأجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم.
وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم إلى يوم القيامة يبعثون وقد دل
عليه بقوله: (وكل شيء فعلون في الزبر وكل صغير وكبير مستطر)(القمر: ٥٢، ٥٣)،
وأخبر أنه عز وجل يقرع الجاحدين كذلك في جهنم بقوله: (يسحبون في النار على
وجوههم ذوقوا من سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر)(القمر: ٤٨ - ٤٩).

١٧ - أهل الجنة والنار:

وأجمعوا على أنه تعالى قسم خلقه فرقتين: فرقة خلقهم للجنة وكتبهم بأسمائهم
وصفاتهم، وفرقة خلقهم للسعير ذكروهم بأسمائهم تسليما في ذلك بقوله عز وجل:
(ولقد ذارنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس)(الأعراف: ١٧٩) ولقوله تعالى: (إن
الذين سبقت لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون)(الأنبياء: ١٠١) وقد بين ذلك لما
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث: «القبضتين» وحديث الفرقد وحديث
عن عبد الله بن مسعود وما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب
رضوان الله عليه حين قال: يا رسول الله: أرايت ما نحن به أمر قد فرغ منه أم أمر
مستأنف فقال عليه الصلاة والسلام: بل أمر قد فرغ منه قال عمر: ففيم العمل
يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعملوا: كل ميسر لما خلق
له(١)، وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة.

١٨ - العلم الإلهي الشامل:

وأجمعوا على أن الأمة لا يقدرّون على الخروج من ما سبق في علم الله فيهم
وإرادته لهم، على أن طاعته تعالى واجبة عليهم فيما أدرهم به. والكفر كان لسابق
علمه فيهم وإرادته لهم أنه لا يطيعونه وإن ترك معصيته لازم لجميعهم وإن كان
السابق في علمه وإرادته لهم أنهم يعصونه، لأنه يطالبهم بالأمر والنهي، ويخبرهم

فيما أمروا به ويذمهم على المعصية فيما نهوا عنه، وأن جميع ذلك عدل منه تعالى عليهم، كما أنه تعالى عادل على من خلقه منهم مع علمه أنه يكفر إذا أمره وأعطاه القدرة التي يعلم أنها تصيره إلى معاصيته. وأنه عدل في تبقية المؤمنين إلى الوقت التي يعلم أنهم يكفرون فيه ويرتدون عما كانوا عليه من إيمانهم وتبغيته لهم على الذم المنقطع بالعذاب الدائم لأنه عز وجل ملك لجميع ذلك فيهم، غير محتاج تملكه بل هو تعالى في فعل جميع ذلك عادل وله مالك يفعل ما يشاء كما قال عز وجل: (فعل لما يريد).

١٩ - لا خالق غيره:

وأجمعوا على أنه خالق لجميع الحوادث وحده لا خالق لشيء منها سواء، وقد زجر الله عز وجل من قال ذلك بقوله: وهل من خالق غير الله (فاطر: ٣) كما زجر من ادعى إلها غيره بقوله: (من إله غير الله) (القصص: ٧١ - ٧٢) وإنما سمي غيره خالقاً في قوله: (إله أحسن الخالقين) (المؤمنين: ٥٤) وإن كان خالقاً وحده على طريق الاتساع كما يقال: عدل العمرين على طريق الاتساع، وإن كان عمر واحداً وكما سمي غيره إلها في قوله: (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا) (سورة طه: ٩٧)، في المحاز.

٢٠ - الاستطاعة:

وأجمعوا على أن جنس استطاعة الإيمان غير جنس استطاعة الكفر، من قبل أن جنس استطاعة الإيمان هدى وتوفيق وخبث الله عز وجل فعلها، ونشكر على التفضل بها، واستطاعة الكفر ضلال وخذلان يستعاذ بالله منها. ونسأل العصمة بالهدى وقوة الإيمان بدلها. وأن قدر المحدثين يختلف ويجانس ويتضاد كما يختلف عليهم ويجانس ويتضاد.

٢١ - حاجة الإنسان إلى ربه:

وأجمعوا على أن الإنسان غير غنى عن ربه عز وجل في سائر أوقاته. وعلى الرغبة إليه في المعولة على سائر ما أمر به ممتثلين لما أمرهم به في قوله عز وجل: (إياك نعبد وإياك نستعين) (الفاتحة: ٤ - ٥) فلم يفرق بين العابدة وبين الاستعانة.

٢٢ - شمول العلم:

وأجمعوا على أن الإنسان لا يستطيع أن يفعل ما علم الله عز وجل أنه لا يفعله، وقد نص على ذلك تعالى فيما حكاه عن الخضر في قوله لموسى عليهما السلام لما لم يصبر ٩٩٥ لما قال لا ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) (الكهف: ٧٥) ولم ينكر موسى قوله ولا رد عليه ما ذكره.

٢٣ - تكليف الكفار:

وأجمعوا على أن الله عز وجل قد كلف الكفار الإيمان والتصديق بنبيه صلى الله عليه وسلم، وإن كانوا غير عاملين بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوضح لهم الدلالة ولزمهم الحكم الدعوة، وإنما وجب عليهم من أجاب الله عز وجل له، وطريق معرفتهم بذلك العقول التي جعلت آله تمييزهم وأنهم أنهوا في الجهل في ذلك من قبل إعراضهم عن تأمل ما دعوا إلى تأمله من الأدلة التي جعل لهم بها السبيل إلى معرفة وجوب ما دعوا إليه من النظر في آياته التي أزعج بخرق العادات في قلوبهم. وحرك بها دواعي نظرهم.

٢٤ - وأجمعوا على أنهم يستحقون الذم بإعراضهم وتشغالهم بما نهوا عن التشاغل به.

٢٥ - وأجمعوا أيضا على أن الكافرين غير قادرين على العلم بما دعوا إليه مع تشاغلهم بالإعراض عنه وإثارهم الجهل عليه مع كونهم غير عاجزين عن ذلك ولا ممنوعين منه لصحة أبدانهم وقدرتهم على ما تغشوا به من الإعراض عنه وسوء الاختيار في التشاغل بتركه. ولو كرهوا ما هم (عليه) من الإعراض عن تأمل أدلة الله التي نبههم نبيه صلى الله عليه وسلم عليها ودعاهم إلى تأملها لنهاهم ذلك وحصل لهم العمل به والقدرة عليه.

٢٦ - أنواع القدرة:

وأجمعوا على أن الإنسان لا يقدر بقدرة واحدة على مقدرين، كما أنه لا يعلم بعلم واحد بكتسبه شيئا من تصرفه إلا بقدرة تخصه في حال وجوده، لأن التصرف لا يصح وجوده إلا بها. فلو وجد تصرفه مع عدم القدرة عليه لاستغنا في وجوده

عنها . كما أنه لو وجدت الحركة مع عدم محلها لاستغنت في الوجود عنه ولم تحتج إليه .

٢٧ . التكليف وسلامة الأدوات :

واجمعوا على أنه لا يصح تكليف الإنسان الطاعة ونهيه عن المعصية إلا مع صحة بدنه وسلامة آلات فعله، وإن كان لكل فعل يكتسبه قوة تخصه غير القوة عليه وعلى تركه. وغير الفعل المقدور بها، وغير صحة بدنه، كما أنه لا يصح أن يكلف فعلاً إلا مع صحة عقله وألا تميزه. وإن كان يحتاج في المعرفة لكل ما ادعى إلى معرفته إلى علم يخصه ويصح معه فعله. وليس يجب إذا كلفوا الفعل مع عدم جميع علومهم. إذ كان عدده جميع علومهم يخرجهم عن صحة عقولهم. ويصيرهم إلى الجنون الذي لا يصح تكليف الاستدلال معه. وكذلك الحكم في تكليفهم الإيمان الذي علم أبدأ أنهم لا يبذلونه، وسبق في الكتاب أنهم لا يكتسبونه وهم غير قادرين عليه ولا عن الخروج من علم الله فيه وخروجهم عنه به لا يحل بتكليفهم فعله، من قبل أن أبدانهم صحيحة، وآلات فعل ما كلفوه موجودة، وقد مكنوا في فعله، فهم غير عاجزين عنه ولا ممنوعين منه. وإنما أتوا في ذلك بإعراضهم عما أمروا به وتشاغلم بالكفر الذي قد أثره عليه. وشغلوا قدرهم بكسبه ولو كرهوا الكفر وما هم عليه مت الإيثار له، وأرادوا الإيمان فقدروا عليه، ولا يجب إذا كلفوا ما هم غير قادرين على ما كلفوه من الإيمان لتشاغلم عنه بالكفر الذي نهوا عنه، أن يكلفوا الأفعال مع عدم جميع القدر من قبل أن خروجهم عن جميع القدر يصيرهم إلى العجز وفساد الأبدان والآلات التي لا يصح منهم الفعل مع عدمها، كما لا يصح تكليفهم الاستدلال مع عدم جميع العلوم، من قبل أن عدم جميع العلوم يصيرهم إلى فساد آلات الاستدلال التي لا يتأتى لهم الاستدلال مع فسادها، وإنما يصح تكليفهم الأفعال مع صحة عقولهم وأبدانهم التي تتأتى لهم الأفعال معها، وكونهم غير قادرين على ما تركوا من الأفعال وتشاغلموا عنه، لا يخرجهم عن صحة أبدانهم ولا يصيرهم إلى العجز الذي يصح معه فعلهم. كما أن كونهم، عالمين إلا ما دعوا إلى معرفته وتشاغلمهم بالإعراض عن الاستدلال عليه لا يخرجهم عن صحة عقولهم ولا يصيرهم إلى الجنون الذي لا يصح معه تكليفهم.

٢٨ - القدر:

وأجمعوا على أن ما عليه جميع سائر الخلق من تصرفهم قد قدره الله عز وجل قبل خلقه لهم، وأحصاه في اللوح المحفوظ لهم. وأحاط علمه به وبهم. وأخبر بما يكون منهم، وأن أحداً لا يقدر على تغيير شيء من ذلك. ولا الخروج عما قدره الله تعالى وسبق علمه به. وبما يتصرفون في علمه ويتجهون إلى مقادير. فمنهم شقى وسعيد.

٢٩ - التوفيق والخذلان:

وأجمعوا على أنه يتفضل على بعض خلقه بالتوفيق والهدى وحبب إليهم الإيمان، وشرح صدورهم به. وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم راشدين. كما قال الله عز وجل: (ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) (الأنعام: ١٢٥) وقال: (حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) (١) (الحجرات: ٧) يعدد بذلك نعمته عليهم.

٣٠ - اللطف الإلهي:

وأجمعوا على أن ما يقدر عليه من الألفاف التي لو فعلها لآمن جميع الخلق غير متناهية، وإن فعل ذلك غير واجب عليه بل هو تعالى متفضل بما يفعله منها، وأنه تعالى لم يتفضل على بعض خلقه بذلك. بل أضلهم كما قال: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) (الأنعام: ١٢٥). وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام لما جىء بالعجل الذي عمله السامري لبني إسرائيل وكان خواره فعل البارئ تعالى عنده (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) (الأعراف: ١٥٥) ولم ينكر الله ذلك عليه، ولو كان وصفه بذلك جواراً كما تقول اقدرية (١) ما ترك إنكار ذلك عليه وزجره عنه، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

٣١ - عموم قدرته:

وأجمعوا على أن الله قادراً على أن يخلق جميع الخلق في الجنة متفضلاً عليهم بذلك، لأنه تعالى غير محتاج إلى عبادتهم، وأنه قادر أن يخلقهم كلهم في النار،

ويكون بذلك عادلاً عليهم لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (الأنبياء: ٢٣) ولأنه عز وجل فعل من ذلك ما أراد. لا معقب لحكمه وهو السميع البصير.

٣٢ - فضل الله يؤتيه من يشاء:

وأجمعوا على أنه تعالى لا يجب عليه أن يساوى بين خلقه في النعم، وزن له تعالى أن يختص من شاء منهم بما شاء من نعمة وقد دل على صحة قولنا بقوله تعالى: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) (المائدة: ٥٤) وأخبرنا تعالى عما أراد في تفصيل بعض خلقه المكلفين فقال: (أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) (المائدة: ٤١) وقال في فريق آخر وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً) (الأحزاب: ٣٣) وإنما اختلف الفريقان لاختلاف ما أراد الله عز وجل لهم.

٣٣ - وجوب الإيمان وعدم الاعتراض:

وأجمعوا على أنه ليس لأحد من الخلق الاعتراض على الله تعالى في شيء من تدبيره. ولا إنكار لشيء من أفعاله، إلا كان مالك لما يشاء منها غير مملوك. وأنه تعالى حكيم قبل أن يفعل سائر الأفعال، وأن جميع ما يفعل لا يخرج عن الحكمة، وأن من يعترض عليه في أفعاله متنبهاً رأي الشيطان في ذلك حين امتنع من السجود لأدم عليه الصلاة والسلام، وزعم أن ذلك فساد في التدبير وخروج من الحكمة حين قال: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (الأعراف: ١٢).

٣٤ - النبي بلغ الرسالة:

وأجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لجميع الخلق إلى معرفة الله وإلى نبوته، ونهاهم عن الجهل بالله عز وجل وعن تكذيبه، وأنه عليه الصلاة والسلام بين لهم جميع ما دعاهم إليه من الإسلام والإيمان، وما رغبهم فيه من منازل الإحسان وأوضح لهم الأدلة عليه، وبين لهم الطريق إليه. وأن جبريل جاءه في صورة إعرابي بحضرة أصحابه فقال له:

ما الإسلام؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول

الله وتقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت..... وفي الحديث الطويل قل: صدقت.

قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وغير ذلك. فقال: صدقت:

قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن إن لم تكن تراه فإنه يراك، ثم انصرف ونحن نتعجب من تصديقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أمره لهم بطلبه فلم يجدوه بعد انصرافه: هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم.

وكذلك قد بين لهم قبل ذلك طرق المعارف بحدثهم على وجود المحدث لهم وبلغهم على صدقه فيما أنبأهم به، وبه تعالى على ما قد سلف شرحنا له.

٣٥ - الإيمان يزيد وينقص:

واجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس لقائه عندنا شكاً فيما أمرنا بالتصديق به ولا جهلاً به، لأن ذلك كفر. وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كنا مؤدبين للواجب علينا.

٣٦ - الكبيرة لا تخرج عن الإيمان:

واجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان به لا يخرج عنه شيء من المعاصي ولا يحبط إيمانه الكفر وإن العصاة من زهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع، غير خارجين عن الإيمان ولا بمعاصيهم، وقد صمى الله تعالى عصاة زهل القبلة مؤمنين بقوله: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) (المائدة: ٦ الآية فلو كانوا خرجوا من الإيمان بمعاصيهم كما قالت القدورية لما تعلق عليهم فرض الطهارة، وكان خطاب الله تعالى منصرفاً إلى المؤمنين دونهم، وكذلك قال: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) (الجمعة: ٩). ولم يخص بالحض على ذلك الطائعين دون العاصين.

٣٧ - لا نقطع بالجنة والنار على أحد:

وأجمعوا على أنه لا يقطع على أحد من عصاة أهل القبلة في تلك الدرع بالنار، ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة إلا من قطع عليه رومل الله صلى الله عليه وسلم، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (النسأء: ٤٨) ولا سبيل إلى أحد إلى معرفة مشئته تعالى فيهم إلا بخبره، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تنزلوا أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً».

٣٨ - الحفظة:

وأجمعوا على أن العباد حفظه يكتبون أعمالهم، وقد دل على ذلك بقوله: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين.

٣٩ - عذاب القبر:

وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يسألون في قبورهم بعد أن يحبون فيها، ويسألون فيثبت الله من أحب نبيه وأنهم لا يذوقون ألم الموت بعد ذلك، كما قال تعالى: (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) (الدخان: ٥٦) وعلى أن ينفخ في الصور قبل يوم القيامة فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وعلى أن الله تعالى يعذبهم كما بدأهم حفاة عرايا غرلا، وأن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة، وكذلك الجلود التي كانت في الدنيا، والألسنة، والأيدى، والأرجل، هي التي تشهد عليهم يوم القيامة، وأن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه أفلح، ومن خفت موازينه خاب وخسر، وإن كفة السيئات تهوى إلى جهنم، وإن كفة الحسنات تهوى عند زيانتها إلى الجنة وإن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم، فمن أوتى كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن يؤتى كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً.

٤٠ - الصراط:

وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك.

٤١ - وأجمعوا على أن الله تعالى يخرج من النار من في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه.

٤٢ - الشفاعة:

وأجمعوا على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه من النار قوم من أمته بعد ما صاروا حمماً فيطرحون في نهر الحياة فينبثون كما تنبت الجنة في سهل السبيل، وعلى أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً يوم القيامة ترده أمته، لا يظلم من شرب منه، ويزاد عنه من بدل وغير بعده، وعلى أن الإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومعراجة) إلى السموات واجب، وكذلك ما روى من خبر الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وقتله الدجال وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بكونها بين يدي الساعة من طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة. وغير ذلك مما نقله إلينا اثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفونا صحته.

٤٣ - المحكم والمتشابه:

وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله، وما ثبت به النقل من سائر سنته ووجوب العمل بمحكمه. والإقرار بنص مشككة ومتشابهه. ورد كل ما لم يحط به علماً بتفسيره إلى الله، مع الإيمان بنصه. وأن ذلك لا يكون إلا فيما كلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله.

٤٤ - وأجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليهم، بأيديهم وبالسنتهم إن استطاعوا ذلك، وإلا فبقلوبهم وأنه لا يجب ذلك عليهم بالسيف إلا في اللصوص والقطاع بعد مناشدتهم.

٤٥ - لا خروج على الأئمة:

وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة واشتدت وطاقة من بر وفاجر لا يلزمهم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل وعلى أن يغزوا معهم العدو ويحج معهم لبيته وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلى خلفهم الجمعة والأعياد، وأن لا يصلى خلف أحد من

أهل البدع منهم من أنهم قد فسقوا بالبدع والإمامة، موضع فضل ولا يصح أن يأتى بالفاسق كما لا يجب أن يأتى القارىء بالأمى إلا أن يخاف منهم فيصليها معهم وتعاد الصلاة بعدهم.

٤٦ - خير القرون:

وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم على ما قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم قرنى». وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة. وخير العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم، وأن إمامتهم كانت عن رضى من جماعتهم، وأن الله ألف قلوبهم على ذلك لما أراد من استخلافهم جميعاً بقوله: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذين ارتضى لهم» (النور: ٥٥) فجمع الله قلوب المؤمنين على ترتيبهم فى التقديم، من قبل أنهم لو قدموا عمر على الجماعة لخرج أبوبكر عما وعده الله به، وكذلك لو قدم عثمان لخرج أبوبكر وعمر لأن الله قد علم أنه يبقى بعدهما وأنهما يموتان قبله، ولذلك لو قدم على جميعهم لخرجوا من الوعد بعلم الله أنهم يموتون قبل موتهم وألف قلوب المؤمنين على ذلك لينالوا جميعاً ما وعدوا به. وإن كان كل واحد منهم يعلم ذلك.

٤٧ - خيار الصحابة:

وأجمعوا على أن الخيار بعد العشرة فى أهل بدر من المهاجرين والأنصار على قدر الهجرة والسابقة، وعلى أن كل من صحب النبى صلى الله عليه وسلم ولو ساعة أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه أفضل من التابعين بذلك.

٤٨ - الكف عن ذكر الصحابة بسوء:

وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة عليهم الصلوات إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن تنتشر محاسنهم وتلتبس لأفعالهم أفضل المخرج، وأن يظن بهم أحسن الظن وأحسن المذهب، ممثلين فى ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكروا أصحابى فأمسكوا» وقال أهل العلم: معنى ذلك لا تذكرهم إلا

بخير الذكر، وقوله: «لا تؤذوني في أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا تصفه، وعلى ما أثنى الله تعالى به عليهم بقوله: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل). إلى آخر ما قضى الله عز وجل من ذكرهم، ثم قال: «ليغيظ بهم الكفار» (الفتح: ٢٩).

٤٩ - حق الصحابة علينا:

وأجمعوا على أن ما كان بينهم من الأمور الدينية لا يسقط حقوقهم، كما لا يسقط ما كان بين أولاد يعقوب النبي على السلام من حقوقهم، وعلى أنه لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه، وعما اختلفوا فيه أو في تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم.

٥٠ - ذم أهل البدع:

وأجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبري منهم وهم الروافض والخوارج والمرجئة والقدرية وترك الاختلاط بهم لما روى عن النبي صل الله عليه وسلم في ذلك وما أمر الله تعالى به من الإعراض عنهم في قوله تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم) (الأنعام: ٩٨) روى عن النبي صل الله عليه وسلم: أنه قال: «فريقان لا تنالهما شفاعتي: «المرجئة والقدرية»، وأنه عليه الصلاة والسلام قال: «القدرية مجوس هذه الأمة وأنهم الذين يعترضون على الله في مقاديره ويزعمون أنهم يقدرون على الخروج من عمله، وأنه يخلقون كخليفة وإنما شبههم النبي صل الله عليه وسلم بالمجوس دون سائر الفرق اليهود والنصارى في مشاركتهم لهم فيما يختصون به من قولهم: إن الشر لا يفعله إلا شرير وإن الله لا يفعل ذلك، كما قالت المجوس في النور الذي يعبدونه. وأنه لا يضر أحداً لأن من ضر غيره كان سفيهاً، وقد أجمع المسلمون على أن اله الضار النافع، وقال تعالى: (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) (أول سورة الفلق).

٥١ - وجوب النصيحة:

وأجمعوا على النصيحة للمسلمين والقول لجماعتهم وعلى التواضع في الله،
والدعاء لأئمة المسلمين، والتبري ممن ذم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وأهل بيته وأزواجه، وترك الاختلاط بهم، والتبري منهم فهذه الأصول
التي مضى الأسلاف عليها واتبعوا حكم الكتاب والسنة بها واقتدى بهم الخلف
الصالح في مناقبها نفعا الله وإياكم أجره، والحمد لله وحده وهو حسبي ونعم
الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله...

تمت وكان الفراغ منه يوم الخميس إحدى عشرة من صفر المبارك سنة أربع
وثمانين وألف من الهجرة.

العقيدة
الطحاوية
للأبي جعفر
الطحاوي

الحمد لله رب العالمين.. قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطخاوى بمصر.. رحمه الله.. هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وابن يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى وابن عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين..

نقول فى توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له ولا شىء مثله ولا شىء مثله ولا شىء يعجزه ولا إله غيره. قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد. لا تبلغه الأوهام. ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام حتى لا يموت قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة رزاق بال مؤنة. مميت بلا مخافة. باعث بلا مشقة مازال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته. وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أديماً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق) ولا بإحداث البرية استفاد اسم (البارى). له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق وكما أنه محيى الموتى بعدما أحياء. استحق هذا الاسم قبل إحيائهم. كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم. ذلك بأنه على كل شىء قدير وكل شىء إليه مقير، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شىء (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً. وضرب لهم أجالا. ولم يخف عليه شىء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم. وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شىء يجرى بتقديره ومشيئته. ومشيئته تنفذ. لا مشيئة للعباد. إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان. وما لم يشأ لم يكن.. يهدى من يشاء. (ويعصم ويعافى فضلاً. ويضل من يشاء. ويخذل ويبتلى عدلاً) وكلهم يتقلبون فى مشيئته. بين فضله وعدله وهو متعال عن الاضداد والانداد. لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره. أمنا بذلك كله. وإيقنا أن كلا من عنده، وأن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الاتقياء

وسيد المرسلين وحبيب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده بغيره وهوى وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء. وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً. وأنزله على رسوله وحياً وصدقته المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة. ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام بشر فقد كفر وقد نمة الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى (سأضليه سقر) فلما أوعده الله بسقر لمن قال (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر..

ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر فمن أبصر هذا اعتبروه عن مثل قول الكفار أنزجر وعلم أنه بصفات ليس كالبشر والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وتفسير على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء فى ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على ما أراد. لا ندخل فى ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم فى دينه إلا من سلم لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم. ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه. ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام فمن رام علم ما خطر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه. حجب مرامه عن خالص التوحيد وصافى المعرفة وصحيح الإيمان فيقتذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار، موسوساً تأنها شاكالاً مؤمناً قصد فأولاً جاحداً مكذباً ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها فيهم بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتزويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق النفى والتشبيه. زل ولم يصب التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية. منعوت بنعوت الفردانية ليس فى معناه أحد من البرية وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كافر المبتدعات. والمعراج حق وقد أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه فى الیقظة إلى السماء ثم إلى حثى شاء الله من العلا. وأكرمه الله بما شاء وأوحى إليه ما أوحى (ما كذب الفؤاد ما رأى) فصلى الله عليه وسلم فى الآخرة والأولى. والحوض الذى أكرمه الله

تعالى به غيائاً لأمته حق والشفاعة التي ابخرها لهم حق كما روى في الاخبار. والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق. وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة. فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه. وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقى بقضاء الله واصل القدر سر الله تعالى في خلقه. لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا ابن مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة للخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة. فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه (ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب. ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين، فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى. وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم المفقود كفر. ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود..

ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم قلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه. جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه. وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه. فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً. ليس فيه ناقص ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سمواته وأرضه وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وبريوبيته كما قال تعالى في كتابه (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) (وكان أمر الله قدراً مقدراً) فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً واحضر للنظر فيه قلباً سقيماً لقد التمس بوجهه في فحص الغيب سرّاً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً اثيماً. والعرش والكرسي حق وهو مسغن عن عرش ومادونه، محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإطاحة خلقه..

ونقول: أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الملة موسى تكليماً إيماناً وتصديقاً وتسلماً. ونؤمن بالملائكة والتبيين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا

على الحق المبين، ونسمى أهلقبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين ولا نخوض في الله ولا نمارى في دين الله ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين ولا نكفر أحداً من زهل القبلة بذنب ما لم يستحله. ولا نقلو لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، نرجو للمحسين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئتهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم. والامن والاباس ينقلون عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة ولا يمزج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أداخلخ فيه، والإيمان هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى. والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن وأكرمهم عند الله أطوعهم وابتغهم للقرآن والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله.

ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به. وأهل الكبائر من أمة محمد صل الله عليه وسلم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته. وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدراين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته. ولم ينالوا من ولايته اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به. ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم ولا تنزل أحدا منهم جنة ولا ناراً ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرانهم إلى الله تعالى.. ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وأن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة مالم يأمرنا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب

الشذوذ والخلاف والفرقة ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة. ونقول الله أعلم فيما أشتبه علينا علمه ونرى المسخ على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر. والحج والجهاد ماضلين مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلها شيء ولا ينقصه ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين ونؤمن بمال الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله وعن الصحابة. والقبر وروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبیدان. وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه. ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل. وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد ولم يكلفهم الله تعالى (إلا ما يطيقون ولا يطقون) إلا ما كلفهم وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله) ..

نقول: لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضائه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً. تقدس من كل سوء وحين وتترزه عن كل عيب وشين (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون). وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأمم والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين، والله يفضب ويرضى. لا كأحد من الوري. ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرا من

أحد منهم ونبفض من يبفضهم ويغير الحق يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم
بين وإيمان وإحسان وبفضهم كفر ونفاق وطغيان.. وثبتت الخلافة بعد رسول الله
أولا لأبي بكر تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة. ثم لعمر بن الخطاب ثم لعثمان ثم
لعلی وهم الخلفاء الراشدون المهتدون.. وأن العشرة الذين سماهم الرسول ويشترهم
بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله وقوله الحق وهم: أبو بكر
وعمر وعثمان وعلی وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة
بن الجراح وهو أمين هذه الأمة.. ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله
وأزواجه المطهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برىء من
النفاق. وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل
الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.. ولا
نفضل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبى واحد أفضل
من جميع الأولياء. ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم
ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم من السماء
ونؤمن بطلوع الشمس من المغرب وخروج دابة الأرض من موضعها ولا نصدق
كاهنا ولا عرافا ولا من يدعى شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة. ونرى
الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيفا وعذابا ودين الله فى الأرض والسماء واحد، وهو
دين الإسلام قال الله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وقال (ورضيت لكم الإسلام
دينا) وهو بين العلو والتفسير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن
والإياس فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ونحن براء إلى الله من كل خالف الذى
ذكرناه وبيناه..

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختتم لنا به ويعصمنا من الأهواء
المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل أمشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية
والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم
براءوهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق..

لمعة الاعتقاد
لأبي قدامة
المقاسي
(٥٤١-٦٦٠هـ)

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن من شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصحابة والأولاد، وتنفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى (الرحمن على العرش استوى). له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى). أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، ووسع كل شيء رحمة وعلما. (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً). موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم. وكل ما جاء في نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم، وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن، وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهده على ناقله، اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين اتنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)، وقال في نم مبتغى التأويل لمتشابه تنزيله (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله) فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه (وما يعلم تأويله إلا الله).

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» وإن الله يرى في القيامة» وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها ونصدق بها. لا كيف ولا معنى، ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق. ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه. بلا حد ولا غاية (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنت، ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن.

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: أمنت بالله، وبما جاء عن الله مراد الله، وأمنت برسول الله. وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله. وقد أمرنا لاقتفاء آثارهم، والاهتداء بمنارهم. وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات فقال النبي صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، ولك بدعة ضلالة». وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه: قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا. ولهم على كشفها كانوا أقربى، وبالفصل لو كان فيها أخرى. فلئن قلتم «حدث بعدهم» فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، وقد وصفوا منه ما يشفى وتكلموا منه بما يكفى، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم. وقال الإمام أبو عمر والأوزاعي رضي الله عنه: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وأراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول. وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي (١) لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى أو لم يعلموها. قال: لم يعلموها. قال: فشئ، لم يعلمه هؤلاء علمته؟ قال الرجل: فإنى أقول قد علموها. قال بلى وسعهم. وقال: فشئ، وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه ولا يسعك أنت. فانقطع الرجل. فقال الخليفة - وكان حاضراً - : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم، وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم - من تلاوة آيات

الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت - فلا وسع الله عليه.

فما جاء من آيات الصفات قول الله تعالى (ويبقى وجه ربك).

وقوله سبحانه (بل يدها مبسوطتان) وقوله تعالى إخباراً عن عيسى على السلام أنه قال (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما نفسك).

وقوله سبحانه (وجاء ربك).

وقوله (هل ينظرون إلا أن يأتهم الله).

وقوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه).

وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله فى الكفار (غضب الله عليهم).

وقوله (اتبعوا ما أسخط الله) وقوله (كره الله اتباعهم).

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا».

وقوله «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة».

وقوله «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة، فهذا وأمثاله مما صح سنده وعُدلت رواته نؤمن به ولا تردده ولا تجحده ولا تتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير (ليس كمثله شئ، وهو السميع البصير).

وكل ما تخيل فى الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى).

وقوله (أأمنتم من فى السماء).

وقول النبى صلى الله عليه وسلم «ربنا الله الذى فى السماء نقدر اسمك».

وقال للجارية «أين الله». قالت: فى السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مالك بن أنس ومسلم وغيره، من الأئمة. وقال النبى صلى الله عليه وسلم لحصين «كم إلها نعبد. قال: سبعة، ستة فى الأرض وواحد فى السماء، قال: من لرهبتك ورغبتك. قال: الذى فى السماء قال: فأترك الستة واعبد الذى فى السماء. وأنا أعلمك دعوتين. فأسلم وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول «اللهم ألهمنى رشدى».

وقنى شر نفسى، وفيما نقل من علامات النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الكتب المتقدمة: أنهم أيسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم فى السماء.

وروى أبو داود فس ينته أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا - الخبر إلى قوله - وفوق ذلك العرش، واله سبحانه فوق ذلك. فهذا ما أشبه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تعثيله سئل مالك بن أنس الإمام رضى الله عنه فقل: أبا بعد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج.

فصل

ومن صفات الله تعالى أنه (متكلم) بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وإنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورنه.

قال الله تعالى (وكلك الله موسى تكليماً) وقال سبحانه (يا موسى إننى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى) وقال سبحانه (منهم من كلم الله) وقال سبحانه (وما كان أبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) وقال تعالى (فلما أتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك) وقال (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدنى) وغير جائز أن يقول هذا إلا اله.

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء. وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن أنيس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يحشر الله الخلائق يوم القيامة حفاة عراة بهماً، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك: أنا الديان» رواه الأئمة واستشهد به البخارى وفى بعض الآثار: إن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته وفزع منها ناداه ربه: ياموسى، فأجاب سريعاً استئناساً. الصوت، لبيك. لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت، فقال، أنا فوقك ووراءك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغى إلا لله تعالى، قال فكذلك أنت

ياإلهي، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك، قال بل كلامي ياموسى.

فصل

ومن كلام الله تعالى القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين. وحبله المتين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربى مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإلى يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات. له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، مثلوا بالأسنة، محفوظ فى الصدور، مسموع بالأذان، مكتوب فى المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ وخاص وعام، وأمر ونهى (لا أتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)، وهذا هو الكتاب العربى الذى قال فيه الذين كفروا (لن نؤمن بهذا القرآن) وقال بعضهم (إن هذا إلا قول البشر) فقال الله سبحانه (سأصليه سقر) وقال بعضهم هو شعر فقال الله (وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذى لب فى أن القرآن هو هذا الكتاب العربى الذى هو حروف وكلمات وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر. وقال الله تعالى (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) ويجوز أن يتحداهم بالأتیان بمثل ما لا يدرى ما هو وال يعقل. وقال الله تعالى (وإذا نتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أتت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى). فأثبت أن القرآن هو الآيات التى تتلى عليهم. وقال تعالى (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون). وقال (إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون)، وبعد أن أقسم على ذلك وقال تعالى (كبيعص)، (جمعسق) وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة، وقال النبى صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرآن ولحن فيه فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح، وقال عيه الصلَام «أقروا القرآن قبل أن يأتى قوم يقيمون حروفه إقامة للسهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه، قال أبوبكر وعمر رضى الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من

بعض حروفه. وقال على رضى الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، واتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ولا خلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وفى هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

فصل

والمؤمنون يرون ربهم فى الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة). وقال (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلما حجب أولئك فى حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه فى حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته» حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئى بالمرئى، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

فصل

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شىء إلا بإرادته. ولا يخرج شىء عنه مشيئته، وليس فى العالم شىء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط فى اللوح المسطور، أراد ما العالم فأعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلائق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وأجالهم، يهدى من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون)، وقال الله تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) وقال تعالى (وخلق كل شىء فقدره تقديراً) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن تبراها) وقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً). وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال جبريل: صدقت» انفرد مسلم بإخراجه. وقال النبى صلى الله عليه وسلم «أمنت بالقدر خير وشره، حلوه ومره». ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الذى علمه الحسن ابن

على يدعو به في قنوت الوتر «وقنى شر ما قضيت». ولا تجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره وأجتناب نواهيه بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعثه الرسل، وقال الله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل). ونعلم أن الله ما زمر ونهى إلا المستطيع للفعل، والترك، وأنه لم يجبر أحدا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة. قال الله تعالى (لا يكلف الله نفسها إلا وسها) وقال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال تعالى (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم) فدل على أن للعبد فعلا وكسباً يجزى على حسنه بالثواب ولعى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

فصل

والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان. يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان. قال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقامة الصلاة وإتياء الزكاة كله من الدين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إثابة الأذى عن الطريق» فجعل القول والعمل من الإيمان، وقال تعالى (مزادهم إيماناً - ليزداد إيماناً) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة - أو خردلة أو ذرة - من الإيمان» فجعله متفاضلاً.

فصل

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به الثقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواه في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناماً، فإن قريشاً أنكروته ولم تكن تنكر المنامات، ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه فقفا عينه، فرجع إلى ربه تعالى فرد عليه عينه، ومن ذلك أسراط الساعة، مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشياء ذلك مما سمع به النقل، وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعانز النبي صلى الله عليه وسلم

منه وأمر به في كل صلاة، وفتنة القبر حق، وسؤ منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور (فإذا تم من الأجداث إلى ربعم ينسلون)، ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُولا بهما فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبيا محمد صلى الله عليه وسلم فيحاسبهم الله تبارك، وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وتتطير صحائف الأعمال إلى الإيمان والشمالك (فأما من أوتي كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتي كتابه ورائ ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً)، والميزان له كفتان ولسان توزن به أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون). ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. والصراط حق: تجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار، ويشفع نبيا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمة من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً، فيدخلون الجنة بشفاعته. ولسائر الأنبياء والملائكة شفاعات (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون)، ولا تنفع الكافر شفاعات الشافعين، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان: فالجنة دار أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مُبلسون) ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، ويذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت.

فصل

ومحمد رسل الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وسيد المرسلين لا يصح إيمانُ عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته، ولا تدخل الجنة أمة إلا بدع دخول أمة صاحب لواء الحمد والمقام المحمود، والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم. أمة خير الأمم، وأصحابه خير الأنبياء عليهم السلام. وأفضل أمة أبوبكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذي النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم - لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي:

أبوبكر. ثم عمر، ثم عثمان، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره، وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علي أفضل من أبي بكر». وهو أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله، وسابقته، وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضوان الله عليهم. وإجماع الصحابة رضي الله عنهم على تقسيمه ومتابعته، ولم يكن الله يجمعهم على ضلالة. ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه. ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه، وهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، حافظوا عليها بالنواجد». وقال الخلافة بعدى ثلاثون سنة، فكان آخرهم خلافة علي رضي الله عنه. ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة وكل شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها كقوله «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وقوله لثبات ابن قيس إنه من أهل الجنة. ولا نزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل. ونرى الحج والجهاد ماضياً مع كل إمام برأ كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، وقال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عن ما لا إله إلا الله، ولا تكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد في ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر امتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار» رواه أبو داود.

ومن السنة قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوتهم وما شجر بينهم، واعتقاد

فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) وقال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا أصحابي، فإن زحذكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّض أحدهم ولا نصيفه».

ومن السنة الترضى عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرات من كل سوء، أفضلهن: خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج للنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، فمن قذقها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم ومعاوية خال المؤمنين وكاتب فرض الله أحد هلقاء المسلمين..

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يسأى بإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمى أمر المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدل والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة.

وكل متقسم بغير الإسلام والسنة مبتدع: كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية ونظائرهم، فهذه فرق الضلالة وطوائف البعد أعاذنا الله منها.

أما النسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون على اجتهدهم، واختلافهم رحمة واسعة، وإنفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة، ويحشر في زمرة بعد الممات، برحمته وفضله أمين.

العتبة النسفية النسفية

قال أهل الحق حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسوفسطائية وأسباب العلم للخلق ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل فالحواس السمع والبصر والشم والذوق واللمس وبكل حاسة منها يوقف على وضعت هي له كالسمع والذوق والشم والخبر الصادق على نوعين أحدهما الخبر المتواتر وهو الثابت على البنية قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية والبلدان النائية والثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة وهو يوجب العلم الاستدلالي والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات وأما العقل فهو سبب للعلم أيضا وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري كالعلم بأن كل شيء أعظم من جزئه وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق والعالم بجميع أجزائه محدث إذ هو أعيان وأعراض فالأعيان ماله قيام بذاته وهو إما مركب وهو الجسم أو غير مركب كالجوهر وهو الجزء الذي لا يتجزأ والعرض مالا يقوم بذاته ويحدث في الأجسام والجواهر كالألوان والأكوان والطعوم والروائح والمحدث للعالم هو الله تعالى الواحد القديم الحي القادر السميع البصير الثاني المرید ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر ولا مصور ولا محدود ولا ممدود ولا متبعض ولا متجزئ ولا متركب ولا متناه ولا يوصف بالماهية ولا بالكيفية ولا يتمكن في مكان ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء وله صفات أزلية بذاته وهي لا هو ولا غيره وهي العلم والقدرة والحياة والقوة والسمع والبصر والإرادة والمشينة والفعل والتخليق والتزيق والكلام وهو متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات وهو صفة منافية للسكوت والآفة والله تعالى متكلم بها أمر نام مخبر والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بالسنتانا مسموع بأذاننا غير خال فيها والتكوين صفة الله تعالى أزلية قائمة بذاته تعالى ورؤية الله تعالى جائزة في العقل واجبة بالنقل وقد ورد الدليل

السمعى بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى فى دار الآخرة فيرى لا فى مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى والله تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان واطاعة والعصيان وهى كلها بإرادته ومشيتته وحكمه وقضيته وتقديره وللعباد أفعال اختيارية يتأبون بها ويعاقبون عليها والحسن منها برضاء الله تعالى والقبيح منها ليس برضائه تعالى والاستطاعة مع الفعل وهى حقيقة القدرة التى يكون بها الفعل ويقع هذا الاسم على سلامة الأسباب والآلات والجوارح وصحة التكليف تعتمد هذه الاستطاعة ولا يكلف العبد بما ليس فى وسعه وما يوجد من الألم فى المضروب عقيب ضروب إنسان والإنكسار فى الزجاج عقيب كسر إنسان كل ذلك مخلوق الله تعالى لا صنع للعبد فى تخليقه والمقتول ميت بأجله والموت قائم بالمبيت مخلوق الله تعالى لا صنع للعبد فيه تخليقا ولا اكتسابا والأجل واحد والحرام رزق وكل يستوفى رزق نفسه حلالا كان أو حراما ولا يتصور أن لا تأكل إنسان رزقه أو يأكل غيره رزقه والله تعالى يضل من يشاء ويهذى من يشاء وما هو الأصلح للعبد فليس ذلك بواجب على الله تعالى وعذاب القبر للكافرين وبعض عصاة المؤمنين وتنعيم أهل الطاعة فى القبر وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية والبعث حق والوزن حق والكتاب حق والسؤال حق والحوض حق والطراط حق والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان الآن موجوبتان باقيتان لا تفنيان ولا يفنى أهلها والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان ولا تدخله فى الكفر والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغائر والكبائر ويجوز العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة إذا لم يكن عن استحلال والاستحلال كفر والشفاعة ثابتة للرسل والأخبار فى حق أهل الكبائر وأهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون فى النار والإيمان فى الشرع هو التصديق بما جاء النبى عليه السلام به من عند الله تعالى والإقرار به وأما الأعمال فهى تتزايد فى نفسها والإيمان لا يزيد ولا ينقص والإيمان والإسلام واحد فإذا وجد من العبد التصديق والإقرار صح له أن يقول أنا مؤمن حقا ولا ينبغي أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله والسعيد قد يشقى والشقى قد يسعد والتغير يكون على الساعداة والشقاوة دون الإسعاد والإشقاء وهما من صفات الله تعالى رسلا من

البشر إلى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين وأيديهم بالمعجزات الناقصات للعادة وأول الأنبياء آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وقد روى بيان عددهم في بعض الأحاديث والأولى أن يقتصر على عدد في التسمية فقد قال الله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر المدد أن يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج منهم من هو فيهم وكلهم كانوا مخبرين مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين وأفضل الأنبياء عليهم السلام محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة عباد الله تعالى العاملون بأمره وال يوصفون بذكورة ولا أنوثة والله تعالى كتب أنزلها على أنبيائه وبين فيها أمره ونهيه ووعدته ووعدته والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة بشخصه إلى السماء ثم إلى ما شاء الله تعالى من الملاحق وكرامات الأولياء حق فتظهر الكرامة على طريق نفوذ العادة للولى من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة والمشي على الماء والطيران في الهواء معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لأنه يظهر بها أنه ولى ولن يكون ولياً إلا أن يكون محققاً في ديانتهم وديانته الإقرار برسالة رسول وأفضل البشر بعد نبينا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر الفاروق ثم ندى النورين ثم على المرتضى وخلافتهم ثابتة على هذا الترتيب أيضاً والخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها ملك وإمارة والمسلمون لابد لهم من إمام ليقوم بتنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وإقامة الجمع والأعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغار الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم ونحو ذلك ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهراً لا مختفياً ولا منتظراً ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببني هاشم وأولاد على رضى الله عنه ولا يشترط في الإمام أن يكون معصوماً ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه ويشترط أن يكون من أهل الولاية المطلقة الكاملة منائساً قادراً على تنفيذ الأحكام وحفظ حدود دار الإسلام واستخلاص حق المظلوم من الظالم ولا ينعزل الإمام بالفسق والجور وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ويصلى على كل بر وفاجر

وبكف عن ذكر الصحابة إلا بخبر ونشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم النبي على الصلاة والسلام بالجنة ونرى المسح على الخفين في الحضر والسفر ولا نحرم نبيذ التمر ولا يبلغ ولي درجة الأنبياء أصلاً ولا يصل العبد إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي والنصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاً ورد النصوص كفر واستحلال المعصية والاستهانة بها كفر والاستهزاء على الشريعة كفر واليأس من الله تعالى كفر والأمن من الله تعالى كفر وتصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفر والمعدوم ليس بشيء وفي دعاء الأحياء للأموات وصدقهم عنهم نفع لهم والله تعالى يجيب الدعوات ويقضى الحاجات وما أخبر به النبي عليه السلام من اشراط الساعة من خروج الدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام من السماء وطلوع الشمس من مغربها فهو حق والمجهد قد يحظى وقد يصيب ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة والله أعلم.

ثمن
العقيدة
الوسطية
لأئمة
الشيعة
(٦٦٥-١٤٣٦هـ)

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد. فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة.

وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر، خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه فى كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. بل يؤمنون بالله سبحانه (ليس كمثله شئ، وهو السميع البصير) فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كُفُو له، ولا ندُّ له. ولا يقاص بخلقه؛ سبحانه وتعالى، فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه.

ثم رسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون. ولهذا قال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين) فسيح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل. وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفى والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون. فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد دخل فى هذه الجملة ما وصف به نفسه فى سورة الإخلاص التى تعدل ثلث

القرآن، حيث يقول (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد) وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله حيث يقول (الله لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما - أي لا يكرثه ولا يُنقله وهو العلى العظيم) ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وقوله سبحانه (هو الأول والآخر والظاهر والباطن. وهو بكل شيء عليم) وقوله سبحانه (وتوكل على الحي الذي لا يموت) وقوله (وهو الحكيم الخبير. يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) - (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو. ويعلم ما في البر والبحر. وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) وقوله (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير. وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً).

وقوله (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقوله (إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) وقوله (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله (ولو شاء الله ما افقتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد) (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم، إن الله يحكم ما يريد) وقوم (فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً يصعد في السماء).

وقوله (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) - (وأسقطوا إن الله يحب المقسطين) - (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) - (إن الله يحب التوابين ويحب المقطهرين) وقوله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقوله (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص).

وقوله (وهو الغفور الودود) وقوله (بسم الله الرحمن الرحيم) (ربنا وسعت كل

شئ رحمة وعلماء) - (وكان بالمؤمنين رحيماً) (ورحمتي وسعت كل شئ) - (كتب
ريكم على نفسه الرحمة) (وهو الغفور الرحيم) (فأله خير حافظاً وهو أرحم
الراحمين).

وقوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (ومن يقاتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه
جهنم فيها وغضب الله عليه ولعنه) وقوله (ذلك بأنهم ابتعوا ما أسخط الله وكرهوا
رضوانه) وقوله (فلما أسفونا انتقمنا منهم) وقوله (ولكن كره الله اتباعهم فيبطهم)
وقوله (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

وقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من التمام والملائكة وقضى الأمر)
وقوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) (كلا
إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا) (ويم تشقق السماء بالغمام
ونزل الملائكة تنزيلاً) وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (كل شئ هالك
إلا وجهه).

وقوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت
أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء).

وقوله (وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) (وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجرى
بأعيننا جزاء لمن كان كفر) (والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني).

وقوله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع
تحاوركما إن الله سميع بصير) (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن
أغنياء) (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؟ بلى، ورسلنا لديهم يكتبون)

وقوله (إنني معكما أسمع وأرى) وقوله (ألم يعلم بأن الله يرى) (الذي يراك حين
تقوم وتقلبك في الساجدين إله هو السميع العليم) (وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون).

وقوله (وهو شديد المحال) وقوله (ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين) وقوله
(ومكروا مكراً ومكرنا وهم لا شعرون) وقوله (إنهم يكيدون كيدا. وأكيد كيدا).

وقوله (إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا من سوءه فإن كان عفواً قديراً) (وايعفوا

وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم).

وقوله (ولله العزة ولرسوله) وقوله عن إبليس (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) وقوله (تبارك اسم ربك ذي الجلا والإكرام) وقوله (فاعبدوه واصطبر لعبادته، هل تعلم له سعيا؟) (ولم يكن له كفوا أحد) (فلا تجطوا لله أندادا وأنتم تعذون) (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) (ما اتخذ الله من ولد. وما كان معه من إله، إذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) (قل يضربوا الله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون).

وقوله (الرحمن على العرش استوى) في سبعة مواضع: في سورة الأعراف قوله (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال في سورة يونس عليه السلام (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال في سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) وقال في سورة طه (الرحمن على العرش استوى) وقال في سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال في سورة الم السجدة (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال في سورة الحديد (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش).

وقوله (يا عيسى إني مستوفيك ورافعك إلی) (بل رفعه الله إليه) (إليه يصعد الكلم الطيب والعلم الصالح يرفعه) (يا همان ابن لی صرحا، لعلی أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه كاذبا) (استقم من في السماء أن يرسل

عليكم حاصبا؟ فستعلمون كيف نذير).

وقوله (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير) - (ما يحون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا. ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم).

وقوله (لا تحزن: إن الله معنا) (إنتى معكما أسمع وأرى) (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (واصبروا إن الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين).

وقوله (ومن أصدق من الله حديثاً؟) (ومن من الله قبلاً) (وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم) (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) (وكلم الله موسى تكليماً) (منهم من كلم الله) (ولما جاء موسى لمقاتنا وكلمة ربه) (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) (وإذا نادى ربك موسى: أن أنت القوم الظالمين) (وناداهما ريمهما ألم انهكما) (ويوم يناديهما فيقول: ماذا أجبتكم المرسلين؟) (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (يريدون أن يبدلوا كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وعم يعلمون) (يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبععونا، كذلك قال الله من قبل) (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) (إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) (قل نزله روح القدس من برك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى المسلمين) (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذين يلحدون إليه أعجبنى. وهذا لسان عربى مين).

وقوله (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة) (على الأرائك ينظرون) (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد).

وهذا الباب فى كتب الله كثير. من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق.

فصل فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالسنة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه.

وما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث السحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك.

مثل قوله صلى الله عليه وسلم وينزل ربنا إلى سماء كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟ متفق عليه، وقوله صلى الله عليه وسلم «والله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم بإحلتها» الحديث متفق عليه.

وقوله صلى الله عليه وسلم «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه.

وقوله «عجب ربنا من قنوط عبادة وقرب غيره، ينظر إليكم أزالين قنطين، فيظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب».

حديث حسن.

وقوله صلى الله عليه وسلم «لاتزال جهنم يلقى فيها وهى تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجلا - وفى رواية: عليها قومه - فتنزوى بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط» متفق عليه.

وقوله «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار» متفق عليه.

وقوله «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان».

وقوله فى رقية المريض «ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء، اجعل رحمتك فى الأرض، أغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره.

وقول «ألا تأمنونى وأنا زمين من فى السماء» حديث صحيح وقوله «والعشر فوق الماء والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» حديث حسن رواه أبو داود وغيره.

وقول للجارية «أين الله؟ قالت في السماء قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم.

وقوله «أفضل الإيمان : أن نعلم أن الله معك حيثما كنت» حديث حسن، وقوله «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه، فإن الله قبل وجهه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه» متفق عليه.

وقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها، أنت الأول فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغننى من الفقر» رواه مسلم.

وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر «أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» متفق عليه.

وقوله «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامنون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ما فعلوا» متفق عليه. إلى أمثال هذه الأحاديث التى يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به.

فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط فى فرق الأمة، كما أن الأمة هى بين أهل التعطيل للجهمية: وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط فى باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، وفى باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفى باب أسماء الإيمان والدين، بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج.

وقد نخل فيما نكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به فى كتابه وتواتر

عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه وعلى خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وليس معنى قوله (وهو معكم) أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبُه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء، وهو مع المسافرين وغير المسافرين أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيه.

وكل هذا الكلام الذى ذكره الله - من أنه فوق العرش وأنه معنا - حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يمان عن الظنون الكاذبة، مثل أن يظن أن ظاهر قوله «فى السماء» أو السماء ثقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله وقد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذى يمسك السموات والأرض أن نزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره).

فصل

وقد بخل فى ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك فى قوله (وإذا سألك عبادى عنى فأبى قريب) الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «أن الذى تدعونه اقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»، وما ذكر فى الكتاب والسنة من قربه ومعينه لا ينافى ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء فى نعوته وهو على فى دنوه قريب فى علوه.

فصل

ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود؛ وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك فى المصاحف لم يخرج عن أن

يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه؛ ليس كلام الله الحروف دون المعاني. ولا المعاني دون الحروف.

فصل

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به ويكتبه ويرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم، كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.

فصل

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه، فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم. فيقال للرجل: من ربك، وما بينك، ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن الله ربي والإسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي وأما المرتب فيقول: هاهاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته: فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق. ثم - بعد هذه الفتنة - إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، وتنصب الموازين، فتوزن فيها أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون).

وتنشر الدواوين - وهي صحائف الأعمال - فأخذ كتابه يمينه وأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، كما قال سبحانه وتعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بنفوسه.

كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويحزون عليها.

وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسلم، ماؤه أبيض بياضا من اللبن، وأحل من العسل، أنيقه عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظأ بعدها أبدا.

والصراط منصوب على متن جهنم - وهو الجسر الذي بين الجنة والنار - يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشى مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أنن لهم في دخول الجنة.

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم، وأول من يدخل الجنة من أمته وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات. أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف، حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم الشفاعة، حتى تنتهي إليه.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة ولسائر النبيين والصدّيقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار لا يدخلها، وشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

ويخرج له من النار أقواما بغير شفاعة. بل بفضل ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عن دخلها من أهل الدنيا فينشىء الله لها أقواما فيدخلهم الجنة.

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والبار

تفاصيل تلك المذكورة فى الكتب المنزلة من السماء، والآثار من العلم الماثورة عن الأنبياء، وفى العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من تلك ما يشفى ويكفى فمن ابتغاه وجده.

وتؤمن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين.

(فالدرجة الأولى) الإيمان بأن الله تعالى علم بما الخلق عاملون به بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا أبدا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف، كما قال تعالى (الم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض؟ إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير) وقال (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير) وهذا التقدير - التابع لعلمه سبحانه - يكون فى مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد، ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاوة القدريّة قديما ومنكره اليوم قليل.

(وأما الدرجة الثانية) فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما فى السموات وال فى الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون فى ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه على كل شىء قدير عن الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عنهم القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقة والله تعالى خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلى والصائم، والعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة. والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا الله رب العالمين.

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه وحكمها ومصالحها.

فصل

ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الآخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص (فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف) وقال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم).

ولا يسلبون الفاسق الملى بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدهل في اسم الإيمان المطلق في قوله تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة) وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا نكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً). وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليها فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

فصل

ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم والسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم).

وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله، لا تسبوا أصحابي.

(فوالذي نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر - «عملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ويأثرون لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد رضى الله عنهم ورضوا عنه. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، ثم عمر، ويثبثون عثمان، ويربعون بعلى رضى الله عنهم، كما دلت عليه الآثار، كما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع زن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا مع عثمان في البيعة، مع أن بعض اتفاقهم على تقديم أبى بكر وعمر - أيها أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلى، وقدم قوم علياً، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التى يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التى يصلل فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم «أذكركم الله

فى أهل بيتى، أنكركم الله فى أهل بيتى، وقال أيضا للعباس عمه - وقد اشتكى إليه أن بعض قریش يحفوا بنى هاشم فقال: والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى، وقال واصطفى من بنى إسماعيل، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قریشا، واصطفى من قریش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم.

ويتولون أرواح رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه فى الآخرة، خصوصا خديجة رضى الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضى الله عنها التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم، فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

ويتبرعون من طريقة الروافض الذين ييغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة. ويقولون: إن هذه الآثار المروية فى مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذرون: إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الآثم وصفائر، بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة. ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم خير القرون.. وإن المومن أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه. فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف بالأمور التى كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران. وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم؟

ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور فى جنب خصائل للقوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ووصوله والجهاد فى سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح. ومن نظر فى سيرة اللقوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به

من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم
الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يحصى على
أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور
عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة
والتابعين وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

فصل

صم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم
باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع
وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات
الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ويعملون أن أصدق الكلام كلام الله
وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من
كلام أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد،
ولهذا سمو أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع
وخطها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين.

والاجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين. وهم يزاوون بهذه
الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة ماله تعلق
بالدين.

والاجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح: ويعدهم كثر الاختلاف
وانتشرت الأمة.

فصل ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجب
لشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والأعياد مع الأمراء، أبرارا أو فجارا،
ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله صلى الله
عليه وسلم، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه» وقوله

صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توابهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحصى والنهر، ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً». ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الحوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغى والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق. ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها.

وكل ما يقولونه، ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم. لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الثوب هم أهل السنة والجماعة.

وفيهם الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح النجى أولوا المناقب الماثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم: وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة».

فنسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إئى هداانا، ويهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب والله أعلم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فصل رسالة
الكهبي
لأبن تيمية
والتي أعلن
فيها رفضه
لكهبي

رسالة كتب بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتبها من خط قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله وكتبها هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد بن العلاء وهو كتبها من خط مرسلها الشيخ شمس الدين.

الحمد لله على نلتى، يارب ارحمنى واقلنى عشرتى، واحفظ على إيمانى، واحزنه على قلة حزنى، واأسفاه على السنة وذهاب أهلها. وا شوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونوننى عل البكاء. وا حزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات. أه على وجود درهم خلال وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. وتبا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة فى عين أخيك وتنسى الجذع فى عينك! إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك عباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهى الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أقضوا ما قدموا) بلى أعرف أنك تقول لن لتنصر نفسك: إنما الوقیعة فى هؤلاء الذين ما شموا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو جهاد. بلى والله عرفوا خيراً كثيراً مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئاً كثيراً مما لا يعنيه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. يارجل بالله عليك كف عنك فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تقام، إياكم والغلوطات فى الدين كره نبيك صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال:

(إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان) وكثرة الكلام بغير زلل تقسى القلوب إذا كان فى الحلال والحرام، فكيف إذا كان فى عبارات اليونانية والفلاسفة وتلك الكفریات التى تعمى القلوب. والله قد صرنا ضحكة فى الوجود فإلى كم تنبش دقائق الكفریات الفلسفية لنرد بعقولنا، يارجل قد بلغت (سموم) الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات. وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن

والله فى البدن، واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبير وخشية بتذكر وصمت بتفكر. وأما لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، بلى عند ذكر الصالحين ذكرون بالازداد واللعنة، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقين فواخيتهما بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب وجذوا فى ذكر بدع كنا نعدّها من أساس الضلال قد صارت هى محض السنة وأساس التوحيد ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفر فهو أكثر من فرعون، وتعد النصارى مثلاً، والله فى القلوب شكرك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد. يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزينة والانحلال لا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطولياً شهوانياً. لكنه ينفك ويجاهد عندك بيده ولسانه وفى الباطن عدوك بحاله وقلبه فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامى كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوى المكر أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقنى ففتشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادفها وتعادى الأخيار، إلى كم تصادفها وتزدري الأبرار، إلى كم تعظمها وتصغر العباد. إلى متى تخالها وتمقت الزهاد. إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل فى كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار، أما أن لك أن ترعوى؟ أما حان لك أن تتوب وتنبى؟ أما أنت فى عشر السبعين وقد قرب الرحيل. بلى - والله - ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري بمن نكر الموت فما أظنك تقبل على قولى ولا تصغى إلى وعظى بل لك همّة كبيرة فى نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لى أذنان الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقول: وألبتة سكت، فإذا كان هذا حالك عندى وأنا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك، وأعدائك - والله - فيهم صلحا، وعقلا، وفضلا، كما أن أولياك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور ويقر، قد رضيت منك بأن تسبى علانية وتنتفع بمقاتلى سراً (فرحم الله إمرأأ أهدى إلى عيوبى) فإنى كثير العيوب غزير الذنوب. الويل لى إن أنا لا أتوب، ووافضىحتى من علام الغيوب ودوائى عفو الله ومساحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وهنا انتهت صورة رسالة الذهبى إلى ابن تيمية وفيها عبر بالغة. وليكن هذا آخر تكلمة الرد على نونية ابن القيم وبها يكون إن شاء الله تعالى (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم).

رسالة
في العقيدة
الوهابية
١٣٣٩هـ

«أما بعد، فإنه لما كان في هذه السنة (وهي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف) من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحية، بعثنا الإمام المقدم، والرئيس المفضل الفخيم، صاحب السعادة والسيادة عبدالعزيز بن عبدالرحمن فيصل آل سعود .

أعلى الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم، وتعبدكم به في دين الإسلام، الذي معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة، والجهل به والإعراض عنه وعدم قبوله والالتقياد له سبب لدخول النار، فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى. وتمادوا في الطغيان، والإعراض عن النور والهدى وفرقوا أمرهم وكانوا شيعاً، وغلب عليهم الجهل وإيثار الشهوات، واستجابوا لداعى الشبهات، فوقعوا في وادى جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور والأحجار والغيران وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين؟ وهذا هو دين أهل الجاهلية الأولين، الذي بعث فيهم سيد المرسلين وإمام المتقين.

فلما رأينا ذلك وجب علينا الدعوة إلى الله بالحجج والبراهين، وهي طريقة النبي الأمين، وسبيل من اتبعه من الصحابة والتابعين، وسلك مناهجهم إلى يوم الدين.

كما قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسيحان الله وما أنا كم المشركين) وكتبنا من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والعقائد السلفية، إلى القبائل والبلدان، بعد ما سفت عليها السوافى، وقل من يعرفها من أهل الفرى والبوادي، نصحا لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين، وصار بعض الناس يسمع بنا معشر الوهابية، ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه، وينسب إلينا، ويضيف إلى ديننا ما لا نعدو إليه، فبعضهم يقول علينا وينسب إلينا السفساف والباطيل، تنفيراً للناس عن قبول هذا الدين وصدا لهم عن توحيد رب

العالمين، فأوجب لنا تسويد هذه العجالة، ببياناً لما نعتقده ونؤمن بالله به وتدعو إليه ونجاهد الناس عليه فأعلموا أن حقيقة ما نحن عليه، وما ندعوا إليه ونجاهد على التزامه والعمل به بين الإسلام، والتزام أركانه وأحكامه الذي أصله وأساسه (شهادة أن لا إله إلا الله) والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له.

وهذه العبادة مبنية على أصليين: كمال الحب لله مع كمال الخضوع والذلة له، والعبادة لها أنواع كثيرة.

فمن أنواعها الدعاء، وهو من أجل أنواع العبادة، وسماه الله عبادة في عدة مواضع من كتابه كما قال تعالى:

(وقال ربكم ادعوني استجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ونظائر هذا في القرآن كثيرة. وفي الحديث (الدعاء مخ العبادة).

فنقول: لا يدعى إلا الله، ولا يستغاث في الشدائد وجلب الفوائد إلا به، ولا يذبح القربان إلا لله ولا يننز إلا له، ولا يخاف خوف السر إلا منه وحده، ولا يتوكل إلا عليه ولا يستعان إلا به، وليس لأحد من الخلق شيء من ذلك، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الأولياء ولا الصالحين ولا غيرهم، فله حق لا يكون لغيره، وحقه تعالى إفراده بجميع أنواع العبادة، فلا تله القلوب محبة وإجلالا وتعظيما وخوفا ورجاء إلا الله، فهذه الحكمة الشعرية الدينية، والأمر المقصود في إيجاد البرية.

قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ومعنى يعبدون يوحدون، والعبادة هي التوحيد لأن الخصومة بين الرسل وأممهم فيه، قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقا تعالى (وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً).

فمن دعا غير الله من ميت أو غائب أو استغاث به فهو مشرك كافر، وإن لم يقصد إلا مجرد التقرب إلى الله وطلب الشفاعة عنده، وقد دخل كثير من هذه الأمة في الشرك بالله والتعلق على سواه، ويسمون ذلك توسلا وشفعا، وتغيير الأسماء لا

اعتبار به، ولا تزول حقيقة الشيء ولا حكمه بزوال اسمه وانتقاله في عرف الناس باسم آخر.

ولما علم الشيطان أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألهاً أخرجهم في قالب آخر تقبله النفوس، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها) وكذلك من زنى وسمى ما يفعله نكاحاً. فتغيير الأسماء لا يزيل الحقائق، وكذا من ارتكب شيئاً من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمي ذلك توسلاً وتشفعاً.

يوضح ذلك ما ذكر الله في كتابه عن اليهود والنصارى بقوله تعالى (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية. وروى الإمام أحمد الترمذى وغيرهما أن عدى بن حاتم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تنصر في الجاهلية فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية. قال يارسول الله إنهم لم يعبدوهم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى أنهم حرموا عليهم الحلال وحلوا لهم الحرام فذلك عبادتهم إياهم.

وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه الآية إنهم اتبعوهم فيما حلوا وحرموا، فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية لم يسموا أخبارهم ورهبانهم أرباباً، ولا آلهة، ولا كانوا يظنون أن فعلهم هذا معهم عبادة لهم. ولهذا قال عدى أنهم لم يعبدوهم.

وحكم الشيء تابع لحقيقته لا لاسمه ولا لاعتقاده فاعله.

فهؤلاء كانوا يعتقدون أن طاعتهم في ذلك ليست بعبادة لهم، فلم يكن ذلك عذر لهم. مزيلاً لاسم فعلهم ولا لحقيقته وحكمه.

يوضح ذلك ما روى الترمذى وصححه عن أبي واقد الليثى قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندما وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات نوط، فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل

لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم الهة قال إنكم قوم تجهلون لتتبعن سنن من كان قبلكم.
فهؤلاء ما كانوا يظنون أن الذى طلبوه مما تنفيه (لا إله إلا الله) فلم يكن جهلهم
مغيراً لحقيقة هذا الأمر وحكمه.

ومن كان له معرفة بما بعث الله به رسوله علم أن ما يفعل عند القبور من دعاء
أصحابها والاستغاثة بهم، والعكوف عند ضرائحهم والسجود لهم، والنذر لهم أعظم
وأكبر من فعل الذين اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

وأقبح وأشنع من قول الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

قال بعض العلماء المحققين رحمهم الله تعالى: وإذا كان إتخاذ هذه الشجرة
لتعليق الأسلحة والعكوف عليها إتخاذ إله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما
الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده، فأى نسبة للفتنة بشجرة
إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟ انتهى.

ولقد حمى النبى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، وسد الذرائع التى تفضى
إلى الشرك والتنديد. فقال فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبرى
وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ونهى عن إيقاد
السرچ عليها فقال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرچ» ونهى أن تتخذ عيداً. ونهى عن البناء عليها. وزمر بتسويتها
بالأرض. كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج الأسدى قال قال لى: على
رضى الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا
تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرقاً إلا سويته، ونهى عن تجصيص القبور وعن
الكتابة عليها.

فنحن ننكر الغلو فى أهل القبور والإطراء والتعظيم ونهدم البنايات التى على قبور
الأموات لما فيها من العلو والتعظيم الذى هو أعظم وسائل الشرك بالله.

وهذه الأمور التى أوجبت عبادتها من دون الله ابتدعها أناس أرادوا بها التعظيم
وإظهار تشریفهم، فجاء من بعدهم فعبدوهم من دون الله، وقصدوا منهم كشف
الملامات، وسألوهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللففات، واعتقدوا هذا

الشرك الوخيم قرية وديناً يدينون به، واشتد نكيرهم على من أنكر ذلك وحذر عنه، ورموه بالزور والبهتان والله ناصر دينه في كل زمان ومكان، ولكنه يمتحن حزبه منذ كانت الفتان.

ومما نعتقده وندين الله به الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره ونؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته، ونثبت ذلك على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل ونفزه الله عما لا يليق بجلاله تنزيهاً بلا تعطيل.

ونعتقد بأن الله سبحانه وتعالى مستو على عرشه، عال على خلقه وعرشه فوق السموات، وهو بائن عن مخلوقاته، ولا يخلو مكان من علمه.
قال تعالى: (الرحمن على العرش استوى).

فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الاستواء ولا نكيف ولا نمثل، لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو.

قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، ويقولون نقول وقد سأل رجل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فأثبت مالك رحمه الله الاستواء ونفى علم الكيفية.
وكذلك اعتقادنا في جميع أسماء الرب وصفاته من الإيمان باللفظ وإثبات الحقيقة، ونفى علم الكيفية،

والقول الشامل في ذلك أنا نصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لا نتجاوز القرآن والحديث.

فمن شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر.

قال تعالى (ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير).

فسبحان من لا سمي له ولا كفو له، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قبيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه.

ونؤمن بما ورد من أن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول (هل من سائل لأعطيه سؤاله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟).

ونعتقد أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود؛ وأن الله تكلم به حقيقة وسمعه جبريل من الباري سبحانه، ونزل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا نقول بقول الأشاعرة ولا غيرهم من أهل البدع.

ونؤمن أن الله فعال لما يريد. لا يكون شيء إلا بقضائه وقدره ولا محيد لأحد عن القدر. ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور.

ونؤمن بآيات الوعيد والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقول بنخيل أحد من المسلمين من أهل الكبائر في النار كما تقول الخوارج والمعتزلة. لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأخرجهم من النار بشفاعة نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم فيمن يشفع له من أهل الكبائر من أمته وشفاعة غيره من الملائكة والأنبياء ولا نقف في الأحكام المطلقة، بل نعلم أن الله يدخل النار من يدخلها من أهل الكبائر، وآخرون لا يدخلونها لأسباب تمنع من دخولها كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحوها.

ونعتقد أن الله يفعل ما يفعله لحكمة وأسباب. وهو تبارك وتعالى خالق الأسباب ومسبباتها.

ولا نشهد لشخص معين بجنة ولا نار. لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به. ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا نكفر أحداً من أهل الإسلام بكل ذنب دون الشرك ولا نخرجه من دائرة الإسلام بارتكاب كبيرة.

ونؤمن بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون بعد الموت.

ونؤمن بفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبإعادة الزواج إلى أجسادها فيقوم الناس لرب العالمين في موقف القيامة حفاة عراة غرلا. وتدنو منهم الشمس فيلجمهم العرق وتنصب الموازين وتنشر الدواوين فأخذ كتابه يمينه وأخذ كتابه بشماله ونؤمن بحوظ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع. ولا ينكرها إلا مبتدع ضال. وأنها لا تقع إلا بعد الإذن والرضا. كما قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى). وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ولا يأنز إلا لأهله.

قال أبو هريرة رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال سمن قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله. قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين).

ونؤمن أن الله تعالى خلق الجنة، وأنها موجودة الآن وأن الله أعدها لمن أطاعه وأتقاه.

وأن الله خلق النار وأنها موجودة الآن وأن الله أعدها لمن كفر به وعصاه. ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم في الجنة كما يرى القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال تعالى أحسنوا الحسنى وزيادة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الحسنى الجنة. والزيادة النظر إلى وجهه تعالى).

ونؤمن أن محمدا صلى الله اليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين. وأن أفضل أمته أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين. ونتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونترضى عنهم وتستغفر لهم ونذكر محاسنهم وقضائهم ونكف عما شجر بينهم.

ونترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات المبررات من كل سوء. وإن فضلاهن

عائشة. ونبرا من قول الزيدية وغيرهم من أهل البدع.
ونرى الجهاد مع كل إمام برأ كان أو فاجراً منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال.

ونرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية، ونرى هجر أهل البدع ومباينتهم.
ونرى أن كل محدثة في الدين بدعة.

ونرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل قادر بحسب قدرته واستطاعته أما بيده، فإن تعذر فبقلمه، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ونعتقد أن الإيمان قول باللسان. وعمل بالأركان. واعتقاد بالجنان. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما في الحديث الصحيح «الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة. أعلاها قول لا إله إلا الله؛ وأدناها أمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

ونعتقد أن الله أكمل الدين، وأتم نعمته على العالمين. يبعث محمداً الرسول الأمين. الأنبياء والمرسلين. صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين. قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

فلما أكمل الله به الدين. وبلغ البلاغ المبين. قبضه الله إليه وتوفاه فاختر له الرقيق الأعلى.

ونعتقد أن رتبته صلى الله عليه وسلم أعلى رتب المخلوقين على الإطلاق وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب. وأنه يسمع سلام المسلم عليه. وأما الحياة التي تقتضى العلم والتصرف والحركة في التدبير فهي منفية عنه صلى الله عليه وسلم.

وبالجملة فمقيدتنا في جميع الصفات الثابتة في الكتاب والسنة عقيدة أهل السنة والجماعة. نؤمن بها ونمرها كما جاءت مع إثبات حقائقها. وما دلت عليه من غير

تكيف ولا تمثيل ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل.

وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة في القروع والأحكام. ولا ندعى الاجتهاد. وإذا بانَّت لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملنا بها. ولا نقدم عليها قول أحد كائنًا من كان. بل نلتقاهما بالقبول والتسليم. لأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد.

فهذا الذي نعتقد وندين الله به. فمن نسب عنا خلاف ذلك أو تقول علينا ما لم نقل غير ما ذكرنا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً. وحسابنا وحسابه عند الله الذي تنكشف عنده السرائر. وتظهر لديه مخبات الصدور والظلمات (والله يقول الحق وهو يهdy السبيل).

وحسبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على محمد النبي الأمين. وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أ هـ.

نص فتوى
الشيخ سليم
البشرى
فى ابن تيمية
والوهابية

استفزز بروز التيار الوهابي في مصر في أوائل هذا القرن الكثير من العلماء بكثير من أطروحاته التي تشير إلى التجسيم وإثبات الجهة ونسبة ذلك إلى ابن تيمية مما دفع بأحد العلماء إلى توجيه سؤال إلى الشيخ البشيري يسأله رآيه حول هذا الأمر الذي يدعى نسبته إلى السلف.

يقول الشيخ البشير: قد أرسلتم بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥ هـ مكتوباً مصحوباً بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى. فحررنا لكم الجواب الآتي وفيه الكفاية لمن اتبع الحق وأنصف. جزاكم الله عن المسلمين خيراً ، أعلم أيدك الله بتوفيقه وسلك بنا ويك سواء طريقه، أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزّه عن مشابهة الحوادث مخالف لها في جميع سمات الحوادث ومن ذلك تنزّهه عن الجهة والمكان كما دلت على ذلك البراهين القطعية، فإن كونه في جهة يستلزم قدم الجهة أو المكان وهما من العالم وهو ما سوى الله تعالى وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله بإجماع من أثبت الجهة ومن نفاها. لأن المتمكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان مع أن المكان يمكن وجوده بدون المتمكن لجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب وجوب الممكن وكلاهما باطل لأنه لو تحيز لكان جوهرأ لاستحالة كونه عرضاً. ولو كان جوهرأ فإما أن ينقسم وإما أن ينقسم وكلاهما باطل فإن غير المنقسم هو الجزء الذي لا يتجزأ وهو أحقر الأشياء. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والمنقسم جسم وهو مركب والتركيب يناقض الوجوب الذاتى. فيكون المركب ممكناً يحتاج إلى علة مؤثرة وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. هذا وقد خذل الله أقواماً أغواهم الشيطان وأنلهم فاتبعوا أهواءهم وتمسكوا بما لا يجدى فاعتقدوا ثبوت الجهة لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وانفقوا على أنها جهة فوق. إلا أنهم افترقوا فمنهم من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش وبه قال الكرامية واليهود، وهؤلاء لا نزاع

فى كفرهم، ومنهم من أثبت الجهة مع التنزيه، وأنه كونه فيها ليس ككون الأجسام، وهؤلاء ضلال فاق فى عقيدتهم وإطلاقهم على الله ما لم يأتى به. ولا مبرية أن فاسق العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير سيما من كان داعية أو مقتدى به. وممن نسب إليه القول بالجهة من المتأخرين ابن تيمية الحزانى الحنبلى الدمشقى من علماء القرن الثامن فى ضمن أمور نسبت إليه خالف الإجماع فيها عملاً براه وشنع عليه معاصروه بل البعض منهم كفروه. ولقى من الذل والهوان ما لقى وقد انتدب بعض تلامذته للذب عنه وتبرئته مما نسب إليه وساق له عبارات أوضح معناها وأبان غلط الناس فى فهم مراده.. واستشهد بعبارات له أخرى صريحة فى دفع التهمة عنه وأنه لم يخرج عما عليه الإجماع. وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ قدمه، وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة أمور واهية وهمية لا تصلح أدلة عقلية ولا تقليدية قد أبطلها العلماء بما لا مزيد عليه، وما تمسكوا به ظواهر آيات وأحاديث مرهمة كقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) وقوله: (إليه يصعد الكلم الطيب) وقوله: (تخرج الملائكة والروح إليه) وقوله (أأمنتم من فى السماء إن يخسف بكم الأرض) وقوله (وهو القاهر فوق عباده) وكحديث: «أنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة». وفى رواية: فى كل ليلة جمعة فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وكقوله للجارية الخرساء. أين الله فأشارت إلى السماء، حيث سألت بأين التى للمكان ولم ينكر عليها الإشارة إلى السماء بل قال إنها مؤمنة. ومثل هذه يجاب عنها بأنها ظواهر ظنية لا تعارض الأدلة العقلية اليقينية الدالة على انتفاء المكان والجهة فيجب تأويلها وحملها على محامل صحيحة لا تأباها الدلائل والنصوص الشرعية إما تأويلاً إجمالياً بلا تعيين للمراد منها كما هو مذهب السلف وإما تأويلاً تفصيلاً بتعيين مجاملها وما يراد منها كما هو رأى الخلف. وكقولهم إن الإستواء بمعنى الاستيلاء كما فى قول القائل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق.

وصعود الكلم الطيب إليه قبوله ورضاه به لأن الكلم عرض يستحيل صعوده، وقوله (من فى السماء) أى: أمره وسلطانه أو ملك من ملائكته موكل بالعذاب وعروج الملائكة والروح إليه صعودهم إلى مكان يتقرب إليه فيه وقوله (فوق عباده) أى

بالقدرة والغلبة فإن كل من قهر غيره وغلبه فهو فوقه أى عال عليه بالقهر والغلبة كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان أى أنه أقدر منه وأغلب ونزوله إلى السماء محمول على لطفه ورحمته وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته وعظم شأنه على سبيل التمثيل. وخص اليل لأنه مظنة الخلوة والخضوع وحضور القلب، وسؤاله للجارية (بأين) استكشاف لما يظن بها اعتقاده من المعبود كما يعتقد الوثنيون، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها إرادة خالق السماء فاستبان أنها ليست وثنية وحكم بإيمانها وقد بسط العلماء فى مطولاتهم تأويل كل ما ورد من أمثال ذلك عملاً بالقطعى وحملأ للظن عليه فجزأهم الله عن الدين وأهله خير الجزاء. ومن العجيب أن يدع مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم ويتشدد بترهات المبتدعين وضلاللتهم أما سمع قول الله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فليتب إلى الله تعالى من تلطخ بشيء من هذه القاذورات ولا يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، ولا يحملنه العناد على التماذى والإصرار عليه فإن الرجوع إلى الصواب عين الصواب والتماذى على الباطن يفضى إلى أشد العذاب. (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً).

- نص الفتوى من كتاب فرقان القرآن ط - القاهرة بدون ناشر

- تقديم ٧
- من هم أهل السنة ؟ ١١
- ركائز أهل السنة : ٢٥
- الروايات .
- التأويل والتبرير .
- الرجال .
- نصوص العقيدة : ٤١
- عقيدتهم فى الله .
- عقيدتهم فى القرآن .
- عقيدتهم فى الرسول .
- عقيدتهم فى الحكام .
- جانبى العقيدة : ٩٢
- الجانب السياسى .
- الجانب المذهبى .
- أهل السنة بين الماضى والحاضر : ١١١
- دائرة الماضى .
- الحنابلة .
- ابن تيمية .
- دائرة الحاضر .
- الروهابيون .
- التيارات الاسلامية .
- أهل السنة نهج اليهود والنصارى ١٤٢

١٥٩	- ملاحق الكتاب
	● متون عقائد أهل السنة
١٦٠	● عقيدة أهل السنة لابن حنبل
١٧٤	● عقيدة أهل السنة لابن الحسن الأشعري
١٩٤	● العقيدة الطحاوية لابن جعفر الطحاوي
٢٠٢	● لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدس
٢١٤	● العقيدة النسفية للنسفي
٢٢٠	● العقيدة الواسطية لابن تيمية
٢٢٨	● رسالة الذهبي
٢٤٢	● رسالة في العقيدة الوهابية
٢٥٣	● فتوى الشيخ سليم البشري

أهم مصادر البحث :

- البخارى ..
- مسلم ..
- الترمذى ..
- ابوداود ..
- النسائى ..
- ابن ماجه ..
- البيهقى ..
- فتح البارى شرح البخارى لابن حجر العقلانى ..
- شرح مسلم للنووى ..
- مقالات الاسلاميين للاشعرى ..
- مسند احمد ..
- العقيدة الطحاوية : ابو جعفر الطحاوى ..
- العقيدة الواسطية : ابن تيمية ..
- العقيدة النسفية : النسفى ..
- لمعة الاعتقاد : ابن قدامة المقدسى ..
- رسالة الثغر : الاشعرى ..
- عقيدة اهل السنة : ابن حنبل ..
- العراصم من القواصم : ابو بكر بن العربى ..
- الكامل فى التاريخ : ابن الاثير ..
- البداية والنهاية : ابن كثير ..
- مجموعة التوحيد : محمد عبد الوهاب ..
- فتاوى ابن تيمية ..
- شرح اصول اهل السنة : اللالكائى ..

صدر للمؤلف :

- الحركة الاسلامية فى مصر : الواقع والتحديات ..
- مذكرات معتقل سياسى : ثلاث سنوات تحت التعذيب ..
- الشيعة فى مصر : من الامام على حتى الامام الخمينى ..
- عقائد السنة وعقائد الشيعة : التقارب والتباعد ..
- مصو وايران : صراع الامن والسياسة ..
- فقهاء النفط : راية الاسلام ام راية آل سعود ..
- السيف والسياسة : اسلام السنة ام اسلام الشيعة ..
- الخدعة : حقيقة الاسلام بين النص والسياسة ..
- زواج المتعة حلال: عند اهل السنة..

وتحت الطبع:

- فقه الهزيمة: دراسة فى اصول الفكر السلفى..
- احاديث نبوية اخترعتها السياسة..
- السلفيون والشيعة..
- مصارع الحكام فى تاريخ الاسلام..
- جريمة الراى فى تاريخ المسلمين..
- حركة آل البيت..
- العقل المسلم بين اغلال السلف وأوهام الخلف..
- الازهر والحكام..

عربية الطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام - أرض اللواء المنسي
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ - ٣٠٣١٠٩٨

أهل السنة

شعب الله المختار

أبسط ما يقال في عقيدة أهل السنة أنها عقيدة حكومية ومن صنع السياسة . عاشت في أحضان الحكام منذ نشأتها وحتى اليوم . . .

ولقد قدر لعقائد كثيرة أن تصبح في ذمة التاريخ على الرغم من كونها تحمل الكثير من المقومات التي تكفل لها الاستمرار والبقاء وسبب ذلك يعود إلى معاداة الحكام لها وسعيهم الدائم لا ستئصالها . . . ووضعت عقيدة أهل السنة في مقام عال بعيداً عن أن ينال منها أحد واعتبرت امتداداً لعقيدة الرسول ﷺ والصحابة والسلف عموماً من التزم بها كان من الناجين من الحكام ومن النار ومن خالفها كان من الهالكين واصحاب دار البوار . . . وعاش المسلمون في ظل هذا الوهم الذي باركه الحكام وفقهاء السلاطين تحت حراسة كم هائل من الروايات المختلفة . . .

وكان من الضروري التصدي لهذا الطرح السني الذي فرخ لنا اليوم الارهاب الفكري والتطرف الحركى . . .

وبداية هذه المواجهة بالطبع هي هدم الأساس الفكري الذي تستمد منه حركة الارهاب والتطرف قوتها وشرعيتها . . .

وهذا هو موضوع كتابنا هذا الذي يعد أول كتاب في ميدان الفكر الاسلامي يتعرض لهذه القضية ذات الاهمية الكبيرة والحساسية البالغة أيضاً . . .

